## ٤.٢ سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

"بسم الله الذي أقسم بالملائكة المكرمين، الرحمن الذي يجزي المحسنين، الرحيم الذي يسلم على المرسلين. وهذه السورة مكية، وهي مائة وإحدى وثمانون آية، وقيل: اثنتان وثمانون آية. الاختلاف في آيتين: [﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢)﴾][٩٧٧]، ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧)﴾. وكلماتها ثمانمائة واثنتان وستون. وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وثمانية وعشرون. وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك، أنه ذكر في ختم تلك ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، وأقسم في أول هذه السورة على أنه واحد لا يشبهه شيء. وانتظام السورتين أنهما في محاجة المشركين، وفي إثبات الرسالة، والبعث يوم الدين، والتنبيه بقصص الأولين"[٩٧٨]. وروي عن أُبيّ بن كعب – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال: "من قرأ سورة الصافات أُعطي عشر حسنات بعدد كل شيطان وجنّي، وتباعدت عنه مردة الشياطين، وشهد له حافظاه أنه مؤمن بالمرسلين"[٩٧٩].

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا (١) فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا (٢) فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ (٤) رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا

---

[٩٧٧] سقط من الأصل كلمة (يعبدون)، وكتبتها من *التيسير*.

[٩٧٨] *التيسير في التفسير*، ١٢/٣١٧-٣١٨.

[٩٧٩] الثعلبي: *الكشف والبيان*، ٢٢/٣١٦-٣١٦. الواحدي: *الوسيط*، ٣/٥٢١. الزيلعي: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد (ت. ٧٦٢هـ)، *تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري*، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ٣/١٨٢. ابن الجوزي: *الموضوعات*، ١/٢٤٠. وهذا الحديث موضوع لا نزاع بين المحدثين في وضعه.

بزِينَةٍ الْكَواكِبِ (٦) وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ (٧) لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ (٨) دُحُوراً وَلَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ (٩) إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ (١٠) فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِراتِ زَجْراً (٢) فَالتَّالِياتِ ذِكْراً﴾[الصافات:١-٣]، "أقسم الله تعالى بصفوف الملائكة في السماوات كصفوف المؤمنين في الصلاة. ويقال: يعني صفوف الغزاة في الحرب، كقوله: ﴿كَأَنَّهُم بُنيَان مَّرْصُوصٌ﴾[الصف:٤]. ويقال: صفوف الأمم يوم القيامة، كقوله: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾[الكهف:٤٨]. ويقال: الطيور بين السماء صافات بأجنحتها، وفي الآية بيان فضل الصفوف حيث أقسم الله بهن"[٩٨٠]. "وقال أبو منصور - رحمه الله-: ووجه القسم بالملائكة أن الله تعالى قد عظم شأن الملائكة في قلوب أولئك الكفرة حتى قالوا: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾[الأنعام:٨]. وقال فرعون- لعنه الله-: ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾[الزخرف:٥٣]. قولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[الفرقان:٢١]. وما وصفهم أنهم لايعصون الله ماأمرهم، ويفعلون مايؤمرون، وأنهم عباد مكرمون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون. وقال ابن مسعود وابن عباس - رضي الله عنهما-: الصافات، والزاجرات،

---

[٩٨٠] بحر العلوم، ٣/١٣٥.

والتاليات، كلهم الملائكة – صلوات الله عليهم–. والصافات خفض بواو القسم، وسميت بها لأنهم صافّون في السماء في الصلوات. وقيل: لأنها تصف أجنحتها في الهواء إذا نزلت للوحي وغيره"[٩٨١]. "﴿فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ يعني الملائكة الذين يزجرون السحاب ويؤلفونها ويسوقونها إلى البلد الذي أمطر. ويقال: فالزاجرات يعني الرافعات، وهم الملائكة الذين يرفعون الشر عن بني آدم، وهم موكلون بذلك حتى قضاؤه وقدره. ويقال: مازجر الله في القرآن. ويقال: في التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وما كان من عند الله من الكتب. ﴿فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ يعني الملائكة، وهو جبريل يتلوا القرآن على أنبياء الله تعالى. ويقال: هم المؤمنون الذين يقرأون القرآن"[٩٨٢]. "ويقال: ﴿فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ النازلات بما هو زجر للخلق عن المعاصي. ﴿فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ يعني القارئات على الرسل ذكرا، أي وحيا من الله تعالى"[٩٨٣]. "ويقال: ﴿فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ يعني آيات القرآن يتلوا ذكر مامضى، وذكر مانحن فيه، وذكر مابقي. ويقال: ﴿فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ خيول الغزاة. ﴿فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ التكبير، فقد أقسم الله تعالى بهذه الأشياء"[٩٨٤]. ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ "ويقال: أقسم بنفسه فكأنه يقول: وخالق هذه الأشياء إن إلهكم لواحد، يعني ربكم وخالقكم واحد لا شريك له"[٩٨٥].

---

[٩٨١] *التيسير في التفسير*، ٣٨٨/١٢.

[٩٨٢] *بحر العلوم*، ١٣٥/٣.

[٩٨٣] *التيسير في التفسير*، ٣٨٩/١٢.

[٩٨٤] *التيسير في التفسير*، ٣٩٠/١٢.

[٩٨٥] *بحر العلوم*، ١٣٦/٣.

﴿رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ "يعني الذي خلق السماوات والأرض. ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من خلق. ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ يعني مشرق كل يوم. ويقال في موضع آخر: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[المزمل:٩] يعني ناحية المشرق وناحية المغرب. وقال في موضع آخر: ربُّ المشرق، يعني شرق الشتاء، وشرق الصيف. وقال ههنا: ربُّ المشارق يعني مشرق كل الدنيا"[٩٨٦].

قال مقاتل: "أن كفار مكة قالوا: اجعل الآلهة إلها واحدا. فأقسم الله تعالى على أن الإله واحد. وقيل: أن المشركين قالوا: كيف يقوم إله واحد بحوائجنا، ولنا ثلاثمائة وستون إلها لا يقمن بحوائجنا؟! فأقسم الله تعالى على أن إلههم وإله من في السماوات والأرض وقاضي حوائجهم واحد"[٩٨٧].

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ "الدنيا تأنيث الأدنى أي الأقرب، وهي التي تلينا وتدنوا منا. ﴿بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ يعني بضوء الكواكب. قرأ ابن كثير، [ونافع][٩٨٨] ، وأبو عمرو، وابن عامر (بزينةِ الكواكب) مضافة، أي بالزينة القائمة بالكواكب. وقرأعاصم في رواية حفص، وحمزة (بزينةٍ) منونة، (الكواكبِ) خفضاً على البدل. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (بزينةٍ)

---

[٩٨٦] *بحر العلوم*، ٣/١٣٦.

[٩٨٧] مقاتل: *تفسير مقاتل*،٣/٦٠١، *التيسير في التفسير*، ١٢/٣٩٢.

[٩٨٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *التيسير*. ابن الجزري: *النشر*،٢/٣٥٦.

منونة، (الكواكبَ) نصباً [على أن الزينة مصدر بمعنى التزيّن، و(الكواكبَ) نصب][٩٨٩] لأنه مفعول بوقوع التزيّن عليه"[٩٩٠].

﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ﴾ "يعني حفظ الله تعالى السماء بالكواكب. ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ يعني متمردا. ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ﴾ يعني لكي لا يستمعوا. ﴿إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ يعني الكَتَبَة"[٩٩١]، ويقال: يعني الملائكة المقربين – صلوات الله عليهم– ووحّد لظاهر لفظ الملأ. ﴿وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ "أي يُرمَونَ بنجوم الرجوم. ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ أي من جوانب السماء. ﴿دُحُورًا﴾ أي طرداً وإبعاداً. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ وقوله: ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾، أي دائم في الآخرة، لكفرهم وإضلالهم الناس"[٩٩٢]. "وروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: "بينما رسول الله ﷺ جالس في نفر من أصحابه، إذ رمي بنجم، فقال رسول الله ﷺ: ماكنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية؟ فقالوا: يموت عظيم، ويولد عظيم. فقال: إنه لا يرمى به لموت أحد، ولا لحياته، ولكن ربنا تعالى إذا قضى أمراً سبح له حملة العرش. فيقول أهل السماء السابقة: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، فيستخبرون أهل كل سماء أخرى، حتى ينتهى الخبر إلى سماء الدنيا، فيختطف الجن[السمع][٩٩٣]، ويُرمَون، فما

---

[٩٨٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *التيسير*. العكبري: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت. ٦١٦هـ)، *إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات*، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلمية– لاهور، ٢٠٥/٢.

[٩٩٠] *التيسير في التفسير*، ٣٩٢/١٢.

[٩٩١] *بحر العلوم*، ١٣٦/٣.

[٩٩٢] *التيسير في التفسير*، ٣٩٤/١٢.

[٩٩٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *التيسير*.

جاؤوا به على وجهه فهو حقّ، ولكنهم يزيدون فيه ويكذبون"[٩٩٤]. ويقال: ولهم عذاب واصب، يعني الشياطين، يعني لمن يستمع ولمن لا يستمع في الآخرة. وقال مقاتل في الآية تقدم، يعني لا يسّمّعون إلى الملأ الأعلى إلا من خطف الشياطين الخطفة، يعني يسمعون إلى الملأ الأعلى من كلام الملائكة[٩٩٥]. ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ والشهاب في اللغة: كل أبيض ذي نور، والثاقب: المضيء.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ يعني سَلْ أهل مكة، وهو سؤال التقرير لا سؤال الاستفهام. ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ يعني ماخلقنا من السماوات، وما ذكر من المشارق والمغارب. ويقال: أهم أشد خلقا بالبعث، وبعثهم أشد أم من خلقنا. يعني أم خلقهم في الابتداء، ثم ذكر خلقهم في الابتداء فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ يعني خلقنا آدم، وهم من نسله من طين لازب، أي جيد"[٩٩٦].

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ "فالمعنى: بل عجيب يا محمد من نزول الوحي عليك، والكافر يسخرون مكذبين. قرأ حمزة، والكسائي (بل عجبتُ) بضم التاء، وهو إخبار من الله تعالى عن نفسه، وهو مجاز عن الإنكار والكراهة، ولا تجوز حقيقته على الله تعالى، فإن معنى العجب أن يرى المتعجب شيئاً لم يره و لم يسمعه، ثم يرى ويسمع فيتعجب"[٩٩٧].

---

[٩٩٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السَّلام، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ، ١٤/١٧٥٠، رقم (٢٢٢٩).

[٩٩٥] مقاتل: *تفسير مقاتل*، ٣/٦٠٢.

[٩٩٦] *بحر العلوم*، ٣/١٣٧.

[٩٩٧] *بحر العلوم*، ٣/١٣٧-١٣٨.

[فصل في التفسير بالرأي]

"قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا (١) فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا (٢) فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ (٤) رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة (والصّافّات صفّا) بإدغام التاء فيهما، وكذلك في قوله: (فالزّاجرات زجرا)،(فالتّاليات ذكرا). والباقون بالإظهار. واعلم أن هذه الأشياء الثلاثة المذكورة المقسم بها يحتمل أن تكون صفات ثلاثة لموصوف واحد، ويحتمل أن تكون أشياء ثلاثة متباينة، أما على تقدير الأول ففيه وجوه: الأول: أنها صفات الملائكة، وتقديره: أن الملائكة يقفون صفوفاً. إما في السماوات لأداء العبادات كما أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ﴾[الصافات:١٦٥]. وقيل: إنهم يصفّون أجنحتهم في الهواء، ويقفون منتظرين في وصول أمر الله إليهم، ويحتمل أن يقال معنى كونه صفوفاً، أي لكل واحد منهم مرتبة معينة، ودرجة معينة في الشرف والذات والفضيلة، وتلك الدرجات المترتبة باقية غير متغيرة وذلك يشبه الصفوف"[٩٩٨].

"وقوله: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ يقال: زجرت البعير أزجرته زجراً إذا حثثته ليمضي، وزجرت فلاناً عن سوء فانزجر، أي نهيته فانتهى، فعلى هذا الزجر للبعير كالحثّ وللإنسان كالنهي، إذا عرفت هذا فاعلم أن وصف الملائكة بالزجر، وجوه: الأول: قال ابن عباس:

---

[٩٩٨] مفاتيح الغيب، ٣١٣/٢٦.

يريد الملائكة [الذين وُكّلوا][٩٩٩] بالسحاب يزجرونها، يعني أنهم يؤتونها من موضع إلى موضع. الثاني: أن الملائكة لهم تأثيرات في قلوب بني آدم على سبيل الإلهامات، فهم يزجرونهم عن المعاصي زجراً. الثالث: لعل الملائكة أيضاً يزجرون الشياطين عن التعرض لبني آدم بالشر والإيذاء، وقد ثبت في العلوم العقلية أن الموجود على ثلاثة أقسام: مؤثر لا يقبل الأثر وهو الله سبحانه وتعالى، وهو أشرف الموجودات. ومتأثر لا يؤثر وهم عالم الأجسام، وهو أخس الموجودات. وموجود يؤثر في شيء ويؤثر عن شيء آخر، وهو عالم الأرواح، وذلك لأنها تقبل الأثر عن عالم كبرياء الله، ثم إنها تؤثر في عالم الأجسام. واعلم أن الجهة التي باعتبارها تقبل الأثر من عالم كبرياء الله، غير الجهة التي باعتبارها تستولي على عالم [الأجسام][١٠٠٠] وتقدر على التصرف فيها"[١٠٠١].

"وقوله: ﴿فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ إشارة إلى الأشرف من الجهة التي باعتبارها تقوى على التأثير في عالم الأجسام. إذا عرفت هذا فقوله: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ إشارة إلى وقوفها صفاً في مقام العبودية، والطاعة، والخشوع، والخضوع، وهي الجهة التي باعتبارها تقبل تلك الجواهر القدسية، أصناف الأنوار الإلهية، والكمالات الصمدية"[١٠٠٢].

"وقوله تعالى: ﴿فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ إشارة إلى تأثير الجواهر الملكية في تنوير الأرواح القدسية، وإخراجها من القوة إلى الفعل، وذلك أنه كالقطرة بالنسبة إلى البحر، وكالشعلة

---

[٩٩٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣١٤/٢٦.

[١٠٠٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣١٤/٢٦.

[١٠٠١] *مفاتيح الغيب*، ٣١٣/٢٦-٣١٤.

[١٠٠٢] *مفاتيح الغيب*، ٣١٤/٢٦.

بالنسبة إلى الشمس، وأن هذه الأرواح البشرية إنما تنتقل من القوة إلى الفعل في المعارف الإلهية، والكمالات الروحانية بتأثيرات جواهر الملائكة. ونظيره قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾[النحل:٢]، وقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٣]، وقوله تعالى: ﴿فَالْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾][1003][المرسلات:٥] وفي هذه الآية دقيقة أخرى، وهي أن الكمال المطلق للشيء [إنما يحصل][1004] إذا كان تاماً. والمراد بكونه تاماً أن تحصل أصناف الكمالات. ومن المعلوم أن يكون كاملاً في ذاته، مقدم على كونه مكملاً لغيره، فقوله: ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ إشارة إلى استكمال جواهر الملائكة في ذواتها وقت وقوفها في مواقف العبودية، وصفوف الخدمة والطاعة. وقوله: ﴿فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ إشارة إلى كيفية تأثيراتها في إزالة ما لا ينبغي عن جواهر الأرواح البشرية. وقوله تعالى: ﴿فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ إشارة إلى كيفية تأثيراتها في جلايا القدسية، والأنوار الإلهية، على الأرواح الناطقة البشرية، فهذه مناسبات عقلية واعتبارات دقيقة تنطبق على هذه الألفاظ الثلاثة. ويقال قوله تعالى: ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ المراد الصفوف الحاصلة عند أداء الصلوات بالجماعة، وقد تقدم هذا في التفسير الأول. وقوله: ﴿فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ إشارة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، كأنهم بسبب قراءة هذه الكلمة يزجرون الشياطين عن إلقاء الوساوس في قلوبهم في أثناء الصلاة. وقوله: ﴿فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ إشارة إلى قراءة القرآن في الصلاة. وقيل: ﴿فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ إشارة إلى رفع الصوت بالقراءة، كأنه يزجر الشيطان

---

[1003] سقط من الأصل كلمة (فالملقيات).

[1004] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣١٤/٢٦.

بواسطة رفع الصوت. وروي "أنه ﷺ طاف على بيوت أصحابه في الليالي، فسمع أبا بكر يقرأ بصوت منخفض، وسمع عمر يقرأ بصوت رفيع، فسأل أبا بكر: لم تقرأ هكذا؟ فقال: المعبود سميع عليم. وسأل عمر: لم تقرأ هكذا؟ فقال: أوقظ [الوسنان][١٠٠٥]، وأطرد الشيطان"[١٠٠٦]. ويقال قوله: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ الصفوف الحاصلة من العلماء المحققين الذين يدعون إلى دين الله تعالى. والمراد من قوله: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ اشتغالهم بالزجر عن الشبهات والشهوات. والمراد من قوله تعالى: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ اشتغالهم بالدعوة إلى دين الله تعالى، والترغيب في العمل بشرائع الله تعالى. ويقال: قوله: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ المراد آيات القرآن، فإنها أنواع مختلفة، بعضها في دلائل التوحيد، وبعضها في بيان التكاليف والأحكام، وبعضها في تعليم الأخلاق الفاضلة. وقوله: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ المراد منه الآيات الزاجرة عن الأفعال المنكرة. وقوله: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ المراد منه الآيات الدالة على وجوب الإقدام على أعمال البر والخير. وهذه جملة الوجوه المحتملة على تقدير أن تجعل هذه الألفاظ الثلاثة صفات لشيء واحد، وأما الاحتمال الثاني وهو أن يكون المراد بهذه الثلاثة أشياء متغايرة، فقيل: المراد بقوله: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ الطير، من قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾[النور:٤١]. (والزّاجرات) كل ما زجر عن معاصي الله. (والتّاليات) كل ما يتلى من كتاب الله. ثم إنه تعالى لما أقسم بهذه الأشياء الثلاثة فقال في جواب القسم: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ ذكر عقيبه ما هو الدليل

---

[١٠٠٥] في الأصل (الإنسان).

[١٠٠٦] أبو داود: *سنن أبي داود*، كتاب الصّلاة، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل،٢/٤٩٢، رقم (١٣٢٩). الترمذي: *سنن الترمذي*، باب ما جاء في القراءة بالليل،٢/٣٠٩، رقم (٤٤٧). ابن حبان: *صحيح ابن حبان*، كتاب الرقائق، باب قراءة القرآن،٣/٧. رقم (٧٣٣). الحاكم: *المستدرك*،١/٤٥٤، رقم (١١٦٨).

اليقيني في كون الإله واحداً، وهو قوله تعالى: ﴿رَبّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأرضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ المَشَٰرِقِ﴾ وذلك لأنه تعالى بين في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢] أن انتظام أحوال السماوات والأرض يدل على أن الإله واحد، فههنا لما قال: ﴿إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ أردفه بقوله: ﴿رَبّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأرضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ المَشَٰرِقِ﴾ كأنه قيل قد بيّنا أن النظر في انتظام هذا العالم يدل على كون الإله واحداً، فتأملوا ليحصل لكم العلم بالتوحيد"[١٠٠٧]. وقوله: ﴿وَرَبُّ المَشَارِقِ﴾ قد تقدم الكلام فيه.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَىٰ الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ "وقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ يعني أنه تعالى زيّنها لمعنيين: أحدهما: تحصيل الزينة. والثانية: الحفظ من الشيطان المارد"[١٠٠٨].

"وقوله: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَىٰ الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، بتشديد السين والميم وأصله (يتسمعون)، فأدغمت التاء في السين لاشتراكهما في الهمس، والباقون بتخفيف السين.

وقوله: ﴿إِلَىٰ الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ الملأ الأعلى الملائكة، لأنهم يسكنون السماوات. وأما الإنس والجن فهم الملأ الأسفل، لأنهم سكان الأرض.

---

[١٠٠٧] مفاتيح الغيب، ٢٦/٣١٤-٣١٦.

[١٠٠٨] مفاتيح الغيب، ٢٦/٣١٨.

وقوله: ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا﴾ قال مجاهد: دحوراً مطرودين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ والمعنى أنهم مرجومون بالشهب، وهذا العذاب مسلط عليهم على سبيل الدوام.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ وقوله: خطف اختلس، يعني أخذ الشيء بسرعة على وجه المسارقة. ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾ يعني لحقه شهاب ثاقب أي مضى في أثره، وإنما سمي ثاقباً لأنه يثقب بنوره الهواء"[١٠٠٩].

"قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ يعني استفتِ يا محمد هؤلاء المنكرين، أهم أشد أم من خلق السماوات والأرض وما بينهما وخلق المشارق [والمغارب][١٠١٠] وخلق الشياطين الذين يصعدون الفلك؟! ولا شك أنهم يعترفون بأن خلق هذا القسم أشقّ وأشدّ في العرف من خلق القسم الأول. فلما ثبت بالدلائل المذكورة في إثبات التوحيد كونه تعالى قادراً على هذا القسم الذي هو أشدّ وأصعب، فبأن يكون قادراً على إعادة الحياة في هذه الأجسام كان أولى، ونظير هذه الدلالة قوله تعالى في آخر يـــس: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

---

[١٠٠٩] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٣٢٠-٣٢١.

[١٠١٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٣٢٢.

بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾[يـــس:٨١]، وقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[غافر:٥٧]"[١٠١١].

"وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خلقناهم مّن طِينٍ لاَّزِبٍ﴾ والمعنى أن هذه الأجسام قابلة للحياة، إذ لو لم تكن قابلة للحياة، لما صارت حية في المرة الأولى، والإله قادر على خلق هذه الحياة في هذه الأجسام، ولولا كونه تعالى قادراً على هذا المعنى، لما حصلت الحياة [في المرة الأولى، ولا شك أن قابلية تلك الأجسام باقية وأن قادرية الله تعالى][١٠١٢] باقية، لأن هذه القابلية وهذه القادرية من الصفات الذاتية فامتنع زوالها"[١٠١٣].

"ثم قال: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ تقرير الكلام أن يقال: هؤلاء المنكرون أقروا بأنه تعالى قادر على تكوين أشياء أصعب من إعادة الحياة إلى هذه الأجساد، وقد تقرر في صرائح العقول أن القادر على الأشقّ الأشدّ يكون قادراً على الأسهل الأيسر، ثم مع قيام هذه الحجة البديهية بقي هؤلاء الأقوام مصرين على إنكار البعث والقيامة، وهذا في موضع التعجب الشديد، فإن مع ظهور هذه الحجة الجلية الظاهرة، كيف يعقل بقاء القوم على الإصرار في الإنكار؟! فأنت يا محمد تتعجب من إصرارهم على الإنكار، وهم في طرف الإنكار وصلوا

---

[١٠١١] *مفاتيح الغيب*، ٣٢٢/٢٦.

[١٠١٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٢٢/٢٦.

[١٠١٣] *مفاتيح الغيب*، ٣٢٢/٢٦.

إلى حيث يسخرون منك في قولك بإثبات الحشر، والنشر، والبعث، والقيامة. وهذا هو المراد من قوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾"[١٠١٤].

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

"قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ يشير إلى صفوف الأرواح، وأنهم لما خلقوا قبل الأجساد كانوا في أربع صفوف: الصف الأول: أرواح الأنبياء والمرسلين – عليهما السلام – . وكان الصف الثاني: أرواح الأولياء والأصفياء. وكان الصف الثالث: أرواح المؤمنين والمسلمين. وكان الصف الرابع: أرواح الكفار والمنافقين. ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ الإلهامات الربانية الزاجرات العوام عن المناهي، والخواص عن رؤية الطاعات، والأخص عن الالتفات إلى الكونين. ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ هم الذاكرون الله كثيرا والذاكرات.

والمقسوم عليه: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ فلا تتخذوا من دونه آلهة من الدنيا، والهوى، والشيطان. ومعنى كونه واحداً، تفرده في حقه عن القسيم، وتقدسه في وجوده عن الشبيه، وتنزهه في ملكه عن الشريك، واحد في جلاله، أحد باستحقاق جماله، واحد في أفعاله، أحد في كبريائه، بنعت علائه، ووصف سنائه.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ سماوات الروح. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ أرض النفوس. ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من صفات النفوس، وصفات القلوب. ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ القلوب تطلع منها شموس [الشواهد][١٠١٥]، وأقمار الطوالع، ونجوم اللوامع.

---

[١٠١٤] مفاتيح الغيب، ٣٢٣/٢٦.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ يشير به إلى الرأس، فإنه بالنسبة إلى البدن كالسماء، مزين كواكب الحواس، وأيضاً زيَّن سماء الدنيا بالنجوم، وزيَّن قلوب أوليائه بنجوم المعارف والأقوال، وكما حفظ السماوات بأن جعل النجوم للشياطين رجوماً، كذلك زين القلوب بأنوار التوحيد، فإذا قرب منها الشياطين رجموهم بنجوم معارفهم.

كما قال: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ يعني من شياطين الإنس.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وهم أرباب الحقائق. ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا﴾ يرمون كلماتهم الشريفة من كل جانب من جوانب أصحاب الأنفاس، فيلقونها إلى أوليائهم من مدعي هذا الحديث، من دعوتهم أكثر من معناهم على [غير][١٠١٦] وجهها، فيفهمون هؤلاء منها ما يقرب إلى طبعهم وهواهم، ويتوهمون أنها من الحقائق والأسرار، فإنهم بهذه الخيالات الفاسدة، والتمويهات الكاسدة، صاروا من أهل [الأسرار][١٠١٧] وأرباب الحقائق، وبهذا التمني يخالفون الشريعة، [وشموس][١٠١٨] الحقيقة، فَضَلُّوا وأضَلُّوا كثيراً، فيستحقون بهذا الطرد والإبعاد.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ كذلك إذا اغتمّ الشيطان من الأولياء أن يلقي إليهم من وساوسه تذكروا فإذا هم مبصرون.

---

[١٠١٥] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ١٥٨/٥.

[١٠١٦] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ١٥٨/٥.

[١٠١٧] في الأصل (الأمل)، وصححتها من *التأويلات النجمية*، ١٥٨/٥.

[١٠١٨] في الأصل (ويسمون)، وصححتها من *التأويلات النجمية*، ١٥٨/٥.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ عرفهم عجزهم عن الإثبات، وضعفهم في كل حال، ثم ذكرهم نسبتهم أنها إلى الطين اللازب، كما قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ يشير به إلى أنه تعالى أودع في طينة الإنسانية خصوصية لزوب، ويصدف بكل شيء صادفه، فصادف قوم الدنيا فلصقوا بها، وصادف قوم الآخرة فلصقوا بها، وصادف قوم نفحات ألطاف الحق فلصقوا بها فأذابتهم وجذبتهم من أنانيتهم بهويتها، كما تذيب الشمس الثلج وتجذبه.

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ هذا إذا تحققت هذا المعنى، ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ بهؤلاء المحرومون عن هذه السعادة"[١٠١٩].

[فصل في التفسير الصوفي النظري]

"قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ أقسم بنفوس السالكين في سبيله طريق التوحيد، الصّافّات في مقاماتهم، ومراتب تجلياتهم، ومواقف مشاهداتهم. ﴿صَفًّا﴾ واحدا في التوجه إليه. ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾ دواعي الشياطين، ونوازع التمنيات النفسانية. ﴿زَجْرًا﴾ بالأنوار، والأذكار، والبراهين. ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾ نوعا من أنواع الأذكار، بحسب أحوالهم باللسان، أوالقلب، أوالسرّ، أوالروح، كما ذكر غير مرة على وحدانية معبودهم، لتثبيتهم في التوجه عن الزيغ والانحراف، بالالتفات إلى الغير.

---

[١٠١٩] *التأويلات النجمية*، ٥/١٥٧-١٥٩.

﴿إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ رَبُّ﴾ سماوات الغيوب السبعة التي هم سائرون فيها. ﴿وَالأَرْضِ﴾ أرض البدن. ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ تجليّات الأنوار الصفاتية.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي العقل الذي هو أقرب السماوات الروحانية بالنسبة إلى القلب. ﴿بِزِينَةٍ﴾ كواكب الحجج والبراهين.

﴿وَحِفْظًا﴾ أي وحفظناها ﴿مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ﴾ من شياطين الوهم والقوى التخيلية عند الترقي إلى أفق العقل. ﴿مَّارِدٍ﴾ خارج عن طاعة الحق والعقل.

﴿لاَّ يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلإِ ٱلأَعْلَىٰ﴾ من الروحانيات، والملكوت السماوية بتلك الحجج. ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ من جميع الجهات السماوية. ﴿دُحُورًا﴾ الدحور الطرد، أو مدحورين مطرودين. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ دائم بالرياضة، وأنواع الزجر في المخالفات. ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ في الاسترق فموّه كلامه بهيئة عقلية، وأوهم العقل بصورة نورية، استفادها من كلمة حق ملكية. ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ من برهان نيّر عقلي، أوإشراق نور قدسي، فأبطلها، وطرد الجنّي بنفي الصورة [الوهمية التي][١٠٢٠] أوهمها"[١٠٢١]. هذا هو الباطن، والإقرار بظواهرها واجب، والله أعلم بسرائر الأمور.

﴿وَإِذا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ (١٥) أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآباؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ

---

[١٠٢٠] سقط من الأصل، وكتبتها من تفسير ابن عربي، ١٦٣/٢.

[١٠٢١] تفسير ابن عربي، ١٦٢/٢-١٦٣.

نَعَمْ وَأَنْتُمْ داخِرُونَ (١٨) فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ فَإِذا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩) وَقالُوا يا وَيْلَنا هذا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَذا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْواجَهُمْ وَما كانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلى صِراطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لا تَناصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ (٢٧) قالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طاغِينَ (٣٠)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن خذلان أهل الحرمان بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لاَ يَذْكُرُونَ﴾ يعني وإذا وُعِّظُوا بالقرآن لا يتعظون"[١٠٢٢].

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً﴾ "يعني علامة، مثل انشقاق القمر. ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يعني يسخرون ويستهزئون.

﴿وَقَالُوٓاْ إِن هَـٰذَآ إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يعني وما هذا إلا تمويه ظاهر.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ يسخرون بهذا أيضا منكم.

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلأَوَّلُونَ﴾ يعني يُبعثون. وقيل تقديره: أنحن وآباؤنا نُبعث؟

﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تُبعثون. ﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ يعني أذلاء صاغرون.

---

[١٠٢٢] التيسير في التفسير، ١٢/٣٩٧.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ قيل: صيحة واحدة. قال الحسن: هي النفخة الثانية. ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ من قبورهم ينظرون إلى مايرونه من الأهوال.

﴿وَقَالُواْ يٰوَيْلَنَا هَـٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي يوم الجزاء. وقيل: الحساب. وقيل: القضاء.

﴿هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ يعني ردت الملائكة قولهم. ويقولون هذا يوم الفصل يعني يوم القضاء الحقّ، لأنه هو الذي ينفذ فيفصل به الخصومة. وقيل: يوم تفريق الأحبة والأقارب بعضهم من بعض باختلاف الأجزية والأمكنة.

﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ يعني سوقوا الذين كفروا، ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ يعني وأشباههم. ويقال: قرناءهم، وضرباءهم. ويقال: أشياعهم، وأعوانهم. ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني ومن الشياطين الذين أضلوهم. ويقال: كل معبود وكل من يطاع في المعصية.

﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾ يعني ادعوهم جميعا. ويقال: اذهبوا بهم وسوقوهم جميعا. ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ والجحيم ماعظم من النار. ويقال: إلى وسط الجحيم.

﴿وَقِفُوهُمْ﴾ يعني فلما انطلق بهم إلى جهنم أرسل الله ملكاً [يقول][١٠٢٣]: ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ أي احبسوهم. ﴿إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾ يعني عن ترك قول: "لا إله إلا الله". ويقال: في الآية تقديم، يعني يقال لهم: قفوا فوقفوا، ويسألوا" [١٠٢٤].

---

[١٠٢٣] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/١٣٩.

[١٠٢٤] التيسير في التفسير، ١٢/٣٩٨-٣٩٩، بحر العلوم، ٣/١٣٨-١٣٩.

"ثم يساق بهم إلى الجحيم فيقال لهم: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ﴾ يعني لم لا ينصر بعضكم بعضاً، ولا يدفع بعضكم عن بعض كما كنتم تفعلون في الدنيا.

﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ يعني خاضعون ذليلون.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يعني يسأل ويخاصم بعضهم بعضاً القادة والسفلة، والعابد، والمعبود، ومتابعي الشيطان للشيطان. ويقال: ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ يعني يتلاومون. قالُوا يعني السفلة للرؤساء: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ يعني كنتم تمنعونا عن الدين الحق، وعن الطاعة، وتلبسون ذلك علينا"[١٠٢٥]. "وقال الفراء-رحمه الله-: إنكم كنتم تأتوننا من قبل الدين فتخدعوننا عنه بأقوى الوجوه. وقيل: معناه تصدوننا عن طريق الجنة، وسبيل النجاة.﴿قَالُواْ بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي لم تكونوا على حق. ويقال معناه: قالت السفلة للقادة: إنكم كنتم تأتوننا بأقوى الحيل، وتزينوا أعمالنا وأضللتمونا. قال لهم السادة: ماكان لكم منا، بل لم تؤمنوا ولم تقرّوا به. ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَنٍ﴾ أي تسلط بحجة ولا قهر. ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ أي مجاوزين حدود الشرع"[١٠٢٦].

[فصل في التفسير بالرأي]

"قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لاَ يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ واعلم أنه تعالى لما قرر الدليل القاطع في إثبات البعث والقيامة، حكى عن المنكرين أشياء، أولها: أن النبي

---

[١٠٢٥] بحر العلوم، ٣/١٣٩.

[١٠٢٦] التيسير في التفسير، ١٢/٤٠٣-٤٠٤.

ﷺ يتعجب من إصرارهم على الإنكار، وهم يسخرون منه إصراره على الإثبات، وهذا يدل على أنه ﷺ مع أولئك الأقوام كانوا في غاية التباعد وفي طرفي النقيض. وثانيها: قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لاَ يَذْكُرُونَ﴾. وثالثها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾. واعلم أن الفرق بين قوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾، وبين قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ وهو أن المراد من قوله: ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ إقدامهم على السخرية. ومن قوله: ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ طلب كل واحد منهم من صاحبه أن يقدم على السخرية. ورابعها: من الأمور التي حكاها الله تعالى عنهم، أنهم قالوا: ﴿إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يعني أنهم إذا رأوا آية ومعجزة سخروا منها، والسبب في تلك السخرية اعتقادهم يعني أنهم إذا رأوا آية أو معجزة أنها من باب السحر. وقوله: ﴿مُّبِينٌ﴾ معناه أن كونه سحراً أمر بيّن لا شبهة لأحد فيه. ثم بيّن تعالى أن السبب الذي يحملهم على الاستهزاء بجميع المعجزات هو قولهم إن الذي مات وتفرقت أجزاؤه في [جملة][١٠٢٧] العالم فما فيه من الأرضية اختلط [بتراب الأرض وما فيه من المائية والهوائية اختلط][١٠٢٨] ببخارات العالم فهذا الإنسان كيف يعقل عَودُه بعينه حيّاً؟! فهذا الكلام هو الذي يحملهم على تلك الأحوال الثلاثة المتقدمة، لأنه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة قال: قل يا محمد نعم وأنتم داخرون. وإنما اكتفى تعالى بهذا القدر من الجواب لأنه ذكر في الآية المتقدمة بالبرهان اليقيني القطعي أنه أمر ممكن وإذا ثبت الجواب القطعي فلا سبيل إلى القطع بالوقوع إلا بإخبار المخبر الصادق، فلما قامت المعجزات على صدق محمد ﷺ كان واجب

---

[١٠٢٧] في الأصل (جهة)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٣٢٥.

[١٠٢٨] سقط من الأصل، وكتبتها من من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٣٢٥.

الصدق فكان مجرد قوله: ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ دليلاً قطعياً على الوقوع. ومن تأمل في هذه الآيات علم أنها وردت على أحسن وجوه الترتيب، وذلك لأنه بيّن الإمكان بالدليل القطعي، وبيّن وقوع ذلك الممكن بالدليل السمعي، ومن المعلوم أن الزيادة على هذا البيان كالأمر الممتنع"[١٠٢٩].

"قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا يٰوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) احْشُرُواْ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ اعلم أنه تعالى لما بيّن في الآية المتقدمة مايدل على إمكان البعث والقيامة، ثم أردف بما يدل على وقوع القيامة، وذكر في هذه الآيات بعض تفاصيل أحوال القيامة، وأنه تعالى ذكر في هذه الآية أنواعاً من تلك الأحوال فالحالة الأولى: قوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا﴾ شرط مقدر والتقدير إذا كان كذلك فما هي إلا زجرة واحدة.

وقوله: ﴿هِيَ﴾ في قوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ ضمير على شريطة التفسير، والتقدير فإنما البعث زجرة واحدة. وقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ يحتمل أن يكون المراد: ينتظرون ما يحدث بهم. ويحتمل: ينظر بعضهم إلى بعض، ويحتمل أن يكون المراد: ينظرون إلى البعث الذي كذبوا به. الحالة الثانية: من وقائع القيامة ما أخبر الله عنهم أنهم بعد القيام من القبور قالوا:

---

[١٠٢٩] مفاتيح الغيب، ٣٢٤/٢٦-٣٢٥.

﴿يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ قال الزجاج: الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة. والمقصود أنهم لما شاهدوا القيامة قالوا: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء. والمقصود أن الله تعالى ذكر في آيات كثيرة من القرآن، أنا نرى في الدنيا محسناً، ومسيئاً، وعاصياً، وصِدّيقاً، وتقياً، ورأينا أنه لم يصل إليهم في الدنيا ما يليق بهم من الجزاء، فوجب القول بإثبات القيامة، ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَآءُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[النجم:٣١]. وبالجملة فهذا يدل على أن دار الجزاء إنما يحصل بعد الموت، والكفار وإن سمعوا هذا الدليل القوي لكنهم أنكروا وتمردوا، ثم إنه تعالى إذا أحياهم يوم القيامة، فإذا شاهدوا القيامة تذكروا ذلك، وقالوا: هذا اليوم هو يوم الدين، أي يوم الجزاء الذي ذكر الله الدلائل الكثيرة عليه في القرآن فكفرنا بها. وفيه احتمال آخر: وهو أنه تعالى قال في سورة الفاتحة: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[الفاتحة:٤] فبيّن أنه لا مالك في ذلك اليوم إلا الله، فقولهم هذا يوم الدين، إشارة إلى أن هذا اليوم هو اليوم الذي لا حكم فيه لأحد إلا الله. وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ واختلفوا في أن هذا هو من بقية كلام الكفار أو كلام غيرهم. قال بعضهم: هو من كلام الكفار بعضهم لبعض. وقال بعضهم: كلام الملائكة"[١٠٣٠]. وقد مرّ هذا.

---

[١٠٣٠] مفاتيح الغيب، ٢٦/٣٢٦-٣٢٧.

"وقوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ يعني قال الله تعالى للملائكة: ﴿ٱحْشُرُواْ﴾ إلى موقف السؤال. والمراد من الحشر أن الملائكة يسوقونهم إلى ذلك الموقف"[١٠٣١]. وقد مرّ هذا.

"واعلم أنه تعالى أمر الملائكة بحشر ثلاثة أشياء: الظالمين، وأزواجهم، والأشياء التي كانوا يعبدونها. وفيه فوائد:الأولى: أنه تعالى قال: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ ثم ذكر من صفات الذين ظلموا كونهم عابدين لغير الله، وهذا يدل على أن الظالم المطلق هو الكافر، وذلك يدل على أن كل وعيد ورد في حق الظالم فهو مصروف إلى الكفار، ومما يؤكد هذا في قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[البقرة:٢٥٤]. الفائدة الثانية: اختلفوا في المراد بأزواجهم، وفيه ثلاثة أقوال: الأول: المراد بأزواجهم وأتباعهم، أي أضرابُهم ونظراؤهم من الكفرة، واليهودي مع اليهودي، والنصراني مع النصراني. والذي يدل على جواز أن يكون المراد من الأزواج (الأشباه)، وجوه: الأول: قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾[الواقعة:٧] أي أشكالاً وأشباهاً. الثاني: أنك تقول: عندي من هذا أزواج، أي أمثال. والمراد من الحشر أن الملائكة يسوقونهم إلى ذلك الموقف. القول الثاني في تفسير الأزواج: أن المراد قرناؤهم من الشياطين، لقوله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ﴾[الأعراف:٢٠٢]. والقول الثالث: نساؤهم اللواتي على دينهم. والمراد بقوله: ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الأوثان. كما قال في آية أخرى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ

---

[١٠٣١] مفاتيح الغيب، ٣٢٨/٢٦.

جَهَنَّمَ﴾[١٠٣٢] [الأنبياء: ٩٨]. أما قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[البقرة:٢٤]، قيل: المراد بالناس، عباد الأوثان. وبالحجارة، الأوثان التي هي أحجار منحوتة"[١٠٣٣].

"وقوله: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ قال ابن عباس: دلوهم يقال هديت الرجل إذا دللته وإنما استعملت الهداية ههنا، لأنه جعل بدل الهداية إلى الجنة، كما قال: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[آل عمران:٢١] فوقعت البشارة بالعذاب لهؤلاء بدل البشارة بالنعيم. وعن ابن عباس – رضي الله عنهما–:﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾ سوقوهم. وقال الأصم: قدموهم.

وقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ عن أعمالهم وأقوالهم في الدنيا. وقيل: المراد سألتهم الخزنة: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[الزمر:٧١]. ويجوز أن يكون هذا السؤال ما ذكر بعد ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ﴾ أي أنهم يسألون توبيخاً لهم، فيقال: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ﴾ وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر: نحن جميع منتصر. فقيل لهم يوم القيامة: ما لكم غير متناصرين؟! وقيل: يقال للكفار: ما لشركائكم لا يمنعونكم من العذاب؟!"[١٠٣٤].

---

[١٠٣٢] في الأصل (وماكانوا يعبدون من دون الله حصب جهنم)، وهو خطأ في كتابة الآية.

[١٠٣٣] *مفاتيح الغيب*، ٣٢٨/٢٦.

[١٠٣٤] *مفاتيح الغيب*، ٣٢٧/٢٦–٣٢٨.

﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ يقال: استسلم للشيء، إذا انقاد له وخضع. ومعناه في الأصل، طلب السلامة بترك المنازعة، والمقصود أنهم صاروا منقادين لا حيلة لهم في دفع تلك [المضار لا العابد ولا المعبود][١٠٣٥].

"وقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ﴾ قيل: هُمْ والشياطين، وقيل: الرؤساء [والأتباع][١٠٣٦]. ﴿يَتَسَاءلُونَ﴾ أي يسأل بعضهم بعضاً، وهذا التساؤل عبارة عن التخاصم"[١٠٣٧]. وقد تقدم هذا.

"قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ (٢٨) قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ واعلم أن الله تعالى لما حكى عنهم أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، شرح كيفية تلك المساءلة، فقال: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ وهذا قول الأتباع لمن دعاهم إلى الضلالة، وفي تفسير اليمين وجوه: الأول: أن لفظ اليمين ههنا استعارة عن الخيرات والسعادات. وبيان كيفية هذه الاستعارة، أن الجانب الأيمن أفضل من الجانب الأيسر لوجوه: الأول: اتفاق الكل. الثاني: لا تباشر الأعمال الشريفة إلا باليمين، مثل: مصافحة الأخيار، والأكل، والشرب. الثالث: أنهم كانوا يتفاءلون وكانوا يتيمنون بالجانب الأيمن. الرابع: أن النبي ﷺ كان يحب التيامن في كل شيء. وإذا كان كذلك لا جرم، استعير لفظ اليمين للخيرات والحسنات والطاعات، فقوله: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ

---

[١٠٣٥] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٢٩/٢٦.

[١٠٣٦] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٢٩/٢٦.

[١٠٣٧] *مفاتيح الغيب*، ٣٢٩/٢٦.

تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ يعني أنكم تخدعوننا وتوهمون لنا أن مقصودكم من الدعوة إلى تلك الأديان نصرة الحق، وتقوية الصدق. ويقال: أن أئمة الكفار كانوا قد حلفوا لهؤلاء المستضعفين أن ما يدعونهم إليه هو الحق، فوثقوا بأيْمانهم، وتمسكوا بعهودهم التي عهدوها إليهم، فهو معنى قوله: ﴿كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾.

ثم حكى تعالى عن الرؤساء أنهم أجابوا الأتباع من وجوه: الأول: أنهم قالوا لهم ﴿بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني أنكم ما كنتم موصوفين بالإيمان. الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ﴾ لا قدرة لناعليكم حتى نقهركم ونجبركم. الثالث: ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ أي ضالـــين غالـــين في معصية الله"[١٠٣٨].

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

"قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لاَ يَذْكُرُونَ﴾، يشير إلى أنهم نسوا الله غاية النسيان بحيث لا يذكرونه. ﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ﴾ يعني: الله.

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ آيَةً﴾ يعني: رجلاً يكون آية من آيات الله.﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يسخرون به، ويعرضون عن الإيمان. ويقولون لِمَا يأتي به: ﴿إِنْ هَـــذَآ إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآبَآؤُنَا ٱلأَوَّلُونَ﴾ يبعثون. قالوا: هي جهة الاستبعاد والمعرفة لهم مفقودة، والبصائر لهم مسدودة، وقلوبهم عن التوحيد مصدودة.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ على وجه الفقر تبعثون، وبزجرةٍ واحدةٍ تحشرون.

---

[١٠٣٨] مفاتيح الغيب، ٢٦/٣٣٠.

كما قال: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ حيارى كأنهم سكارى.

﴿وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ دعوا بالويل على أنفسهم حين لا ينفعهم الويل.

فيقال لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ كذبتم وقد عاينتم الذي تكذبون به.

﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ يشير به إلى النفوس وأجسادها. ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الهوى، والدنيا، والشيطان. ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ فإنهم كانوا في الدنيا يهدون إلى هذا الصراط، فإنهم يحشرون على ما ماتوا عليه، وكذلك من أعان صاحب فترة في فترته، أو صاحب زلة في زلته، كان مشاركاً في عقوبته، واستحقاق طرده [وإبعاده][١٠٣٩]، كما اشتركت النفوس والأجساد في الثواب والعقاب.

قوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْئُولُونَ﴾، فيه إشارة إلى أن للسالك في كل مقام وقفة تناسب ذلك المقام، وهو مسئول عن أداء حقوق ذلك المقام، فإن خرج عن عهدة جوابه بالصواب، أذن في العبور، وإلاَّ بقي موقوفاً رهيناً بأحواله إلى أن يؤدي حقوقه. فمن السؤال قوم سألهم المَلِك، وقوم سألهم المَلَـك، فالذين يسألهم الملائكة أقوام لهم أعمال صالحة تصلح للعرض والكشف، وأقوام لهم أعمال لا تصلح للكشف، وهم قسمان: الخواص يسترهم الحق من إطلاع [الخلق][١٠٤٠] عليهم في الدنيا والآخرة. وأقوام هم أرباب الزلات يختصهم الله برحمته

---

[١٠٣٩] في الأصل (وإعانته)، وصححتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٦٠.

[١٠٤٠] في الأصل (الحق)، وصححتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٦٠.

فلا يفضحهم. ثم إنهم يكونون في بعض أحوالهم بعين الهيبة، وفي بعض أحوالهم بنعت البسط والقربة. وفي الخبر: إن قوماً يسترهم بكنفه. عن عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله يُدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس، فيقول: أي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم أي ربّ، ثم يقول: أي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم أي ربّ. حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه قد هلك، قال: فإني سترتها عليك في الدنيا، وقد غفرتها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين"[١٠٤١]. حديث متفق على صحته.

وأما الأغيار والأجانب فيقال لهم:﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء:١٤] فإذا قرءوا كتابهم يقال: ما جزاء من عمل هذا؟ فيقولون: جزاؤه النار، فيقال لهم: ادخلوها بحكمكم.

ثم يقال لهم في بعض أحوال استيلاء الفزع عليهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ بالاضطرار.

وبقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ يتخاصمون، يشير إلى أن دأب أهل الدنيا أنهم يلقون ذنب بعضهم على بعض، ويدفعون عن أنفسهم البلاء، ويرضون لإخوانهم ما لا يرضون لأنفسهم. وهمّة أهل الدين أنهم يضعون ذنب الإخوان على أنفسهم، ويبرءون

---

[١٠٤١] البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[هود:١٨]،١٢٨/٣، رقم (٢٤٤١).

أعراض الإخوان عن تهمة الذنوب، ويتهمون أنفسهم بها، كما أن عيسى – عليه السّلام – رأى رجلاً قد سرق شيئاً فقال له: أسرقت؟ قال: لا والذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: صدقت وكذبت عيناي.

وبقوله: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي أضللتمونا عن الدين، يشير إلى أن من كان مؤمناً حقيقياً لا يقدر أحد على إضلاله، ولكن الذين اتخذوا الإيمان بالتقليد لا بالتحقيق، فيضلون بإضلال أهل الأهواء والبدع. كما أشار إلى هذا المعنى بقوله: ﴿قَالُواْ بَلْ لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي إذ كان لكم نفوس أمارة، بل كان تقليدياً، فزال بأدنى شبهة. ويستدلون على هذا المعنى بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ ليزيل إيمانكم عنكم بالقهر والغلبة على قلوبكم. ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ إذ كان لكم نفوس أمّارات بالسوء طغت عليكم نفوسكم، وأضلتكم عن سواء السبيل"[١٠٤٢]. والله أعلم بسرائر الأمور.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ1 مِنْ مَعِينٍ

---

[١٠٤٢] *التأويلات النجمية*، ٥/١٥٩-١٦١.

(٤٥) بَيْضاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لا فِيها غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن إقرارهم بعد إنكارهم بقوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ أي وعيد ربنا: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية [السجدة:١٣]. ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ العذاب جميعا في النار.

﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ أضللناكم عن الهدى. ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ يعني ضالين.

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني الكفار والشياطين. ويقال: أي السادة والأتباع يوم القيامة. ﴿فِى الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ يعني شركاء في النار، وفي العذاب.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ يعني هكذا نفعل بمن يشرك، فنجمع بينهم وبين الذين أضلّوهم في النار.

ثم أخبر عنهم فقال: ﴿إِنَّهُمْ كانُوا﴾ في الدنيا. ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ يعني قولوا: لا إله [إلا الله][١٠٤٣] ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عنها فلا يقولونها.

﴿وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا﴾ يعني أنترك عبادة آلهتنا ﴿لِشَاعِرٍ﴾ يعني لقول شاعر ﴿مَجْنُونٍ﴾ أي مغلوب على عقله؟!"[١٠٤٤].

---

[١٠٤٣] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/١٤٠.

[١٠٤٤] بحر العلوم، ٣/١٤٠.

"يقول الله تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ يعني بالقرآن. ويقال: بأمر التوحيد. ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قال مقاتل: يعني صدق محمد ﷺ بالمرسلين الذين قبله[١٠٤٥]. ويقال: معناه جاء بموافقة المرسلين.

﴿إِنَّكُمْ﴾ يعني العابد والمعبود. ﴿لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ يعني لتصيبوا العذاب الوجيع الدائم. ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي والشرك.

ثم استثنى المؤمنين فقال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الموحدين. ويقال: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى (لكن)، يعني لكن عباد الله المخلصين.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ يعني طعاما معروفا معلوما حين يشتهونه على غدوة وعشية.

ثم بيّن الرزق فقال: ﴿فَوَاكِهُ﴾ يعني ألوان الفواكه. ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ بالثواب. ويقال: منعمون.

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ في الزيارة.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني يطوف عليهم خدمهم. ﴿بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ يعني خمراً جارياً من معين.

﴿بَيْضَاءَ﴾ بصفاء مافيها. ﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ أي لشاربيها.

---

[١٠٤٥] مقاتل: تفسير مقاتل ٣/٦٠٦.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ يعني ليس فيها إثم، ولا يوجع منها الرأس. وروى شريك عن سالم قال: ﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ﴾ يعني لا فيها مكروه، ولا أذى. وقال القتبي: ﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ﴾ يعني لا تغتال عقولهم، فتذهب بها. ﴿وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ فمعناه لا تُزال عقولهم. قرأ حمزة والكسائي بكسر الزَّاي. [وقرأ الباقون: بالنصب فمن قرأ بالنصب فمعناه: لا يذهب عقولهم شربها. ويقال للسكران: نزيف ومنزوف إذا زال عقله. ومن قرأ بالكسر،][١٠٤٦] فله معنيان: أحدهما: لا ينفد شرابهم أبداً. والثاني: أنهم لا يسكرون.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ﴾ يعني غاضَّات الأعين عن غير أزواجهن. يعني قصرن طرفهن على أزواجهن. ﴿عِينٌ﴾ يعني حسان الأعين شدة البياض في شدة السواد. ويقال: كبيرة الأعين. وقال الحسن: [العيناء][١٠٤٧] التي سواد عينها أكثر من بياضها.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ يعني إنهن في البياض مثل بيض النعام. ويقال: البيض أراد به القشر الداخل من البيض"[١٠٤٨]. ﴿مَكْنُونٌ﴾ "أي مصون ومستور. وقيل: أراد به المصون عن الكسر، أراد به عذارى صحيحات"[١٠٤٩].

[فصل في التفسير بالرأي]

---

[١٠٤٦] سقط من الأصل، وكتبتها من *بحر العلوم*، ٣/١٤١.

[١٠٤٧] في الأصل (العينان)، وصححتها من *بحر العلوم*، ٣/١٤١.

[١٠٤٨] *بحر العلوم*، ٣/١٤٠-١٤١.

[١٠٤٩] *التيسير في التفسير*، ١٢/٤١٠.

"قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾، قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ إشارة إلى قول الله لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص: ٨٤].

قوله: ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ والمعنى إنما أقدمنا على إغوائكم لأنا كنا موصوفين في أنفسنا بالغواية، وفيه دقيقة أخرى، كأنهم قالوا: إن اعتقدتم أن غوايتكم بسبب إغوائنا فغوايتنا إن كانت بسبب إغواء غاوآخر لزم التسلسل وذلك محال، فعلمنا أن حصول الغواية والوساوس ليس من قبلنا، بل من قبل غيرنا، وذلك الغير هو الذي ذكره فيما قبل، وهو قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾. ولما حكى الله تعالى كلام الأتباع للرؤساء، وكلام الرؤساء للأتباع قال بعده: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ يعني فالمتبوع والتابع، والمخدوم والخادم، مشتركون في الوقوع في العذاب كما كانوا في الدنيا مشتركين في الغواية، ثم قال أيضاً: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وعنى بالمجرمين ههنا الكفار، بدليل أنه تعالى قال بعد هذه الكلمة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ والضمير في قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ عائد إلى المذكور السابق، وهو قوله: ﴿بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وهذا يدل على أن لفظ المجرم المطلق يختص في القرآن بالكافر، ثم بيّن تعالى أنهم إنما وقعوا في ذلك العذاب لأنهم كانوا مكذبين بالتوحيد وبالنبوة، أما التكذيب [بالتوحيد][١٠٥٠] فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يعني ينكرون ويتعصبون لإثبات الشرك، ويستنكفون

---

[١٠٥٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٣١/٢٦.

عن الإقرار بالتوحيد. وأما التكذيب بالنبوة فهو قولهم: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ ويعنون محمداً. ثم إنه تعالى كذبهم في ذلك الكلام فقال: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وتقرير هذا الكلام أنه جاء بالدين الحق، لأنه ثبت بالعقل أنه تعالى منزّه عن الضدّ، والندّ، والشريك، فلما جاءه محمد ﷺ بتقرير هذه المقالة كان مجيئه بالدين.

قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يعني صدقهم في مجيئهم في التوحيد ونفي الشريك، وهذا تنبيه على أن القول بالتوحيد دين لكل الأنبياء، ولما حكى الله عنهم تكذيبهم بالتوحيد والنبوة نقل الكلام من الغيبة إلى الحضور، فقال: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلأَلِيمِ﴾ كأنه قيل: فكيف يليق بالكريم الرحيم المتعالي عن النفع والضر أن [يعذب][١٠٥١] عباده؟! فأجاب عنه بقوله: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، والمعنى أن الحكم يقتضي الأمر بالحسن والطاعة، والنهي عن القبيح والمعصية. [والأمر والنهي لا يكمل المقصود منهما إلا بالترغيب في الثواب، والترهيب بالعقاب][١٠٥٢]، وإذا وقع الإخبار عنه وجب تحقيقه صوناً للكلام عن الكذب، فلهذا السبب وقعوا في العذاب"[١٠٥٣].

ثم قال: ﴿إِلاَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ يعني ولكن عباد الله [المخلصين ناجون وهو من الاستثناء المنقطع][١٠٥٤].

---

[١٠٥١] في الأصل (لا يعذب)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٣٣١.

[١٠٥٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٣٣١.

[١٠٥٣] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٣٣٠-٣٣١.

[١٠٥٤] سقط من الأصل إلا (من الاستثناء)، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٣٣١.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ "اعلم أنه تعالى لما وصف أحوال المنكرين عن قبول التوحيد، المصرين على إنكار [النبوة][١٠٥٥]، أردفه بذكر حال المخلصين في كيفية الثواب.

وفي لام قوله: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ قراءتان، فالفتح أن الله تعالى أخلصهم بلطفه واصطفاهم بفضله. والكسر هو أنهم أخلصوا الطاعة لله تعالى[١٠٥٦].

اعلم أنه تعالى وصف رزقهم بكونه معلوماً، ولم يبين أن أيّ الصفات منه هو المعلوم، فلذلك اختلفت الأقوال، فقيل: معناه إن ذلك الرزق معلوم الوقت، وهو مقدار غدوة وعشية، وإن لم يكن ثمة لا بكرة ولا عشية. وقيل: معناه أن ذلك الرزق معلوم الصفة، لكونه مخصوصاً بخصائص خلقها الله فيها من طيب طعم، ورائحة، ولذة، وحسن منظر. وقيل: معناه أنهم [يتيقنون][١٠٥٧] دوامه لا كرزق الدنيا الذي لا يعلم متى يحصل ولا متى ينقطع. وقيل: أنه القدر الذي يستحقونه بأعمالهم من ثواب الله وكرامته عليهم. وقد بيّن تعالى أنه يعطيهم غير ذلك على سبيل التفضيل، ثم لما ذكر تعالى أن لهم رزقاً بيّن أن ذلك الرزق ما هو فقال: ﴿فَوَاكِهُ﴾ وهي عبارة عما يؤكل لأجل التلذذ لا لأجل الحاجة، وأرزاق أهل الجنة كلها

---

[١٠٥٥] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٣٢/٢٦.

[١٠٥٦] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام، وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام. ابن مجاهد: *السبعة في القراءات*، ص ٣٤٨.

[١٠٥٧] في الأصل (ينتفعون)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٣٢/٢٦.

فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات فإنهم أجسام مخلوقة للأبد، فكل ما يأكلونه فهو على سبيل التلذذ. اعلم أنه تعالى لما ذكر الأكل بيّن أن ذلك الأكل حاصل مع الإكرام والتعظيم، فقال: ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ لأن الأكل الخالي عن التعظيم يليق بالبهائم.

ولما ذكر تعالى مأكولهم، وصف تعالى مساكنهم، فقال: ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ والمراد من قوله: ﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾ للأنس والتخاطب، وفي بعض الأخبار أنهم إذا أرادوا القرب سار السرير تحتهم، ولا يجوز أن يكونوا متقابلين إلا مع حصول السرائر، ولن يكونوا كذلك إلا مع الفسحة والسعة، ولا يجوز أن يسمع بعضهم خطاب بعض ولايراهم على بعد إلا بأن يقوي الله أبصارهم، وأسماعهم، وأصواتهم.

ولما شرح تعالى صفة المأكل والمسكن، ذكر بعده صفة الشراب فقال: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ يقال للزجاجة التي فيها الخمر كأسا، وتسمى الخمرة نفسها كأساً. وعن الأخفش: كل كأس في القرآن فهي الخمر، وقوله: ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ أي من شراب معين، أو من نهر معين، المعين مأخوذ من عين الماء، أي يخرج من العيون كما يخرج الماء. وسمّي معيناً لظهوره، يقال: عان الماء إذا ظهر جارياً.

قوله: ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ للشاربين﴾[محمد: ١٥] ولذلك سمّي [النوم][١٠٥٨] لذاً لاستلذاذه، وعلى هذا اللذة بمعنى لذيذة.

---

[١٠٥٨] في الأصل (القوم)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٣٣٣.

ثم قال تعالى: ﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ﴾ قال الليث: الغَوْل الصداع، والمعنى ليس فيها صداع كما في خمر الدنيا. قال الواحدي - رحمه الله-: وحقيقته الإهلاك، يقال: غَالَهُ غَوْلاً أي: أهْلَكَهُ، والغُول والغَائِلُ: المُهلِك، ثم سُميَ الصداع غَوْلاً، لأنه يؤدي إلى الهلاك.

ثم قال: ﴿وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾، وفي زاي (ينزفون) قراءتان الفتح والكسر، وتفسيرهما قد مرّ في التفسير الأول.

ولما ذكر الله تعالى صفة مشروبهم، ذكر عقيبه صفة منكوحهم، فقال: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ ومعنى القصر في اللغة: الحبس. والمعنى أنهن يحبسن نظرهن، ولا ينظرن إلى غير أزواجهن. وقوله: ﴿عِينٌ﴾ واحدها عيناء"[١٠٥٩]. ومعناه قد مرّ.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ وقد تقدم تفسيره.

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

"قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ وبهذا يشير إلى قوله تعالى في الأزل: [﴿كُنْ﴾][١٠٦٠]، وحكمه بأمر واحد، وهو﴿كُنْ﴾، أن يكون كل شيء كما أراده في الأزل.

فمن ذلك القول: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلأَلِيمِ﴾، ومنه: ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ بحكم الأزل، وأخبر الله تعالى عن مقتضى قوله: ﴿كُنْ﴾ في الأزل، وقال: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، كما كانوا في الغواية والضلالة مشتركون.

---

[١٠٥٩] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٣٣٢-٣٣٣.

[١٠٦٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٦١.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني في حكم الأزل بأمر ﴿كُنْ﴾، ليكونوا مجرمين، ويذوقوا العذاب الأليم.

وذلك ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰــهَ إِلاَّ ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

ولهذا يقولون: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾، فقال تعالى على قضية قوله: ﴿كُنْ﴾ في الأزل.

﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: محمداً.

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلأَلِيمِ﴾ يعني كفار مكة.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وما كنتم تعملون إلا ما قد أمرتم بعمله بأمر ﴿كُنْ﴾.

﴿إِلاَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ في العبودية، والمخلصين في حكم الأزل بالعصيان.

﴿أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ من أمر ﴿كُنْ﴾ بالسعادة.

ثم أشار من الرزق المعلوم إلى الفاكهة، فقال: ﴿فَوَاكِهُ﴾ أي لهم أن يتفكهوا بما يشاءون. ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ من الأزل إلى الأبد بأنهم محمولو العناية، كما قال:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ﴾[الإسراء: ٧٠].

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ في جوار الحقِّ تعالى.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ في المدارج والمراتب، يستأنس بعضهم برؤية بعض، وهذا صفة الأبرار فإن من صفة الأحرار ألا يستأنس إلا بمولاه.

وبقوله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ (٤٦) لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ يشير إلى أن أهل السير من أرباب الوسائط الذين وقفوا على أبواب الشهوات الإنسانية، ومشربهم التلذذ بالشراب من الكأس، والشراب من معين، وقوم شربوا ومشربهم الحبّ، كما قال قائلهم:

شَرِبْتُ الحُبَّ كَأسًا بَعْدَ كَأسٍ ... فَمَا نَفِدَ الشَّرَابُ وَمَا رَوِيتُ

[وقال آخر][١٠٦١]:

قَوْمٌ شَرِبُوا وَمَشْرَبُهُمُ المَحْبُوبُ ... شَرَابٌ أَلْحَاظٌ يُسْكِرُ اللُّبَّا

وإلى هذا المعنى يشير بقوله: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ لا ينظرون إلى غير الولي، ثم الولي قد ينظر إليهن"[١٠٦٢] [وفيهم من لا ينظر إليهن][١٠٦٣]. والله أعلم.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلا

---

[١٠٦١] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٦٣.

[١٠٦٢] *التأويلات النجمية*، ٥/١٦١-١٦٣.

[١٠٦٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٦٣.

نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَما نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلاَّ مَوْتَتَنَا الْأُولى وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ (٦١) أَذلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْها فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آباءَهُمْ ضالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلى آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٢) فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) إِلاَّ عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

ثم أخبر عن إقبال أرباب الأحوال بقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ "أي أقبل بعض أهل الجنة وهم المخلصون على بعض يتحدثون بما أنعم الله تعالى من حين كانوا في الدنيا إلى أن صاروا إلى الجنة.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ أي من أهل الجنة. ﴿إِنِّى كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ أي صاحب مقارن كافر بالبعث"[١٠٦٤].

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ "وذلك هو الذي بيّن الله تعالى أمرهما في سورة الكهف: ﴿جَعَلْنا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ﴾[الكهف:٣٢] فكانا أخوين وشريكين، فأنفق

---

[١٠٦٤] التيسير في التفسير، ١٢/٤١٠.

أحدهما [ماله][١٠٦٥] في أمر الآخرة، واتخذ الآخر لنفسه ضياعاً، وخدماً، واحتاج المؤمن إلى شيء، فجاء إلى أخيه الكافر يسأله، فقال له الكافر: ما صنعت بمالك؟ فأخبر أنه قدمه إلى الآخرة، فقال له الكافر: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ يعني أنك ممن يصدق بالبعث؟ وطلب منه أن يدخل في دينه، و لم يقض حاجته.

وقال: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ يعني لمحاسبون.

﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ يعني يقول المؤمن لأصحابه في الجنة: ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ حتى يُنظر إلى حاله، وإلى منزله، فيقول له أصحابه: اطلع أنت، فإنك أنت أعرف منا.

﴿فَاطَّلَعَ﴾ يعني فنظر في النار. ﴿فَرَءَاهُ فِى سَوَاءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ يعني يرى أخاه في وسط الجحيم، أسود الوجه، أزرق العين.

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ يعني يقول المؤمن عند ذلك: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ يعني والله لقد هممت لتغويني، ولتضلني. ويقال: لترديني أي لتهلكني.

﴿وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ يعني لولا ما أنعم الله عليَّ بالإسلام. ﴿لَكُنْتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ معك في النار.

ثم أقبل المؤمن على أصحابه في الجنة فقال: يا أهل الجنة ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به النفي. يعني لا نموت أبداً سوى موتتنا الأولى،

---

[١٠٦٥] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/١٤١.

وذلك حين يذبح الموت، فيأمنوا من الموت. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أي لم نكن من المعذبين مثل أهل النار.

﴿إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يعني النجاة الوافرة، فازوا بالجنة، ونجوا من العذاب.

﴿لِمِثْلِ هَذَا﴾ أي لمثل الثواب، والنعيم، والخلود. ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ يعني فليبادر المبادرون، وليجتهد المجتهدون. ويقال: فليحتمل المحتملون الأذى، لأنه قد حفّت الجنة بالمكاره.

﴿أَذلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا﴾ يعني الذي وصفت في الجنة خير ثواباً. ويقال: رزقاً. ويقال: منزلاً. ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ للكافرين؟ ويقال: أهذا الذي ذكرناه لأهل الجنة خير، أي أفضل مما يعدّ نزلاً. ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ في النار مما افتتن الكفار به في دينهم؟ فقالوا: كيف يكون في النار شجرة؟ وقيل: لما نزل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ قال بعضهم: ماالزقوم؟ فقال بعضهم: هذا التمر والزبد. فقالوا: أيخوّفنا محمد بالتمر والزبد؟! فصارت فتنة لهم من هذا الوجه. وقيل: معنى قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً﴾ أي عذابا. كما قال: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يعني يعذبون. ثم وصف الشجرة فقال: ﴿إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾[١٠٦٦] يعني في وسط الجحيم.

---

[١٠٦٦] سقط من الأصل (تخرج)، وهو خطأ في كتابة الآية.

﴿طَلْعُهَا﴾ يعني ثمرها. ﴿كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَٰطِينِ﴾ يعني رؤوس الحيات، قبيح بالنظر. ويقال: هونبت لا يكون شيء من النبات أقبح منه، فيبقى في الحلق. ويقال: هو رؤوس الشياطين بعينها، وذلك أن العرب إذا وصف بالقبح، تقول: كأنه شيطان"[١٠٦٧].

"ثم وصف أكلهم فقال: ﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا﴾ يعني من ثمرها. ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ يعني يملؤون منها البطون. وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "أيُّها الناس اتقوا الله ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون، ولوأنّ قطرة من الزّقوم قَطَرَتْ على الأرض، لأَمَرَّتْ على أهل الدنيا معيشتَهم، فكيف بمن هو طعامُه وليس له طعامٌ غيرُه"[١٠٦٨].

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ يعني لشرباً من حميم. ويقال: خلطاً من حميم من ماء حارة في جهنم.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ يعني مصيرهم إلى النار.

ثم بيّن المعنى الذي به يستوجبون العقوبة فقال: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾ يعني وجدوا. ﴿ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ عن الهدى.

﴿فَهُمْ عَلَىٰ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ يعني يسعون في مثل أعمال آبائهم.

---

[١٠٦٧] *بحر العلوم*، ٣/١٤٢-١٤٣.

[١٠٦٨] ابن حنبل: *المسند*، ٤/٤٦٧، رقم ٢٧٣٥. الترمذي: *سنن الترمذي*، ٤/٧٠٦، رقم (٢٥٨٥). النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت. ٣٠٣هـ)، *السنن الكبرى*، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط (١)، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ١٠/٤٨، رقم (١١٠٠٤). ابن حبان: *صحيح ابن حبان*، ١٦/٥١١، رقم (٧٤٧٠). الحاكم: *المستدرك*، ٢/٤٩٠، رقم (٣٦٨٦).

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ يعني أضل إبليس قبلهم. ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم الخالية. ولم يذكر إبليس لأن في الكلام دليلاً عليه، فاكتفى بالإشارة. ومثل هذا كثير في القرآن.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ يعني رسلاً ينذرون، كما أرسلناك إلى قومك، فكذبوهم بالعذاب، كذلك قومك فعذبهم الله تعالى في الدنيا.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ يعني آخر من أنذر فلم يؤمن.

﴿إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ يعني الموحدين، المطيعين، فإنهم لم يعذبوا"[١٠٦٩].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلاَّ مَوْتَتَنَا ٱلأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُونَ﴾، "اعلم أنه تعالى لما تمم صفات أهل الجنة قال: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ والمعنى يقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا. ويقال: أن أهل الجنة إذا اجتمعوا على الشراب، وأخذوا في المكالمة والمساءلة، كان من جملة تلك الكلمات أنهم يتذكرون أنهم كانوا قد حصل لهم في الدنيا ما يوجب لهم الوقوع في

---

[١٠٦٩] بحر العلوم، ٣/١٤٣.

عذاب الله، ثم إنهم تخلصوا عنهم وفازوا بالسعادة الأبدية، والمقصود من ذكر هذه الأشياء أن أهل الجنة يتكامل سرورهم وبهجتهم.

وقوله: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾ أي قال قائل من أهل الجنة: إني كان لي قرين في الدنيا.

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ يعني لمن المصدقين بالبعث والقيامة.

ويقول تعجبا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي لَمُجَازون، والمعنى أن ذلك القرين كان يقول هذه الكلمات على سبيل الاستنكار.

ثم إن ذلك الرجل الذي هو من الجنة يقول لجلسائه يدعوهم إلى كمال السرور بالاطلاع إلى النار لمشاهدة ذلك القرين ومخاطبته: ﴿هَلْ أَنتُمْ مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ﴾ والأقرب أنه تكلف أمراً اطلع معه، لأنه لو كان بلا تكلف لم يكن إلى اطلاعه حاجة، فلذلك قال بعضهم: إنه ذهب إلى بعض أطراف الجنة فاطلع عندها إلى النار، ﴿فَرَءَاهُ فِى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي في وسط الجحيم.

قال له موبخاً: ﴿تَاللهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ أي لتهلكني بدعائك إياي إلى إنكار البعث والقيامة.

﴿وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ بالإرشاد إلى الحقّ، والعصمة عن الباطل.

﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ في النار مثلك، ولما تمم الكلام مع ذلك الذي كان في الدنيا قريناً له، وهو الآن من أهل النار، عاد إلى مخاطبة جلسائه الذين هم من أهل الجنة وقال:

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ وفيه قولان: الأول: أن أهل الجنة لا يعلمون في أول دخولهم في الجنة أنهم لا يموتون، فإذا جيء بالموت على صورة كبش أملح، وذُبحَ، فعند ذلك يعلمون أنهم لا يموتون، فلعل هذا الكلام حصل قبل ذبح الموت. والثاني: أن ذلك الذي يتكامل خيره وسعادته، فإذا عظم تعجبه بها فيقول: أَفَيدومُ هذا لي؟ [وإن كان][١٠٧٠] على يقين.

ثم بعد الفراغ من هذه المباحثات يقولون: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ فقيل: إنه من بقية كلامهم، وقيل: إنه ابتداء كلام من الله تعالى، أي لطلب مثل هذه السعادات يجب أن يعمل العاملون. وقال بعضهم: المراد من هذا القائل ومن قرينه ما ذكره الله تعالى في سورة الكهف في قوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾[الكهف: ٣٢] إلى آخر الآيات.

قوله: ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[١٠٧١] واختلف القراء في هذه الاستفهامات الثلاثة، قرأ نافع الأولى والثانية بالاستفهام بهمزة [غير ممدودة][١٠٧٢] والثالثة بكسر الألف من غير استفهام، ووافقه الكسائي إلا أنه يستفهم الثالثة بهمزتين، وقرأ ابن عامر الأولى والثالثة بالاستفهام بهمزتين والثانية بكسر الألف من غير استفهام، وقرأ الباقون بالاستفهام في جميعها، ثم اختلفوا فابن كثير يستفهم

---

[١٠٧٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٣٣٤.

[١٠٧١] سقطت الآيات من الأصل.

[١٠٧٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٣٣٥.

بهمزة واحدة غير مطولة وبعدها ياء ساكنة خفيفة، وأبو عمرو مطولة، وعاصم وحمزة بهمزتين.

وقوله: ﴿إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ قرأ نافع برواية ورش (لترديني) بإثبات الياء في الوصل، والباقون بحذفها"[١٠٧٣].

قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَأٓكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَىٰ ٱلْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (٧٢) فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، "اعلم أنه تعالى لما قال بعد ذكر ثواب أهل الجنة ووصفها ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾، أتبعه بقوله قل: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ فأمر رسوله ﷺ أن يورد ذلك على كفار قومه، ليصير لهم ذلك زاجراً عن الكفر، وكما وصف من قبل مآكل أهل الجنة ومشاربهم، وصف أيضاً في هذه الآية مآكل أهل النار ومشاربهم.

وقوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ وأصل النزل الفضل الواسع في الطعام، إذا عرفت هذا، فحاصل الرزق المعلوم لأهل الجنة اللذة والسرور، وحاصل شجرة

---

[١٠٧٣] مفاتيح الغيب، ٢٦/٣٣٣-٣٣٥.

الزقوم الألم والغمّ. ومعلوم أنه لا نسبة لأحدهما إلى الآخر في الخيرية، وأما الزقوم فقال الواحدي – رحمه الله–: لم يذكر المفسرون للزقوم [تفسيراً][١٠٧٤] إلا الكلبي، فإنه روى أنه لما نزلت هذه الآية، قال ابن الزبعري: أكثر الله في بيوتكم الزقوم، فإن أهل اليمن يسمون التمر والزبد بالزقوم، فقال أبو جهل لجاريته: زقمينا. فأتته بزبد وتمر، قال: تزقموا. وقال الواحدي: ومعلوم أن الله تعالى لم يرد بالزقوم ههنا الزبد والتمر.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ ففيه أقوال: الأول: أنها إنما صارت فتنة للظالمين، من حيث إن الكفار لما سمعوا هذه الآية، قالوا: كيف يعقل أن تنبت شجرة في جهنم مع أن النار تحرق الشجرة؟ والجواب عنه: أن خالق النار قادر على أن يمنع النار من احتراق الشجر، ولأنه إذا جاز أن يكون في النار زبانية، والله تعالى يمنع النار عن إحراقهم، فلم لا يجوز مثله في هذه الشجرة؟ إذا عرفت هذا السؤال والجواب، فمعنى كون شجرة الزقوم فتنة للظالمين، هو أنهم لما سمعوا هذه الآية وقعت تلك الشبهة في قلوبهم، وصارت تلك الشبهة سبباً لتماديهم في الكفر، فهذا هو المراد من كونها فتنة لهم. والوجه الثاني في التفسير: أن يكون المراد صيرورة هذه الشجرة فتنة لهم في النار، لأنهم إذا كُلِّفُوا تناولَها وشقّ ذلك عليهم، فحينئذ يصير ذلك فتنة لهم في النار في حقهم.

ثم إنه تعالى لما ذكر هذه الشجرة وصفها بصفات، الصفة الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾، قيل: منبتها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

---

[١٠٧٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٣٣٦.

الصفة الثانية: قوله: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَاطِينِ﴾ ووجه التشبيه: أن الناس لما اعتقدوا في الملائكة كمال الفضل في الصورة والسيرة، واعتقدوا في الشياطين نهاية القبح والتشويه في الصورة والسيرة، فكما حسن التشبيه بالمَلَك عند إرادة تقرير الكمال والفضيلة في قوله: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[يوسف:٣١]، فكذلك وجب أن يحسن التشبيه برؤوس الشياطين في القبح. ويقال: أن الشياطين حيَّات لها رؤوس وأعراف، وهي من أقبح الحيَّات، وبها يضرب المثل في القبح، والعرب إذا رأت منظراً قبيحاً قالت: كأنه شيطان الحماطة، والحماطة شجرة معينة. والصفة الثالثة قد تقدمت.

واعلم أنه تعالى لما ذكر هذه الشجرة وذكر صفتها، بيّن أن الكفار ﴿لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ يعني يأكلونها لشدة جوعهم، وإذا شبعوا يشتد عطشهم، ويحتاجون إلى الشراب.

فعند هذا وصف الله شرابهم، فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ واعلم أنه تعالى وصف شرابهم في القرآن بأشياء منها كونه غساقاً، ومنها قوله: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[محمد: ١٥] ومنها ما ذكر في هذه الآية.

ثم بيّن مكانهم فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾.

ثم إنه تعالى لما وصف عذابهم في أكلهم وشربهم، قال: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ والمقصود من الآية أنه تعالى علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين، وترك اتباع الدليل.

ثم إنه تعالى ذكر لرسوله ما يوجب التسلية في كفرهم وتكذيبهم، فقال: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنذِرِينَ﴾ فبيّن تعالى أن إرساله للرسل قد تقدم، والتكذيب لهم قد سلف، ويجب أن يكون ﷺ أسوة بهم حتى يصبر كما صبروا، ويستمر على الدعاء إلى الله وإن تمردوا، فليس عليهم إلا البلاغ.

ثم قال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ وهذا وإن كان في الظاهر خطاباً مع الرسول ﷺ، إلا أن المقصود منه خطاب الكفار لأنهم سمعوا بالإخبار ما يجرى من أنواع العذاب على قوم نوح وعلى عاد وثمود وغيرهم، فإن لم يعلموا ذلك فلا أقل من ظن وخوف يحتمل أن يكون زاجراً لهم عن كفرهم.

وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه استثناء من قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلأَوَّلِينَ﴾. والثاني: استثناء من قوله تعالى: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾فإنها كانت أقبح العواقب وأفظعها، ﴿إِلاَّ﴾ عاقبة ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، فإنها كانت مقرونة بالخير والطاعة"[١٠٧٥].

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

"قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ يشير بهذا إلى أن أهل الجنة هم الذين كانوا ممن لا يقبل على الله بالكلية، وإن كانوا مؤمنين موحدين، وإلا كانوا في مقعد صدق مع المقربين.

---

[١٠٧٥] مفاتيح الغيب، ٢٦/٣٣٦-٣٣٨.

وبقوله: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِي قَرِينٌ (٥٠) يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ يشير إلى أنهم في الجنة يتذاكرون فيما جرى بينهم في الدنيا مع قرنائهم السوء، ويحمدون الله على ماهداهم، ودليلهم على سبيل الرشاد، ويطلع الله أهل الجنة على أهل النار من قرنائهم، ويريهم ما بهم من العذاب، فيعرفوا قدر نعمة الله على أنفسهم، ويزيدوا في الشكر على نعم الله تعالى، ويستحلي لهم ذوق نعيم الجنة مما يطالعون أحوال قرنائهم.

وذلك قوله: ﴿هَلْ أَنتُمْ مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّى﴾ أي نعمة حفظه، وعصمته، وهدايته. ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ أي معكم فيما كنتم فيه من الضلالة في البداية، وفيما أنتم فيه من العذاب والبعد في النهاية، وإنما أخبر الله تعالى عن هذه الحالة قبل وقوعها، ليعلم أن غيبة الأشياء وحضورها عند الله سواء، لا يزيد حضورها في علم الله شيئا، ولا ينقص غيبتها من علمه شيئا، سواء في علمه وجودها وعدمها، بل كانت المعدومات في علمه موجودة، وليعلم أن الأمور بيده تعالى يقلبها كيف يشاء.

وبقوله تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلاَّ مَوْتَتَنَا ٱلأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ يشير إلى أن من مات بالموتة الأولى- وهي الموتة الإرادية عن الصفات النفسانية الحيوانية - فقد بقي بحياة روحانية ربانية لا يموت بعدها أبداً، بل ينقل المؤمن من دار إلى دار في جوار الحق، فلا يعذب بنار الهجران وآفة الحرمان، وإن هبت نفحة من نفحات الحق من جناب القدس، أو شم رائحة من نسيم القرب، أو بدت شظية من الحقائق، وتباشير الوصلة جدير أن يقول:

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، وبالحَرِيِّ أن يقال: ﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُونَ﴾، بل لمثل هذه الحالة تبذل الأرواح، وتبذر الأشباح.

ثم أردف بعد قصة الأولياء قصة الأعداء، فقال: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي في قبح صورة الشيطان، يشير إلى أن من كان ههنا معاملاته في صفة قبح صفات الشيطان، يكون هناك مكافآته في قبح صورة الشياطين.

﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ لأنهم كانوا لها في مزرعة الآخرة – أعني: الدنيا – زارعين.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ عن طلب الحق ومتابعة الهوى.

﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾، ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ﴾ في طلب الدنيا بمتابعة الهوى، ﴿قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنذِرِينَ﴾ في الظاهر من المرسلين، وفي الباطن من إلقاء الملهمين.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ الضالّين.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، الذين أخلصوا في العبودية، فخلصهم الله من جنس الوجود بالفضل والجود.

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ قال في التأويلات: يتساءلون يتحادثون بأحاديث أهل الجنة والنار ومذاكرة أهل السعادة والأشقياء، مطلعين على كلا الفريقين وما هم فيه من الثواب والعقاب.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ هي شجرة النفس الخبيثة المحجوبة، النابتة في قعر جهنم الطبيعة، المتشعبة أغصانها في دركاتها القبيحة، ثمراتها من الرذائل والخبائث، كأنها من غاية القبح، والخبث، والتنفر ﴿رُءُوسُ ٱلشَّيَاطِينِ﴾ إذ تنشأ منها الدواعي المهلكة، الباعثة على الأفعال القبيحة، والأعمال السيئة الموبقة، فتلك أصول الشيطنة، ومبادئ الشر والمفسدة، فكانت رؤوس الشياطين.

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ يستمدون منها، ويغتذون ويتقوون بها، فإن الأشرار غذاؤهم من الشرور لا يلتذون إلا بها. ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ بالهيئات الفاسقة، والصفات المظلمة، كالممتلئ غضبا، وحقدا، وحسدا.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ الأهواء الطبيعية، والمنى السيئة الرديئة.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ لغلبة الحرص، والشره، والشهوة، والحقد، والبغض، والطمع، وأمثالها"[١٠٧٦]، والله أعلم بسرائر الأمور.

---

[١٠٧٦] *التأويلات النجمية*، ٥/١٦٣-١٦٥.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

ثم أخبر عن نداء النوح في بذل الروح، بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾، "وهذا تفصيل المنذِرين والمنذَرين. يقول: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾، كما قال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[القمر:١٠]،وقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح:٢٦]. ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ فأجبنا دعاءه، ونِعْمَ المجيبون نحن.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾ أي وخلّصناه. ﴿وَأَهْلَهُ﴾ أي أولاده، وأهل بيته، ومن آمن به. ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي من الغمّ الذي كان فيه من أذى القوم.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ أي أولاده هم الذين بقوا في الأرض، فتوالدوا، وتناسلوا، فالناس بعد طوفان نوح – صلوات الله عليه – من ذريته إلى اليوم فالعرب والعجم وأولاد سام من نوح والصقالبة والخوز من أولاد يافث والسود من أولاد حام.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي في أمة محمد ﷺ. وقيل: في الأنبياء – صلوات الله عليهم – فإنه لم يبعث نبيٌّ بعده إلا أمر بالاقتداء به"[١٠٧٧]. قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ

---

[١٠٧٧] التيسير في التفسير، ١٢/٤١٩-٤٢٠.

ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾. "وقيل: أبقينا عليه ذكرا حسنا في الباقين من الأمم. ويقال: أثنينا على نوح بعد موته ثناء حسنا"[١٠٧٨].

ثم قال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني السعادة والبركة على نوح في العالمين[١٠٧٩].

﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْناهُ بِالْعَراءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ (١٤٨) فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَناتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِناثاً وَهُمْ شاهِدُونَ (١٥٠) أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (١٥٧)﴾

"وقال السُّدِّيّ - رحمه الله -: للبث في بطن الحوت أربعين يوما. وقال عطاء: سبعة أيام. وقال الضحاك: عشرين يوما. وقال ابن حيان: ثلاثة أيام. وقال الشعبي - رضي الله عنه -: مامكث يوما، التقمه ضحى، فلما كان بعد العصر تثاءب الحوت، فرأى يونس - صلوات الله عليه - ضوء الشمس، فقال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين،

---

[١٠٧٨] *بحر العلوم*، ٣/١٤٤.

[١٠٧٩] هناك سقط في المخطوط من الآية ٨٠ إلى الآية ١٤٣ عند نقله من *مفاتيح الغيب*، ولكن من بقية التفاسير فإن السقط من الآية ٨٠ إلى ١١٤ فقط.

فنبذه، وقد صار كأنه [فَرْخ. وقيل: كانت][١٠٨٠] وَعْلَة[١٠٨١][تختلف إليه][١٠٨٢] فيشرب من لبنها لا تفارقه. وقال مقاتل: مرّ الزمان على الشجرة فيبست، فبكى يونس – صلوات الله عليه – جزعا، فأوحى الله تعالى إليه: بكيت على شجرة يبست جزعا ولا تبكي على مائة ألف في يد الكفار[١٠٨٣].

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قال ابن عباس – رضي الله عنه –: بل يزيدون. وقيل: هو إيهام من الله تعالى على السامعين. وتقديره: أرسلناه إلى أحد هذين العددين. وقيل: هو تشكيك المخاطبين. وقيل: هو عند الناظر إليهم لايظن أنهم دون مائة ألف، ولكن نظن مائة ألف أو زيادة على ذلك. وقيل: (أو) بمعنى الغاية، كما في قوله تعالى: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾[الفتح:١٦]، فكأنه قال: وأرسلناه إلى مائة ألف حين أرسلناه إليهم، وكان فيهم إلى أن ازدادوا على ذلك. واختلف في وقت الإرسال، قال بعضهم: كان قبل الخروج منهم، وتقديره: وكنا أرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون. ﴿فَآمَنُواْ﴾ بعد مفارقته إياهم"[١٠٨٤].

---

[١٠٨٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *التيسير*.

[١٠٨١] الوَعْلُ: تَيْسُ الجبل، أي: ذكر الأرْوَى، وهوجنس من المعْز الجبلية، له قرنان قويان منحنيان كسَيفين أحدبين. وعن: الوَعْلُ والوَعِلُ: الأُرْوِيُّ. قال ابن سيدَه: الوَعِل والوُعِلُ جميعا تيس الجبل. الوَعْلُ، بالفتح وككتِف ودُئِلٍ، وهذا نادِرٌ: تَيْسُ الجَبَلِ، أوْعالٌ ووُعولٌ ووُعُلٌ، بضَمَّتَيْنِ، ومَوْعَلَةٌ ووَعْلَةٌ، والأنْثَى: بلفظها. ابن منظور: *لسان العرب*،١١/٧٣١، إبراهيم مصطفى وآخرون: *المعجم الوسيط*،٢/١٠٤٤. الفيروزآبادي: *القاموس المحيط*،١/١٠٦٨.

[١٠٨٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *التيسير*.

[١٠٨٣] الزمخشري: *الكشاف*،٤/٦٢. النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت. ٨٥٠هـ)، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (١)،١٤١٦هـ،٥/٥٧٦.

[١٠٨٤] *التيسير في التفسير*، ١٢/ ٤٤٦-٤٤٨.

﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ "أي إلى انقضاء آجالهم. وقال بعضهم: بعد الخروج، أي وأرسلناه إليهم بعد الخروج من بطن الحوت، فآمنوا فجددوا الإيمان به، فمتعناهم إلى حين. وقصة الخروج إلى السفينة، والخروج من بطن الحوت قد تقدم كله في سورة الأنبياء – صلوات الله عليهم –. وروى ابن مسعود – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال: "أن يونس – صلوات الله عليه – كان أوعد قومه العذاب، وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام، ففرقوا بين كل واحدة وولدها، ثم خرجوا فجاؤوا إلى الله تعالى واستغفروه، فكفّ الله تعالى عنهم العذاب، وهذا يونس – صلوات الله عليه – ينتظر العذاب، فلم يرَ شيئا، فانطلق مغاضبا حتى أتى قوما في سفينة فحملوه، وعرفوه، فلما دخل السفينة وكانت السفينة تسير يمينا وشمالا، فقال: مالسفينتكم؟ قالوا: ماندري. قال يونس – صلوات الله عليه –: إن فيها عبدا آبقا، وإنها والله لاتسير بكم إلا أن تُلقوه. قالوا: أما أنت يانبيّ الله، والله لا نلقيك. قال لهم يونس – صلوات الله عليه –: فاقترعوا فمن قرع فليقع، فقارعهم يونس – صلوات الله عليه – وقال: من قرع ثلاث مرات فليقع، فقارع يونس – صلوات الله عليه – ثلاث مرات فوقع، وقد وُكل به الحوت، فلما وقع ابتلعه فأهوى به إلى قرار الأرض، فسمع يونس – صلوات الله عليه – تسبيح الحصى، فنادى في الظلمات: أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل"[١٠٨٥].

---

[١٠٨٥] الثعلبي: *الكشف والبيان*،١٤/٢٩٥-٢٩٦. ابن أبي شيبة: *المصنف*، كتاب الفضائل، ١٦/٥٤٥-٥٤٧، رقم (٣٢٥٢٧). ابن أبي حاتم: *تفسير القرآن العظيم*،١٠/٣٢٢٧،٣٢٢٨، رقم (١٨٢٨٠). السيوطي: *الدر المنثور*،٧/١٢٣،١٢٤.

قال: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ قال كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش، وأنبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين، وكان يستظل بها فيبست فبكى عليها، فأوحى الله تعالى إليه: أتبكي على شجرة أن يبست، ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم؟! فخرج فإذا هو بغلام يرعى غنما، فقال: من أنت يا غلام؟ قال: من قوم يونس. قال: فإذا رجعت إليهم فاقرأ عليهم السلام وأخبرهم أني قد لقيت يونس. فقال الغلام: إن لم يكن يونس فقد نعلم أن من كذب و لم يكن يقبل، فمن يشهد لي؟ قال له يونس – صلوات الله عليه –: تشهد لك هذه الشجرة، وهذه البقعة. فقام الغلام إلى قومه، فأتى الملِك فقال: إني لقيت يونس– صلوات الله عليه – وهو يقرأ عليكم السلام، فأمر به الملِك أن يقتل. فقال:إن لي بينة. فأرسل معه، فانتهى إلى الشجرة، فقال لهما الغلام: أناشدكما الله تعالى هل أشهدكما يونس – صلوات الله عليه – ؟ قالتا: نعم. فرجع القوم مذعورين، فأتوا الملِك فحدثوه بما رأوه، فتناول الملِك يد الغلام، فأجلسه في مجلسه، فقال: أنت أحق بهذا المكان مني. قال عبد الله – رضي الله عنه –: فأقام بهم الغلام أربعين سنة. وذكر أن الله تعالى أوحى إلى يونس – صلوات الله عليه – بعد نجاته: أن قل لفلان الفخّار أن يكسر ما عمل هذه السنة. فقال يونس – صلوات الله عليه –: يارب إنه قد عمل مدة في اتخاذ ذلك، فكيف آمره أن يكسره كله؟ فقال: يا يونس يرقّ قلبك لخزّاف يتلف عمل سنة، وأردت أن تهلك مائة ألف ويزيدون من عبادي؟ يا يونس أنت لم تخلقهم و لم توجدهم، ولو كانوا من عملك لرحمتهم"[١٠٨٦]. وفيه بيان فضل الله تعالى مع الآتين إليه بالتوبة، والمتمسكين بالاستغفار، ولا

---

[١٠٨٦] التيسير في التفسير، ١٢/ ٤٤٨–٤٥٠.

سيّما في الأسحار لمحو الحوبة، فإن يونس بن متّى – صلوات الله عليه – ترك قومه وخرج فظن بعد مابرز من بين أظهرهم أنه لا معاتبة عليه ولا حرج فالتقمه الحوت بأمر الوحي الذي لا يموت، فلما فقدوه وحدوا الله، وعادوا مخلصين له الدين، فأعادهم ورد إليهم نبيّهم الذي فقدوه، فكشف الله تعالى عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا، ومتعهم إلى حين، وقد قال نبينا ﷺ في حق يونس: "لا تفضلوني على أخي متّى"[١٠٨٧].غاية نظره بالشفقة إليه.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ "أعاد الكلام إلى محاجة المشركين في وصفهم، والمعنى يختارون لله تعالى البنات، ولأنفسهم البنين، وهو كقوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾[النجم:٢١].

﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ يعني أيدّعون أنهم شهدوا خلقنا الملائكة، فرأوا أنا خلقناهم إناثا؟! وهو كقوله تعالى: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾[الزخرف:١٩]، وهذا لا يمكنهم أن يدعوه، وإذا بطل هذا بالعقل ولا شاهدة تثبت كذبهم، وذلك قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ يعني من كذبهم لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ وفي بعض التفاسير، الإفك: الكلام المصروف من الحقّ إلى الباطل"[١٠٨٨].

﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ "ذكر عن نافع أنه قرأ بإسقاط الألف في الوصل، و لم يجعلها ألف الاستفهام، ومعناها أن الله تعالى حكى عن كفار قريش أنهم زعموا أن الملائكة

---

[١٠٨٧] لم أقف عليه مسندًا بهذا اللفظ، وإنما الثابت ما أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وإنّ يونس لمن المرسلين}٤/١٥٣، رقم ٣٣٩٥. و ٤/١٥٩، رقم ٣٤١٦. مسلم: كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السّلام،٤/١٨٤٦، رقم (٢٣٧٦). بلفظ: "لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى".

[١٠٨٨] التيسير في التفسير، ١٢/٤٥٠-٤٥١.

بنات الله، وأنهم من إفكهم ليقولون: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَىٰ ٱلْبَنِينَ﴾ مع أن الملائكة ليسوا بالبنات ولا بالبنين، وأنهم ليسوا من هذا القبيل، فإن الله منزّهٌ عما يصفونه. والباقون قرأوا بإثبات الألف على معنى الاستفهام، فلفظه الاستفهام، والمراد به الزجر"[١٠٨٩].

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ "يعني كيف تقضون بالجور؟ وفي بعض التفاسير أن ألف الاستفهام دخل على ألف الافتعال، وهو استفهام بمعنى الإنكار، يعني أتقولون أنه اختار البنات على البنين مع نقصانهن؟ فما حجتكم على ذلك؟ وماذا يحملكم على هذا القول بغير حجة؟ كيف تحكمون؟.

﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ مافي عقولكم أفلا تتعظون بمواعظ ربكم؟.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ﴾ أي حجة ظاهرة من كتاب.

﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ أي الكتاب الذي أنزل عليكم وفيه حجة ذلك. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في هذه الدعوة، فإذا بطلت الدلالة بالعقل، أوالمشاهدة، أوالسمع، سقط ذلك وبطل"[١٠٩٠].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (١١٥) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ (١١٦) وَءَاتَيْنَاهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ (١١٧)

---

[١٠٨٩] بحر العلوم، ١٥٤/٣.

[١٠٩٠] التيسير في التفسير، ٤٥١/١٢-٤٥٢.

وَهَدَيْنَاهُمَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلآخِرِينَ (١١٩) سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ "اعلم أن هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة، واعلم أن وجوه الإنعام وإن كانت كثيرة إلا أنها محصورة في نوعين: إيصال المنافع إليه، ودفع المضار عنه. والله تعالى ذكر القسمين ههنا، فقوله: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ إشارة إلى إيصال المنافع إليهما، وقوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ إشارة إلى دفع المضار عنهما.

أما القسم الأول: وهو إيصال المنافع، ولا شك أن المنافع على قسمين: منافع الدنيا، ومنافع الدين. أما منافع الدنيا فالوجود والحياة والعقل والتربية والصحة وتحصيل صفات الكمال في ذات كل واحد منهما، وأما منافع الدين فالعلم والطاعة، وأعلى هذه الدرجات النبوة الرفيعة المقرونة بالمعجزات الباهرة القاهرة، ولما ذكر الله تعالى هذه التفاصيل في سائر السور، لا جرم اكتفى ههنا بهذا الرمز.

وأما القسم الثاني: وهو دفع الضرر، فهو المراد من قوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾، وفيه قولان: قيل إنه الغرق، أغرق الله فرعون وقومه، ونجى الله بني إسرائيل. وقيل: المراد منه أنه تعالى نجاهم من إيذاء فرعون، حيث كان يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم.

واعلم أنه تعالى لما ذكر أنه منَّ على موسى وهارون وقومهما، فصّل أقسام تلك المِنّة. فأولها قوله: ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ أي نصرنا موسى وهارون وقومهما. ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ في كل الأحوال بظهور الحجة، وفي آخر الأمر بالدولة والرفعة. وثانيهما: قوله تعالى:

﴿وَءَاتَيْنَاهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ والمراد منه التوراة، وهو الكتاب المشتمل على جميع العلوم التي يحتاج إليها في مصالح الدين والدنيا، كما قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[المائدة:٤٤]، وثالثها: قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي دللناهما على طريق الحق عقلاً وسمعاً، وأمددناهما بالتوفيق والعصمة، وتشبيه الدلائل الحقة بالطريق المستقيم واضح. ورابعها: قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلآخِرِينَ (١١٩) سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

ولما ذكر تعالى هذه الأقسام الأربعة من أبواب التعظيم والتفضيل قال: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وقد سبق تفسيره.

ثم قال: ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والمقصود التنبيه على أن الفضيلة الحاصلة بسبب الإيمان، أشرف وأعلى وأكمل من كل الفضائل"[١٠٩١].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَالِقِينَ (١٢٥) ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلاَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلآخِرِينَ (١٢٩) سَلَٰمٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، قوله: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُونَ﴾ والتقدير: اذكر يا محمد لقومك: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُونَ﴾ أي ألا تخافون الله؟.

---

[١٠٩١] مفاتيح الغيب، ٣٥٢/٢٦.

"واعلم أنه لما خوفهم أولاً على سبيل الإجمال ذكر ما هو السبب لذلك الخوف، فقال: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَالِقِينَ﴾، البعل: اسم صنم، قيل: كان من ذهب، وكان طوله عشرين ذراعاً، وله أربعة أوجه، [وفتنوا به وعظموه، حتى عينوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء، وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة، والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس][١٠٩٢] وهم أهل بعلبك من بلاد الشام، وبه سميت مدينتهم بعلبك. وقيل: هو الرّبّ. وقد مرّ. وقوله: ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَالِقِينَ﴾. وقد تقدم الكلام في قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالقين﴾[المؤمنون:١٤].

واعلم أنه تعالى لما عابهم على عبادة الأصنام، صرح بالتوحيد، ونفى الشركاء، فقال: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلأَوَّلِينَ﴾، وقد سبق الكلام في حدوث الأشخاص البشرية كيف يدل على وجود الصانع المختار، وعلى وحدانيته، وعلى عدم الأضداد والأنداد، فلا فائدة في إعادته.

ولما حكى الله تعالى عنه أنه أمر قومه بالتوحيد قال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أي لمحضرون النار غداً، وقد ذكر الكلام فيه عند قوله تعالى: ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[الصافات:٥٧].

---

[١٠٩٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٥٤/٢٦.

ثم قال: ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وذلك لأن قومه ما كذبوه بكليتهم، بل كان فيهم من قبل ذلك التوحيد فلهذا قال تعالى: ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ يعني الذين أتوا بالتوحيد الخالص فإنهم لا يحضرون.

ثم قال: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلآخِرِينَ (١٢٩) سَلَمٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾، (آلِ ياسين) على إضافة لفظ (آل) إلى (ياسين)، وهو قراءة نافع، وابن عامر. والباقون بكسر الألف، وجزم اللام موصولة بـــ (ياسين). وفي القراءة الأولى وجوه: الأول: وهو آل ياسين بن ياسين. والثاني: (آل ياسين) آل محمد ﷺ، وقد مرّ هذا الوجه. والثالث: أن ياسين اسم القرآن، كأنه قيل: سلام على من آمن بكتاب الله. وفي القراءة الثانية وجوه:الأول: قال الزجاج: يقال ميكال وميكائيل [وميكالين][١٠٩٣]، فكذا ههنا إلياس وإلياسين. والثاني: قال الفراء: هو جمع، وأراد به إلياس وأتباعه من المؤمنين.

ثم قال: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقد سبق تفسيره"[١٠٩٤].

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٣١) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٢) إِلاَّ عَجُوزًا فِى ٱلْغَابِرِينَ (١٣٣) ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلآخَرِينَ (١٣٤) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ (١٣٥) وَبِٱلَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ "اعلم أن هذا هو القصة الخامسة، وإنه تعالى إنما ذكر هذه القصة ليعتبر بها

---

[١٠٩٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٣٥٥.

[١٠٩٤] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٣٥٤-٣٥٥.

مشركو العرب، فإن الذين كفروا من قومه هلكوا والذين آمنوا نجوا، وقد تقدم شرح هذه القصة.

واعلم أنه تعالى عيّن بقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ (١٣٥) وَبِٱلَّيْلِ﴾، وذلك لأن القوم كانوا يسافرون إلى الشام، والمسافر في أكثر الأمر إنما يمشي في الليل وفي أول النهار، فلهذا السبب عيّن تعالى هذين الوقتين.

ثم قال تعالى: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ يعني أليس فيكم عقول تعتبرون بها؟[١٠٩٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ "واعلم أن هذا هو القصة السادسة وهو آخر القصص المذكورة في هذه السورة، وإنما صارت هذه القصة خاتمة للقصص، لأجل أنه لما لم يصبر على أذى قومه، وأبق إلى الفلك، وقع في تلك الشدائد، فيصير هذا سبباً لصبر النبي ﷺ على أذى قومه. وقصة يونس قد تقدمت في التفسير الأول.

وذكر ابن عباس في قصة يونس – عليه السلام – أنه كان يسكن مع قومه فلسطين، فغزاهم ملك، وسبى منهم تسعة أسباط ونصفا، وبقي سبطان ونصف، وكان الله أوحى إلى

---

[١٠٩٥] مفاتيح الغيب، ٢٦/٣٥٥.

بني إسرائيل إذا أسركم عدوكم، أو أصابتكم مصيبة، فادعوني أستجب لكم، فلما نسوا ذلك، وأسروا، أوحى الله تعالى بعد حين إلى نبي من أنبيائهم: أن اذهب إلى ملك هؤلاء الأقوام، وقل له: حتى يبعث إليهم نبياً، فاختار يونس - عليه السلام - لقوته وأمانته، قال يونس: آلله أمرك بهذا؟ قال: لا، ولكن أمرت أن أبعث قوياً أميناً وأنت كذلك، فقال يونس: وفي بني إسرائيل من هو أقوى مني فلم لم تبعثه؟ فألحّ الملِك عليه، فغضب يونس - عليه السلام -، فخرج إلى بحر الروم، إلى آخر القصة. وفي رواية ابتلعته السمكة، فأوحى الله تعالى إلى الحوت: "لا تكسر منه عظماً، ولا تقطع له وصلاً"، ثم إن السمكة أخرجته إلى نيل مصر، ثم إلى بحر فارس، ثم إلى البطائح، ثم دجلة، وصعدت به، ورمته إلى أرض نصيبين بالعراء، فأنبت الله تعالى شجرة من يقطين، فكان يستظل بها، ويأكل من ثمرها، وذلك معجزة له. قال الواحدي - رحمه الله -: والآية تقتضي شيئين لم يذكرهما المفسرون، أحدهما: أن هذا اليقطين لم يكن قبلُ فأنبته الله لأجله. والآخر: أن اليقطين كان معروشاً ليحصل له ظل، لأنه لو كان منبسطاً على الأرض لم يمكن أن يستظل به. ثم قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ وتفسيره قد سبق في الأول"[١٠٩٦].

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ (١٥٠) أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ

---

[١٠٩٦] مفاتيح الغيب، ٢٦/٣٥٦-٣٥٨.

لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ (١٥٦) فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ "اعلم أنه تعالى لما ذكر أقاصيص الأنبياء – عليهم السلام – عاد إلى شرح مذاهب المشركين وبيان قبحها، ومن جملة أقوالهم الباطلة أنهم أثبتوا الأولاد لله سبحانه وتعالى، ثم زعموا أنها من جنس الإناث لا من جنس الذكور، فقال: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ وهذا معطوف على قوله في أول السورة: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾[الصافات:١١]، وذلك لأنه تعالى أمر رسوله ﷺ باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولاً، ثم ساق الكلام موصولاً بعضه ببعض إلى أن أمره بأن يستفتيهم في أنهم أثبتوا لله سبحانه البنات ولأنفسهم البنين، ونقل الواحدي عن المفسرين أنهم قالوا: إن قريشاً وأجناسهم من عرب جهينة وخزاعة، قالوا: الملائكة بنات الله. واعلم أن هذا الكلام يشتمل على أمرين: أحدهما: إثبات البنات لله، وذلك باطل، لأن العرب كانوا يستنكفون من البنت، والشيء الذي يستنكف المخلوق منه كيف يمكن إثباته للخالق؟! والثاني: إثبات أن الملائكة إناث، وهذا باطل، لأن طريق العلم إما الحسّ، وإما الخبر، وإما النظر. أما الحسّ: فمفقود ههنا، لأنهم ما شاهدوا كيفية تخليق الله الملائكة، وهو المراد من قوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾. وأما الخبر: فمفقود أيضاً، لأن الخبر إنما يفيد العلم إذا علم كونه صدقاً قطعاً، وهؤلاء الذين يخبرون عن هذا الحكم كذابون، فلم يدل على صدقهم لا دلالة ولا أمارة، وهو المراد من قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾. وأما النظر: فمفقود لأن دليل العقل يقتضي فساد هذا المذهب، لأنه تعالى أكمل الموجودات، والأكمل لا يليق به اصطفاء البنات على البنين.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ يعني إسناد الأفضل إلى الأفضل، أقرر عنه الفعل من إسناد الآخر إلى الأفضل، فإن كان حكم العقل معتبرا في هذا الباب كان قولكم باطلا، ووجه آخر على بطلان قولهم هو أن نترك الاستدلال على فساد مذهبهم، بل نطالبهم بإثبات الدليل الدال على صحة مذهبهم، فإذا لم يجدوا ذلك الدليل فعنده يظهر أنه لم يوجد ما يدل على صحة قولهم، وهذا هو المراد من قولهم: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فثبت بما ذكرنا أن القول الذي ذهبوا إليه لم يدل على صحته، لا الحس ولا الخبر ولا النظر، فكان المصير إليه باطلاً قطعاً، واعلم أنه تعالى لما طالبهم بما يدل على صحة مذهبهم دلّ ذلك على أن التقليد باطل، وأن الدليل لا يصح إلا بالدليل"[١٠٩٧].

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ "يشير إلى موسى القلب وهارون السر، ومَنُّهُ بأن نجاهما من غرق بحر الدنيا وشهواتها، كما قال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥) وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ يعني موسى القلب وهارون السرّ وصفاتهما، على فرعون النفس وصفاتها. ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦) وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ من العلوم الحقيقية والإلهامات الربانية.

﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى الحضرة.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا﴾ بالثناء الحسن عليهما، وبالاقتداء بهما.

---

[١٠٩٧] مفاتيح الغيب، ٣٥٩/٢٦.

﴿سَلَٰمٌ﴾ سلام الحفظ والرعاية، وسلامتها من الآفات بالكلية.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالإحسان، والتوفيق للإحسان.

﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يشير إلى أن من توفيقنا إياهما للإحسان، وفقناهما ليكونا من عبادنا المؤمنين.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ الروح، ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فقد أرسل إلى قومه من القلب والنفس وصفاتهما.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ فتقوى القلب أن تبقى بالله من الله، كما كان حال النبي ﷺ إذ يقول: "أعوذ بك منك". وتقوى النفس أن يتقي برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أي أتعبدون بعل الدنيا القبيحة، ﴿وَتَذَرُونَ﴾ عبادة ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ الذي خلقكم وخلق أباءكم الأولين؟ يعني الأرواح والآباء العلوية، وذلك قوله: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي النفس وصفاتها.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ من عبودية غير الحق، وهم القلب والسر وأوصافهما.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ أي الثناء الحسن على إلياس الروح، ﴿فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ من الأنبياء والأمم.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ أي القلب والسر وأوصافهما [من عبودية غير الحقّ، وهم القلب والسرّ][١٠٩٨] وأوصافهما، فإنهم آل ياسين الروح.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بأن نحسن معهم بتقديم سلامنا عليهم، سلام السلامة في العبور على الدارين، والخلاص عن آفات الكونين، وبأن نجعله من عبادنا المؤمنين المخلصين عن عبودية الهوى، والدنيا، والعقبى.

ثم أخبر عن نجاة لوط ودرجاته بقوله: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، يشير إلى لوط الروح فإنه مهبط أنواره، ومحط أسراره.

﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ من القلب والسر وصفاتهما. ﴿أَجْمَعِينَ﴾ من سطوات قهرنا.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ وهي عجوز النفس الأمّارة، فإنها بمثابة الزوجة للوط الروح.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ من النفس وصفاتها.

﴿وَإِنَّكُمْ لَّتَمُرُّونَ﴾ أيتها الصفات الإنسانية، ﴿عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ في صباح يوم الدين، يشاهدون آثار سطوات قهرنا باستيلاء صفات النفس، وغلبات دواعي الشهوات.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعتبرون وتؤمنون بوحدانية الحق تعالى، وترجعون إلى أبواب فضله وكرمه ورحمته.

---

[١٠٩٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٧٢.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ﴾ أي يونس القلب، ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وهو أيضاً مهبط أنوار الحق.

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ أي فلك الهوى المشحون من شهوات النفس.

﴿فَسَاهَمَ﴾ مع أهل الهوى، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ أي من المغلوبين المفتونين بشهوات النفس، فألقي في بحر الدنيا.

﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ حوت النفس، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ بالتفاته إلى بحر الدنيا، وركوبه فلك الهوى.

﴿إِذْ أَبَقَ﴾ من عبودية المولى. ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ المطيعين الذاكرين لله، الراجعين إليه بالتوبة والاستغفار.

﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ﴾ يعني القلب في بطن حوت النفس. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ والإشارة فيه أن خلاص يونس القلب إذا التقمه حوت النفس لا يكون إلا بملازمة ذكر الله.

﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ يشير إلى أن القلب وإن تخلص من بحر النفس وبحر الدنيا، يكون سقيماً، بانحراف مزاجه القلبي بمجاورة صحبة النفس واستراق طبعها.

بقوله: ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ يشير إلى إنبات شجرة العناية، ليستظل بظلها إلى أن يزول عنه ضعف البشرية، ويتقوى بالسلامة القلبية، ويستعد لتواتر الإلهامات الربانية، ويستحق بالخلافة لسلطنته الروحانية، فينصب لرعاية الرغبة.

وذلك قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ به يشير إلى أن كل قلب تخلص من سجن النفس يصير سلطاناً على ولاية الإنسانية، يحكم على مائة ألف صفة من صفات البشرية أو يزيدون.

هذه الصفات كلها بما يأتيهم من الحق، واقتدوا به وتخلقوا بأخلاقه، ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ يعني بالقلب وأخلاقه، ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يستعدون للتخلق بأخلاق الله.

وبقوله: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ يشير إلى جهالة الإنسان وضلالته إذا وكل إلى نفسه الخسيسة، وخلى إلى طبيعته الركيكة أنه يظن بربه ورب العالمين [نقائص لا يستحقها][١٠٩٩].

﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَىٰ ٱلْبَنِينَ﴾ وأنه خلق الملائكة إناثا، ولا يعلمون أن الخالق متّره عن أوصاف المخلوقين، وأنه الصمد الذي لم يلد ولم يولد، وإنه ﴿لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[العنكبوت:٦]، ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ إِلاَّ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا﴾[مريم:٩٣]، وأن الملائكة مبرءون من الذكورة والأنوثة، وأنهم من إفك الإنسانية يقولون هذه المحالات، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلاَ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ إذ قالوا: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَىٰ ٱلْبَنِينَ﴾ لأن الملائكة ليسوا بالبنات ولا بالبنين، وأنهم ليسوا من هذا القبيل، وأن الله متره عما يصفونه به.

---

[١٠٩٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٧٣.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ على الغني عن العالمين؟!

﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ أنكم تستنكفون من البنات، وتصفون الإله القديم والرب الكريم بما استنكفتم منه مع كفركم وقبيح فعالكم.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ﴾ حجة ظاهرة على ما يقولون.

﴿فَأْتُواْ بِكِتَـبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تقولون بأن الله أنزل عليكم كتاباً ذكر فيه هذا المعنى، وإن لم يترل عليكم كتاباً يذكره، فلمَ تفترون على الله الكذب؟"[١١٠٠] والله أعلم بالسرائر.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلاَّ عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٠) فَإِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ (١٦٢) إِلاَّ مَنْ هُوَ صالِ الْجَحِيمِ (١٦٣) وَما مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٩) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦) فَإِذا نَزَلَ بِساحَتِهِمْ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٧) وَتَوَلَّ

---

[١١٠٠] *التأويلات النجمية*، ٥/ ١٧٠-١٧٤.

عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩) سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (١٨٢)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

ثم أخبر عن غاية جهالتهم، ونهاية ضلالتهم بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ "يعني وضعوا بين الربّ وبين الملائكة نسبا حين زعموا أنهم بناته. ويقال: جعلوا بينه وبين إبليس قرابة. وروي عن الضحاك قال: قالت قريش: إن إبليس – عليه اللعنة – أخوالرحمن. وقال عكرمة: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ قال مقاتل والكلبي: يعني علمت الجنة أن من قال أن الملائكة الذين هم بنات الله لمحضرون في النار[١١٠١]. ويقال: علمت الملائكة أنهم لو قالوا بذلك، أدخلوا النار.

﴿إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ يعني الموحدين، فإنهم لا يقولون ذلك"[١١٠٢].

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صالِ الْجَحِيمِ﴾ "قال الحسن – رحمه الله –: فإنكم أيها القائلون بهذا القول، والذين تعبدونه من الأصنام، ماأنتم على عبادة الأصنام بمُضِلين إلا من قدر عليه أنه يصلى الجحيم. وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ﴾ هو مفعول لوقوع فعل الفتنة عليه، وهو الإضلال. أي لا يقدرون على إضلال أحد إلا من علم

---

[١١٠١] مقاتل: *تفسير مقاتل*، ٦٢٢/٣. ابن جزي: *التسهيل*، ١٩٩/٢.

[١١٠٢] *بحر العلوم*، ١٥٤/٣.

الله تعالى منه اختيار الكفر والإصرار عليه، فقدر عليه الكفر والإصرار ودخول النار. ويقال: إلا من كان في علم الله تعالى أنه يصلى الجحيم. وصَلِيُ النار: دخولها.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ أكثر المفسرين – رحمهم الله – على أنه خبر عن الملائكة – صلوات الله عليهم – يعني تقول الملائكة الذين جعلتموهم بناتا: مامنّا إلا له مقام معلوم في السماء لا نتقدمه ولا نتأخر عنه، فنحن عبيده لا بناته.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ للخدمة.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ أي المنزّهون الله تعالى عما لا يليق به من الصفة. وقيل: هي قول النبي ﷺ والمؤمنين: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ أي ليس منا ومنكم أيها المشركون أحدا إلا له في الآخرة مقام معلوم للحساب.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ في الدنيا للصلاة.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ لله أي المنزهون له"[١١٠٣]. "وعلى المعنى الأول روى مسروق، عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال: إن في السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه"[١١٠٤].

---

[١١٠٣] *التيسير في التفسير*، ١٢/٤٥٤-٤٥٥.

[١١٠٤] *بحر العلوم*، ٣/١٥٥.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ﴾، "أي ولقد كان هؤلاء المشركون يقولون قبل أن يبعث إليهم محمد ﷺ. ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي كتابا من الرسل الأولين. أي لوأرسل إلينا رسول، وأنزل علينا كتاب.

﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ مؤمنين غير مشركين.

﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ أي بمحمد ﷺ. ويقال: بالقرآن، إذ جاءهم محمد ﷺ بالقرآن.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عن قريب مايحل بهم من العذاب، فلا يضيق صدرك يا محمد بكفرهم وإيذائهم"[١١٠٥]. يعرفون في الآخرة، وهذا وعيد لهم، ويقال في الدنيا.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ "أي مضت كلمتنا بالنصر. ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني الأنبياء.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ في الدنيا على أعدائهم.

﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا﴾ يعني المؤمنون أهل ديننا. ويقال: رسلنا. ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ في الدنيا بالغلبة، والحجة في الآخرة.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ يعني أعرض يا محمد عن معاقابهم حتى حين، وهونزول الأمر بالقتال، وكان ذلك قبل أن يؤمر بالقتال. وقوله: ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ قال الكلبي: يعني إلى فتح مكة.

---

[١١٠٥] التيسير في التفسير، ٤٥٦/١٢.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ يعني فانتظر يا محمد مايزل بهم. وقيل: أي أبصرهم حتى يزل بهم. ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عن قريب ويرون ذلك.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ قبل حينه.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ يعني بقربهم. ويقال: إذا نزل العذاب بعرصتهم، وهونزول العذاب بهم.

﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ يعني بئس الصباح صباح من أنذر بالعذاب.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ قيل: التكرار للتأكيد، والمبالغة في الحجة. وقيل: الأول حين القتال، وإبصار عذاب الدنيا، والثاني للآخرة.

ثم نزّه نفسه عما قاله الكفار، فقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي تنزيها لربّك يا محمد عما وصفه به المشركون من الأولاد والشركاء. ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ أي له العزة والقدرة بذاته، فلا حاجة له إلى التعزز بالأولاد، وهو كما قال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون:٨].

﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ بتبليغ الرسالة. ففي الآية دليل وتنبيه للمؤمنين بالتسليم على جميع الرسل. ويقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني تحية من الله تعالى عليهم. وقيل: وأمان لهم أن ينصر عليهم أعداءه في الدنيا، وينالهم عذاب في العقبى.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على هلاك الكافرين الذين لم يوحدوا ربهم. ويقال: حمد الرب نفسه ليكون دليلاً لعباده، ليحمدوه. ويقال: الحمد لله رب العالمين، يعني هو المستحق للثناء والحمد"[١١٠٦].

وانتظمت هذه الخاتمة بتنزيه الله تعالى عن كل صفات المشركين، والثناء على المرسلين الذين بلغوا رسالات إلى الأمم، والشكر لله على ماأنعم على عباده، والحمد لله رب العالمين. وروي عن علي – رضي الله عنه – أنه قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه: سبحانَ ربك ربّ العزة عمّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ واختلفوا في المراد بالجنة. "قال مقاتل: أثبتوا نسباً بين الله تعالى وبين الملائكة حين زعموا أنهم بنات الله[١١٠٧]. وعلى هذا القول فالجنة هم الملائكة، سموا جناً لاجتنانهم عن الأبصار، أو لأنهم خزّان الجنة. وقال بعضهم: المراد منه الجنّ، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء الجِنَّ﴾[الأنعام:١٠٠]. ثم قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أي ولقد علمت الجنة أنهم سيحضرون العذاب.

---

[١١٠٦] بحر العلوم، ٣/١٥٥-١٥٦.

[١١٠٧] مقاتل: تفسير مقاتل، ٣/٦٢٢.

ثم إنه تعالى نزّه نفسه عما قالوا من الكذب، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾. وفي هذا الاستثناء وجوه: قيل: استثناء من المحضرين، يعني: أنهم ناجون. وقيل: هو استثناء من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجنة نَسَبًا﴾. وقيل: هو استثناء منقطع من المحضرين، معناه ولكن المخلصين برآء من أن يصفوه بذلك، والمخلِص بكسر اللام مَن أخلص الاعتقاد والعبادة لله تعالى. وبفتحها من أخلصه الله بلطفه"[١١٠٨].

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣) وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٦٩) فَكَفَرُواْ بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ "اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل على فساد مذاهب الكفار، أتبعه بما بيّنه به على أن هؤلاء الكفار لا يقدرون على حمل أحد على الضلال إلا إذا كان قد سبق حكم الله في حقه بالعذاب والوقوع في النار. الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ لله عز وجل، ومعناه فإنكم ومعبوديكم ما أنتم جميعاً بفاتنين إلا أصحاب النار. والواو في قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ بمعنى (مع) كما في قولهم: كل رجل وضيعته، ومعناه فإنكم مع ما تعبدونه، والمعنى فإنكم مع آلهتكم، أي فإنهم قرناؤهم وأصحابهم لا يتركون عبادتها.

ثم قال: ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ أي على ما تعبدون بفاتنين ساعين أو حاملين على طريق الفتنة والإضلال.

---

[١١٠٨] مفاتيح الغيب، ٣٦٠/٢٦.

﴿إِلاَّ مَنْ هُوَ﴾ مثلكم، واحتجوا بهذه الآية منهم عمر بن عبد العزيز على أنه لا تأثير لإيحاء الشيطان ووسوسته، وإنما المؤثر قضاء الله وتقديره، لأن قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ تصريح بأنه لا تأثير لقولهم، ولا تأثير لأحوال معبوديهم في وقوع الفتنة والضلال. وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ يعني إلا من كان كذلك في حكم الله وتقديره، وذلك تصريح بأن المقتضي لوقوع هذه الحوادث حكم الله تعالى.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ فالجمهور على أنهم هم الملائكة، وصفوا أنفسهم بالمبالغة في العبودية، فإنهم يصطفون للصلاة والتسبيح، والغرض منه التنبيه على فساد قول من يقول إنهم أولاد الله تعالى، وذلك لأن مبالغتهم في العبودية [تدل على اعترافهم بالعبودية][١١٠٩]. واعلم أن هذه الآية تدل على ثلاثة أنواع من صفات الملائكة، فأولها قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ وهذا يدل على أن لكل واحد منهم مرتبة لا يتجاوزها، ودرجة لا يتعدى عنها، وتلك الدرجات إشارة إلى درجاتهم في التصرف في أجسام هذا العالم، وإلى درجاتهم في معرفة الله تعالى.

أما درجاتهم في التصرفات والأفعال فهي قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ﴾ والمراد كونهم صادقين في أداء الطاعة، ومنازل الخدمة والعبودية. وأما درجاتهم في المعارف فهي قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ والتسبيح تنزيه الله عما لا يليق به.

---

[١١٠٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٦٢/٢٦.

واعلم أن قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ يفيد الحصر، ومعناه أنه هم الصافون في موقف العبودية لا غيرهم، وذلك يدل على أن طاعات البشر ومعارفهم بالنسبة إلى طاعات الملائكة وإلى معارفهم كالعدم، حتى يصح هذا الحصر. وبالجملة فهذه الألفاظ الثلاثة تدل على أسرار عجيبة من صفات الملائكة، فكيف يجوز مع هذا الحصر أن يقال: البشر تقرب درجته من المَلَك فضلاً عن أن يقال: هل هو أفضل منه أم لا.

أما قوله: ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوأَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلأَوَّلِينَ (١٦٧) لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ فالمعنى أن مشركي قريش وغيرهم كانوا يقولون: ﴿لَوأَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾ أي كتاباً من كتب الأولين الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل لأخلصنا العبادة لله، ولما كذبنا كما كذبوا. ثم جاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار والكتاب المهيمن على كل الكتب، وهو القرآن فكفروا به. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا﴾.

ثم قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي فسوف يعلمون عاقبة الكفر والتكذيب[١١١٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنْذَرِينَ

---

[١١١٠] مفاتيح الغيب، ٢٦/٣٦١-٣٦٢.

(١٧٧) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩) سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَٱلْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ "واعلم أنه تعالى لما هدد الكفار بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم، أردفه بما يقوي قلب الرسول فقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ﴾ فبيّن أن وعده بنصرته قد تقدم، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِى﴾[المجادلة:٢١]. وأما النصرة والغلبة فقد تكون بقوة الحجة، وقد تكون بالدولة والاستيلاء، وقد تكون بالدوام، فالمؤمن وإن صار مغلوباً في بعض الأوقات بسبب ضعف أحوال الدنيا فهو الغالب، ولا يلزم على هذه الآية أن يقال: فقد قتل بعض الأنبياء، وهزم كثير من المؤمنين.

ثم قال تعالى لرسوله وقد أخبره بما تقدم: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾، والمراد مقاتلتهم، والثقة بما وعدناهم إلى حين يتمتعون، ثم تحل بهم الحيرة والندامة، والمراد من قوله: ﴿حَتَّى حِينٍ﴾، قيل: هو يوم بدر.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ والمعنى وأبصرهم ما يقضى عليهم من الأسر والقتل في الدنيا [والعذاب في الآخرة، فسوف يبصرونك مع ما قدر لك من النصرة والتأييد في الدنيا][١١١١] والثواب العظيم في الآخرة، والمراد من الأمر بإبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة، الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة. وقوله: ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ للتهديد

---

[١١١١] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٦٣/٢٦.

والوعيد. ثم قال تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ والمعنى أن الرسول ﷺ كان يهددهم بالعذاب، وما رأوا شيئاً فكانوا يستعجلون نزول ذلك العذاب على سبيل الاستهزاء، فبيّن تعالى أن ذلك الاستعجال جهل، لأن لكل شيء من أفعال الله تعالى وقتاً معيناً لا يتقدم ولا يتأخر، فكأن طلب حدوثه قبل مجيء ذلك الوقت جهلاً.

ثم قال تعالى في صفة العذاب الذي استعجلوه: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ أي هذا العذاب، ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ ٱلْمُنْذَرِينَ﴾.

ثم أعاد قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حتى حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ فقيل: المراد من هذه الكلمة فيما تقدم أحوال الدنيا، وفي هذه الكلمة أحوال الآخرة، وعلى هذا التقدير فالتكرير زائل. وقيل: المراد من التكرير المبالغة في التهديد والتهويل.

ثم إنه تعالى ختم السورة بخاتمة شريفة جامعة لكل المطالب العالية، وذلك لأن أهم المهمات لنعاقل معرفة أحوال ثلاثة: فأولها: معرفة إله العالم بقدر الطاقة البشرية، وأقصى ما يمكن عرفانه من صفات الله تعالى، وهي ثلاثة أنواع: أحدها: تنزيهه وتقديسه عن كل ما لا يليق بصفات الإلهية، وهو[لفظة ﴿سُبْحَٰنَ﴾. وثانيها: وصفه بكل ما يليق بصفات الإلهية وهو][1112] قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ فإن الربوبية إشارة إلى التربية، وهي دالة على كمال الحكمة، والرحمة، والعزة، إشارة إلى كمال القدرة. وثالثها: كونه منزهاً في الإلهية عن الشريك. وقوله: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ يدل على أنه القادر على جميع الحوادث، لأن الألف واللام في قوله: ﴿ٱلْعِزَّةِ﴾

---

[1112] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٦٤/٢٦.

تفيد الاستغراق، وإذا كل الكل ملكاً له لم يبق لغيره شيء، فثبت أن قوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ كلمة محتوية على أقصى الدرجات وأكمل النهايات في معرفة إله العالم. والمهم الثاني: من مهمات العاقل أن يعرف كيف ينبغي أن يعامل نفسه، ويعامل الخلق في هذه الحياة الدنيوية.

واعلم أن أكثر الخلق ناقصون ولا بد لهم من مكمل يكملهم، ومرشد يرشدهم، وهادٍ يهديهم، وما ذلك إلا الأنبياء – صلوات الله عليهم –، وبديهة الفطرة شاهدة بأنه يجب على الناقص الاقتداء بالكامل، فنبّه على هذا الحرف بقوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لأن هذا اللفظ يدل على أنهم في الكمال اللائق بالبشر فاقوا غيرهم، ولا جرم يجب على كل من سواهم الاقتداء بهم. والمهم الثالث: من مهمات العاقل أن يعرف أنه كيف يكون حاله بعد الموت.

واعلم أن معرفة هذه الحالة قبل الموت صعبة، فالاعتماد فيها على حرف واحد، وهو أنه إله العالم غني رحيم، والغني الرحيم لا يعذب، فَنَبَّه على هذا الحرف بقوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، لأن استحقاق الحمد لا يحصل إلا بالإنعام العظيم، فبيّن هذا كونه منعماً، فظهر كونه غنياً عن العالمين، ومن هذا الموضع كان الغالب هو الرحمة، والفضل، والكرم، فكان الحرف منبهاً على سلامة الحال بعد الموت، فظهر بما ذكرنا أن هذه الخاتمة كالصدفة

المحتوية على درر أشرف من درر الكواكب، ونسأل الله حسن الخاتمة والعافية في الدنيا والآخرة"[١١١٣].

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ "يشير إلى جنّية الإنسان، وقصور نظر عقله عن كمال أحدية الله وجلال صمديته، إذ وكل الإنسان إلى نفسه في معرفة ذات الله وصفاته، فيقيس ذاته على ذاته، وصفاته على صفاته، فيثبت له نسباً كما له نسب، ويثبت له زوجةً وولداً كما له زوجة وولد، ويثبت له جوارح كما له جوارح، ويثبت له مكاناً كما له مكان، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وهو يقول تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]. وبقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ يشير إلى أن الجنة قد علمت أن لا نسبة لها، وعلمت أن قائلي هذه المقالة لمحضرون في النار.

ثم نزّه نفسه عما يصفه الواصفون بعقولهم وآرائهم، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يعني أهل الأهواء والبدع.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ يعني إلا من أخلصه الله عن ضلالة الإنسانية بهداية الربانية، فإنهم يعرفون الله بنور الله، كما قال - عليه السّلام -: "عرفت ربي بربي، ولولا فضل ربي لما عرفت ربي".

---

[١١١٣] مفاتيح الغيب، ٢٦/٣٦٣-٣٦٤.

وبقوله: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾، يشير إلى أن أهل الضلالة وما يعبدون في ضلالتهم ليسوا على شيء في الإضلال، إلا من قدّر الله أن يكون من أهل النار، فحينئذٍ يضلون بتقدير الله، وذلك قوله: ﴿إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

وبقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ يشير إلى أن للملك مقاماً معلوماً لا يتعدى حدّه، وهو المقام الملكي الروحاني والكروبي، فالروحاني لا يعبر عن مقامه إلى مقام الكروبي، والكروبي لا يقدم على مقام الروحاني، فلا عبور لهم من مقامهم إلى مقام فوق مقامهم، ولهم بهذا فضيلة على إنسان يبقى بأسفل سافلين والدرك الأسفل من النار، والذين عبروا منهم عن أسفل سافلين بالإيمان، والعمل الصالح، وصعدوا إلى أعلى عليين، بل ساروا إلى مقام قاب قوسين، ولهذا أمروا بسجدة أهل الفضل منهم بقوله: ﴿فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[ص:٧٢]، فللإنسان أن يتنزل من مقام الإنسانية إلى درك الحيوانية، كقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[الأعراف:١٧٩]، وله أن يترقى بحيث يعبر عن مقام الملكي، ويقال لهم: تخلقوا بأخلاق الله، ومن مفاخر المَلَك أن يقولوا: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾، يعني في العبودية، فإن للإنسان معه شركة، [وللإنسان صفة يحبها الله وليس للملك فيه شركة][١١١٤]، وذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف:٤]، وأن يقولوا: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ وأيضاً للإنسان معهم شركة، ومن مفاخر الإنسان أن

---

[١١١٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٧٦.

يقولوا: وإنا لنحن لمحبون، وإنا لنحن المحبوبون، وهم مخصوصون به في الترقي من مقام المحبية إلى مقام المحبوبية.

وبقوله: ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوأَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٦٩) فَكَفَرُواْ بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ يشير إلى تنزل الإنسان إلى الدرك الأسفل.

وبقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يشير إلى أنّ ترقي الإنسان إلى مقام الإيمان، وأنّ ترقي المؤمن إلى مقام الولاية، وأنّ ترقي الولي إلى مقام النبوة، وأنّ ترقي النبي إلى مقام المرسلين، كله بعناية رب العالمين وبتقديره، ذلك قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾[المجادلة:٢١] أي: قدر الله. ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِيۤ﴾[المجادلة:٢١].

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ﴾ فمن نصرناه فلا يغلب، ومن خذلناه فلا يغلب، وجنده الذين نصبهم لنشر دينه، وأقامهم لنصر الحق.

وبقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يشير إلى خذلانهم بقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي أعرض عنهم، فإني قد أعرضت عنهم حتى حين. أقبلوا علينا فيقبل عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾[الإسراء:٨].

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ أحوالهم، ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ جزاء بما علموا من الخير والشر.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ وإنما كان ذلك فيما كانوا يتمنون قيام الساعة، وكانوا يستعجلون ذلك لفرط جهلهم، ولقلة تصديقهم.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ وأتاح البلاء بعقوهم. ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنْذَرِينَ (١٧٧) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ وعن قريب يحصل ما منه يحذرون.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ تقديساً، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أهل الأهواء والبدع.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الذين يُبلغون رسالات ربهم ليبلغوها بالسلامة.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي هو المحمود في كل حال من الحالات، ساءَ أو سَرّ، نَفَعَ أو ضَرّ"[١١١٥]. والله أعلم.

---

[١١١٥] *التأويلات النجمية*، ٥/١٧٤-١٧٧.

## ٥.٢ سورة صٓ

بسم الله الرحمن الرحيم

"بسم الله الذي هزم الأحزاب، الرحمن الذي أنزل الكتاب المبارك، ليدبروا آياته، وليتذكر أولوا الألباب، الرحيم الذي وعد المؤمنين جنات عدن مفتحة لهم الأبواب. وهذه السورة مكية، وهي ثمان وثمانون آية. وقيل: ست وثمانون. وقيل: خمس وثمانون. الاختلاف في قوله: ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾، وقوله: ﴿كُلٌّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾، ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾. وكلماتها سبعمائة وثلاث وثلاثون. وحروفها ألفان وتسعمائة وأربع وتسعون. وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة، أنه ختم تلك السورة باسم ربّ العالمين، وفتح هذه باسم ربّ العالمين الصادق. وانتظام السورتين أنهما في ذكر المشركين، ومحاجتهم، ووعظهم، وتنبيههم، وتسلية النبي ﷺ، وبشارته بحسن العاقبة بما ذكر من قصص المرسلين والأمم الماضيين"[١١١٦]. وروى أبيّ بن كعب – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال: "من قرأ سورة صٓ، كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عشر حسنات، وعُصِمَ أن يصرّ على ذنب صغيرة كانت أو كبيرة"[١١١٧].

---

[١١١٦] *التيسير في التفسير*، ١٢/٤٦١-٤٦٢.

[١١١٧] الثعلبي: *الكشف والبيان*، ٤/١٠٩. الواحدي: *الوسيط*، ٣/٥٣٧. الزيلعي: *تخريج أحاديث الكشاف*، ٣/١٩٥، رقم (١١١٠).

﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧) أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"قوله تعالى: ﴿صٓ﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: هو قسم أقسم الله تعالى باسم من أسمائه. قرأ الحسن (صاد) بالكسر، من المصاداة، يعني عارض القرآن بعملك، وقابله به، فاعمل بأوامره، وانتَهِ عن نواهيه. وكان عيسى بن عمر يقرأ صاد بالفتح، ومعناه اقرأ صاد. وقرأ العامة بسكون الدال، لأنها حروف الهجاء فلا يدخلها الإعراب. ومعناه أقسم بالصاد. وقال الضحاك: معناه صدق الله. وقال قتادة: هو اسم القرآن. وقال محمد بن كعب القرظي: هو افتتاح أسماء الله تعالى صمد وصانع وصادق. وقال عكرمة: سأل نافع الأزرق عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - عن صٓ، فقال: كان صٓ بحرا، وكان عليه غرس، إذ لا ليل ولا نهار. وقال سعيد بن جبير: صٓ بحر يحي الله به الموتى بين النفختين. وقيل: هو اسم محمد ﷺ، اختصار من المصطفى. وقيل: معناه صد أهل مكة عن الحق"[١١١٨].

---

[١١١٨] التيسير في التفسير، ٤٦٢/١٢.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ "وهو قسم أيضا معطوف على ماقبله. ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ ذي الشرف. ويقال: فيه ذكر من كان قبله. ويقال: ذي الذكر، ذي الوعظ. ويقال: ذي الذكر، يعني ذي العلم. ويقال: ذي الذكر أي ما يحتاج إليه. ويقال: ذي الذكر يعني ذكر أسماء الله تعالى وصفاته.

وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾. وقال بعضهم: جواب القسم: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾، ومعناه: لكم أهلكنا، فلما طال الكلام حذف اللام. وقال بعضهم: والذي وقع عليه القسم محذوف، والمذكور بعده دل عليه، وهو قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ وذلك المحذوف لقد جاء الحق. وقيل معناه: ماالذين كفروا في طلب الحق، بل هم في تعزز عند نفسهم عن طلب الحق، أي ترفع وتكبر وشقاق، أي ومشاقة لمحمد وهو المعاداة والمخالفة، وكلمة (بل) تدل عليه، لأنها لنفي مامضى، وإثبات ماذكر بعده.

ثم خوفهم فقال: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ يعني من أمة. ﴿فَنَادَوا۟﴾ يعني فنادوا في الدنيا، واستغاثوا. ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي ليس بحين فرار. وروى معمر عن قتادة: ﴿فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ قال: نادوا على غير حين النداء. وقال ابن عباس – رضي الله عنهما –: كان الكفار إذا قاتلوا فاضطروا في الحرب، قال بعضهم لبعض: مناص، أي اهربوا وحذوا حذركم. فلما زاد بهم العذاب ببدر قالوا: مناص. فأنزل الله تعالى: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾. وقيل: معناه أهلكنا قبل مشركي العرب من القرون الخالية بتكذيبهم، فلم يقدروا على دفع الهلاك عن أنفسهم، ولما أخذهم العذاب رفعوا أصواتهم بالاستغاثة والتوبة طلبا للخلاص فلم ينفعهم ذلك، لأنه كان حاله اليأس. وقال أبو عبيدة: اختلفوا في

الوقف، قال بعضهم: يوقف عند قوله: ﴿وَّلَاتَ﴾، ثم يبدأ: ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾. وقال بعضهم: أن الوقف عند قوله: ﴿وَّلَا﴾، ثم يبدأ: تَحِينَ مَنَاصٍ. لأنه لايوجد في شيء من كلام العرب (ولاتَ)، وإنما المعروف والمشهور (ولا)، ولأن تفسير ابن عباس – رضي الله عنه – هكذا، وذلك أنه قال: ليسَ تحين فرار. و(ليسَ) هي أخت (لا) وبمعناها. قال أبو عبيدة: ثم مع هذا تعمدت النظر في الذي يقال له مصحف الإمام، وهو مصحف عثمان بن عفان – رضي الله عنه – فوجدت [التاء][١١١٩] متصلة مع حين"[١١٢٠].

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ "أي أظهر هؤلاء المشركون العجب من أن جاءهم رجل منهم ينذرهم عذاب الله. ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ أي هذا خادع بكلامه المموه، كذاب في دعوة الرسالة. ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ أي أحكم أن الآلهة التي تعبد إنما يستحق العبادة إله واحد"[١١٢١]. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ "يعني لأمر عجيب. ويقال: أجعل الآلهة إلها واحدا؟ كيف يتسع لحاجتنا إله واحد، ولا تكفي لها آلهة كثيرة؟"[١١٢٢]. وروي عن ابن عباس أنه قال: "لما مرض أبو طالب، دخل عليه نفر من قريش، فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك يشتم آلهتنا، ويقول ويقول، ويفعل ويفعل، فأرسل إليه، وانهُ عن ذلك، فأرسل إليه أبو طالب، فجاء النبي ﷺ، وكان إلى جنب أبي طالب موضع رجل، فخشي أبو جهل إن جاء فيجلس إلى جنب عمه، أن يكون أرق له عليه. فوثب

---

[١١١٩] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/١٥٨.

[١١٢٠] بحر العلوم، ٣/١٥٧-١٥٨.

[١١٢١] التيسير في التفسير، ١٢/٤٦٦.

[١١٢٢] بحر العلوم، ٣/١٥٨.

فجلس في ذلك المجلس، فلما جاء النبي – عليه السّلام –، لم يجد مجلساً إلا عند الباب. فلما دخل عليه، قال له أبو طالب: يا ابن أخي إن قومك يشكونك، ويزعمون أنك تشتم آلهتهم، وتقول وتقول، وتفعل وتفعل. قال: يا عَمُّ إنما أدعوهم على كلمة واحدة، تُدِينُ لهم بها العرب، وتُؤَدي إليهم بها العَجمُ الجِزْية". قالوا: وما هي؟ فقال النبي – عليه السّلام –: "لا إله إلا الله"، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم، ويقولون: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾"[١١٢٣].

﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ "يعني الأشراف من قريش، يقول بعضهم لبعض: ﴿أَنِ امْشُوا﴾ يعني امضوا، ﴿وَاصْبِرُوا﴾ يعني اثبتوا. ﴿عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ يعني على عبادة آلهتكم. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ يعني إن كلام محمد هذا شيء يراد جرّكم إلى الانقياد له، ليتحكم في أنفسكم وأموالكم وأولادكم وأهاليكم بما يشاء، وهو كلام يركز على الإيهام للتحذير. ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ أي أن قوله: (لا إله إلا الله) ماسمعنا به في أديان قومنا التي هي الملة المتأخرة عن المتقدمة، وهي اليهود والنصارى. ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ أي ماهذا إلا ابتداع كذب. ثم اتفق المتأخرون وهم أهل الكتاب وقالوا: ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ أي القرآن. استفهام بمعنى الإنكار، يعني كيف خُص به دوننا؟! يقول الله تعالى: ﴿بَل هُمْ فِي شَكٍّ

---

[١١٢٣] ابن حنبل: المسند،٥/٣٩٣،٣٩٤، رقم (٣٤١٩). ابن أبي شيبة: *المصنف*، ٢١/٢٤٠– ٢٤١، رقم ٣٧٧١٩. النسائي: *السنن الكبرى*،١٠/٢٣٣، رقم ١١٣٧٢. الطبري: *جامع البيان*،٢١/١٤٩،١٥٠. ابن حبان: *صحيح ابن حبان*،١٥/٧٩،٨٠، رقم (٦٦٨٦). الترمذي: *سنن الترمذي*،٥/٣٦٥، رقم (٣٢٣٢). الحاكم : *المستدرك*، ٢/٤٦٩، رقم (٣٦١٧).

مِّن ذِكْرِى﴾ يعني في ريب من القرآن والتوحيد. ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ أي لم يذوقوا عذابي. فهذا تهديد لهم أي سيذوقون"[١١٢٤].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ (١) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ وقوله: ﴿صٓ﴾ قال بعضهم: "أنه مفتاح اسم الله التي أولها صاد، كقولنا: صادق الوعد، صانع المصنوعات. الثاني: معناه صدق محمد في كل ما أخبر عن الله تعالى. الثالث: معناه صد الكفار عن قبول هذا الدين. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[محمد:١]. الرابع: معناه أن القرآن مركب من هذه الحروف أنتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضة القرآن، فدل ذلك على أن القرآن معجز. وقوله: ﴿ذِي ٱلذِّكْرِ﴾ ذي التباهي، فيه قصص الأولين والآخرين، وفيه بيان العلوم الأصلية والفرعية.

قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ والمراد منه الكفار من رؤساء قريش، الذين يجوز على مثلهم الإجماع على الحسد والتكبر عن الانقياد إلى الحق، والعزة ههنا التعظيم، وما يعتقده الإنسان في نفسه من الأحوال التي تمنعه من متابعة الغير، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتق الله أَخَذَتْهُ العزة بالإثم﴾[البقرة:٢٠٦]. والشقاق هو إظهار المخالفة على جهة المساواة للمخالف، أو

---

[١١٢٤] بحر العلوم، ٣/١٥٩.

على جهة الفضلية عليه، وهو مأخوذ من الشق، كأنه يترفع عن أن يلزمه الانقياد، بل يجعل نفسه في شق وخصمه في شق، ومثله المعاداة.

ثم إنه تعالى لما وصفهم بالعزة والشقاق خوفهم فقال: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ﴾ والمعنى أنهم نادوا عند نزول العذاب في الدنيا. ويقال: نادوا بالإيمان والتوبة عند معاينة العذاب، وقد مرّ هذا.

ثم قال: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ يعني و لم يكن ذلك الوقت وقت فرار من العذاب، وهو كقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ﴾[غافر:٨٤]، وقال: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بالعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْئَرُونَ﴾[المؤمنون:٦٤]، وكقوله: ﴿ءالئَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾[يونس:٩١]، وقوله: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ﴾[غافر:٨٥].

قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَـٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ ٱلآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ (٥) وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلآخِرَةِ إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ ٱخْتِلاَقٌ﴾ اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق، أردفه بشرح كلماتهم الفاسدة، فقال: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾، وفي قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ وجهان: الأول: أنهم قالوا: إن محمداً مساولنا في الخلقة الظاهرة، والأخلاق الباطنة، والنسب، والشكل، والصورة، فكيف يعقل أن يُختص من بيننا بهذا المنصب العالي والدرجات الرفيعة؟!. والثاني: أن الغرض من هذه الكلمة التنبيه على كمال جهالتهم، وذلك لأنهم جاءهم رجل يدعوهم إلى التوحيد، وتعظيم الملائكة، والترغيب في الآخرة، والتنفير عن

الدنيا، ثم إن هذا الرجل من أقاربهم يعلمون أنه كان بعيداً من الكذب والتهمة، وكل ذلك مما يوجب التهمة، والاعتراف بتصديقه، ثم إن هؤلاء بحماقتهم يتعجبون من قوله، فقال: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ ومعناه أن محمداً ﷺ كان من رهطهم وعشيرتهم، وكان مساوياً لهم في الأسباب الدنيوية، فاستنكفوا من الدخول تحت طاعته، ومن الانقياد لتكاليفه، وعجبوا أن يُختص هو من بينهم برسالة الله، وأن يتميز عنهم بهذه الخاصية الشريفة، وبالجملة فما كان لهذا التعجب سبب إلا الحسد.

ثم قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ثم إنه تعالى لما حكى جوامع ما عولوا عليه في إثبات كونه كاذباً وهي ثلاثة: أحدها: ما يتعلق بالإلهيات. وثانيها: ما يتعلق بالنبوات. وثالثها: ما يتعلق بالمعاد. وأما الشبهة المتعلقة بالإلهيات فهي قولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾. روي أنه لما أسلم عمر، فرح المسلمون فرحاً شديداً، وشق ذلك على قريش، فاجتمع خمسة وعشرون نفساً من صناديدهم، ومشوا إلى أبي طالب، وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء - يعنون المسلمين - فجئنا لتقضي بيننا، وبين ابن أخيك، فاستحضر أبو طالب رسول الله ﷺ، وقال: يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال، فلا تمل كل الميل على قومك. فقال رسول الله ﷺ: "ماذا يسألونني؟ قالوا: ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا، وندعك وآلهتك. فقال رسول الله ﷺ: أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم، أتعطوني أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب، وتدين لكم [العجم][١١٢٥]

---

[١١٢٥] في الأصل (العجب)، وصححتها من مفاتيح الغيب، ٣٦٨/٢٦.

؟ قالوا: نعم. قال: فقولوا: "لا إله إلا الله". فقاموا، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾"[١١٢٦]، أي بليغ في العجب.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ قوله: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ الملأ عبارة عن قوم إذا حضروا في المجلس فإنه تمتلىء القلوب والعيون من مهابتهم وعظمتهم، يعني انطلقوا عن مجلس أبي طالب، بعد ما بكّتهم رسول الله ﷺ بالجواب، قائلين بعضهم لبعض: ﴿ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ قال صاحب (الكشاف): (أن) بمعنى (أي) لأن المنطلقين عن مجلس التقاول، لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى في المجلس المتقدم، فكان انطلاقهم مضمناً معنى القول. وقال بعضهم لبعض: امشوا واصبروا، فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد، إن هذا لشيء عجاب، وفيه ثلاثة أوجه: أولها: ظهور دين محمد ليس له سبب ظاهر، فثبت أن تزايد ظهوره ليس إلا أن الله يريده، وما أراد الله كونه فلا دافع له. وثانيها: أن الأمر كشيء من نوائب الدهر فلا انفكاك لنا منه. وثالثها: أن دينكم لشيء يراد، أي يطلب ليؤخذ منكم.

قوله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾ هي ملة النصارى، فقال: إن هذا التوحيد الذي أتى به محمد ما سمعنا به في دين النصارى. أو يكون المراد بالملة الآخرة ملة

---

[١١٢٦] الترمذي: *سنن الترمذي*،٥/٣٦٥، رقم (٣٢٣٢)، النسائي: *السنن الكبرى*،١٠/٢٣٣، رقم (١١٣٧٢). ابن حنبل: *المسند*،٣/٤٥٨، رقم (٢٠٠٨). الطبري: *جامع البيان*،٢١/١٥١. ابن حبان: *صحيح ابن حبان*،١٥/٧٩،٨٠، رقم (٦٦٨٦). الحاكم: *المستدرك*،٢/٤٦٩، رقم (٣٦١٧). البيهقي: *السنن الكبرى*،٩/٣١٦، رقم (١٨٦٤٨). ابن حنبل: *المسند*،٥/٣٩٣، رقم (٣٤١٩). الطبري: *جامع البيان*،٢١/١٤٩. النسائي: *السنن الكبرى*، رقم (١١٣٧٣). السيوطي: *الدر المنثور*،٧/١٤٢.

قريش التي أدركوا آباءهم عليها. ثم قال: ﴿إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ ٱخْتِلاَقٌ﴾ أي افتعال وكذب، وحاصل الكلام في هذا الوجه أنهم قالوا نحن ما سمعنا عن أسلافنا القول بالتوحيد، فوجب أن يكون باطلاً، ولو كان القول بالتقليد حقاً لكان كلام هؤلاء المشركين حقاً، من حيث علمنا أن القول بالتقليد باطل.

قوله تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ اعلم أن هذا هو الشبهة الثالثة لأولئك الكفار، وهي الشبهة المتعلقة بالنبوات، وهي قولهم إن محمداً لما كان مساوياً لغيره في الذات، والصفات، والخلقة الظاهرة، والأخلاق الباطنة، فكيف يعقل أن يُختص هو بهذه الصفة العالية الشريفة؟ وهو قولهم: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ فإنه استفهام على سبيل الإنكار، وحكى الله تعالى عن قوم صالح أنهم قالوا مثل هذا القول: ﴿أَءُلْقِىَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[القمر:٢٥]، وحكى الله تعالى عن نبينا محمد ﷺ أيضاً أنهم قالوا: ﴿لَوْلاَ نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[الزخرف:٣١]، وتمام الكلام في تقرير هذه الشبهة: أن قالوا النبوة أشرف المراتب، فوجب أن لا تحصل إلا لأشرف الناس، ومحمد ليس أشرف الناس، فوجب أن لا تحصل له النبوة، والمقدمتان الأوليان حق، لكن الثالثة كاذبة، وسبب رواج هذا الغلط عليهم، أنهم ظنوا أن الشرف لا يحصل إلا بالمال والأعوان وذلك باطل، فإن مراتب السعادة ثلاثة: أعلاها: هي النفسانية، وأوسطها: البدنية، وأدونها: وهي الخارجية، وهي المال والجاه. فالقوم عكسوا القصة وظنوا بأحسن المراتب وأشرفها لا يكون إلا بالمال. فلما وجدوا الجاه عند غيره ظنوا أن غيره أشرف منه، فحينئذ انعقد هذا القياس الفاسد في أفكارهم، ثم إنه تعالى أجاب عن

هذه الشبهة بوجوه: الأول: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ أي من الدلائل التي لونظروا فيها لزال هذا الشك عنهم، وذلك لأن كل ما ذكروه من الشبهات فهي كلمات ضعيفة، وأما الدلائل التي نصبتها تدل على صحة نبوة محمد، فهي دلائل قاطعة، فلو تأملوا حق التأمل في الكلام لوقفوا على ضعف الشبهات التي تمسكوا بها في إبطال النبوة، ولعرفوا صحة الدلائل الدالة على نبوتك، فحيث لم يعرفوا ذلك كان لأجل أنهم تركوا النظر والاستدلال. قوله تعالى: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ والمعنى أنه تعالى يقول: هؤلاء إنما تركوا الاستدلال لأني لم أذقهم عذابي، ولو ذاقوه لم يقع إلا الإقبال على أداء المأمورات، والانتهاء عن المنهيات. وثانيها: أن يكون المراد من قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ هو أن النبي ﷺ كان يخوفهم من عذاب الله لو أصروا على الكفر، ثم إنهم أصروا على الكفر، ولم ينزل عليهم العذاب، فصار ذلك سبباً لشكهم في صدقه، وقالوا: ﴿إِن كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾[الأنفال:٣٢] فقال: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ معناه ما ذكرناه، وقوله تعالى: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ معناه أن ذلك الشك إنما حصل بسبب عدم نزول العقاب"[١١٢٧].

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

قوله تعالى: ﴿صٓ﴾ "يشير إلى القسم بصاد صمديته في الأزل، وبصاد صانعيته في الوسط، وبصاد صبوريته إلى الأبد، وبصاد صادق الذي جاء بالصدق، وبصاد صديقه الذي

---

[١١٢٧] مفاتيح الغيب، ٢٦/٣٦٥-٣٧٠.

صدق به، وبصاد صفوته في مودته ومحبته، وبقوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾، يشير إلى القسم بالقرآن الذي هو مخصوص بالذكر، وذلك لأن القرآن قانون معالجات القلوب المريضة، وأعظم مرض القلب نسيان الله، كما قال تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة:٦٧]، وأعظم علاج مرض النسيان بذكر الله، كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة: ١٥٢].

وبقوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ يشير إلى انحراف مزاج قلوب الكفار لمرض نسيان الله من اللين والسلامة إلى الغلظة والقساوة، ومن التواضع إلى التكبر، ومن الوفاق إلى الخلاف، ومن الوصلة إلى الفرقة، ومن المحبة إلى العداوة، ومن مطالعة الآيات إلى الاعتراض.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ﴾ عند هجوم البلاء، ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ إذ فات وقت الإشكاء.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ ولم يعجبوا أن المنحوتات آلهة، وهذا مناقضة، فلما تحيروا في شأن أنبيائهم، ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾، والإشارة في هذا أنهم لما كانوا منحرفي مزاج القلوب بمرض نسيان الحق، جاءت النبوة على مذاق عقولهم المتغيرة سحراً، والصديق كذاباً، ومن حول نظرهم رأوا الإله الواحد آلهة، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ ولم يعلموا أنهم جعلوا الإله الواحد آلهة، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ لم تباشر خلاصة التوحيد قلبهم، وتعدوا عن ذلك، فضلاً عن أن يكون إثباتاً وحكماً، فلا عرفوا الله ولا معنى الإلهية، فإن الإلهية، هي القدرة على الاختراع، وتقدير قادرين على الاختراع غير

صحيح، لما يجب من وجوده المانع بينهما وجوازه، وذلك يمنع كمالها، ولو لم يكونا كاملي الوصف لم يكونا إلهين، وكل أمر جرّ تنويه بسقوطه مطوع باطل.

وبقوله: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ يشير إلى إن الكفار إذا تراضوا فيما بينهم بالصبر على آلهتهم، فالمؤمنون أولى بالصبر على عبادة معبودهم، والاستقامة في دينهم، بل الطالب الصادق، والعاشق الوامق أولى بالصبر والثبات على قدم الصدق في طلب المعبود المحبوب المعشوق، ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ في الأزل في المقبول والمردود.

وبقوله: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلآخِرَةِ﴾ يشير إلى أن ركون الجهال إلى الشر وما وجدوا عليه أسلافهم من الضلال، واستناموا إلى التقليد.

وبقوله: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ يشير إلى أن القرآن قديم، لأنه سماه الذكر، ثم أضافه إلى نفسه تعالى بقوله: ﴿مِّن ذِكْرِي﴾ ولا خفاء بأن ذكره قديم، لأن الذكر المحدث يكون مسبوقاً بالنسيان، وهو منزه عن النسيان، وبقوله: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ يشير إلى أنهم مستغرقون في عذاب الطرد، والبعد، ونار القطيعة، ولكنهم عن ذوق العذاب بمعزل، لغلبة الحواس إلى أن يكون ﴿يَوْمَ تُبْلَىٰ ٱلسَّرَآئِرُ﴾[الطارق: ٩]، فيغلب السرائر على الصور، والبصائر على البصر، فقيل لهم: ذوقوا العذاب، يعني كنتم معذَّبين، وما كنتم ذائقي العذاب. فالمعنى لو ذاقوا عذابي ووجدوا ألمه، لما أقدموا على ما أترفوا فيه من جحودهم، وفيه إشارة إلى حال أكثر علماء زماننا وعُبَّادهم، إذا رأوا عالماً ربَّانياً من أرباب الحقائق يخبر عن حقائق لم يفهموها، ويشير إلى دقائق لم يذوقوها، دعتهم النفوس المتمردة إلى

تكذيبه، ويقولون: أكُشف هو بهذه الحقائق من بيننا؟! ويقعون في الشك من أمرهم، لواستبصروا في دينهم لما جحدوهم، واغتنموا أنفاسهم، واقتبسوا من أنوارهم. هذا هو الباطن، والإقرار بظواهرها واجب"[١١٢٨]، والله أعلم بسرائر الأمور.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبابِ (١٠) جُنْدٌ مَا هُنالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزابِ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحابُ الْأَيْكَةِ أُولئِكَ الْأَحْزابُ (١٣) إِنْ كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقابِ (١٤) وَمَا يَنْظُرُ هؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً مَا لَها مِنْ فَواقٍ (١٥) وَقالُوا رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ (١٦) اصْبِرْ عَلى مَا يَقُولُونَ...﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

ثم أخبر عن جهالة الكفار وضلالتهم بقوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ "أم عندهم خزائن رحمة ربك، يعني مفاتيح النبوة بأيديهم، يعني ليس ذلك بأيديهم، وإنما ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء. ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ يعني بيد الله، العزيز في ملكه، الْوهاب لمن يشاء.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي ألَهُم ملكهما ليختاروا النبوة لمن يشاء؟ بل الله يختار من يشاء، فيوحي الرسالة إلى من يشاء. ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ يعني إن

---

[١١٢٨] التأويلات النجمية، ٥/١٢٨-١٨٠.

لم يرضوا بما فعل، فليكلفوا الصعود إلى السماء. وقال القتبي: أسباب السماء: أبواب السماء. يعني فليصعدوا إلى السماء من أبوابها وطرقها الموصلة إليها، فليمنعوا من نزول الوحي على محمد، وإذ لم يمكنهم أن يفعلوا ذلك، وهو كان لي أنزله على من أشاء.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّن ٱلأَحْزَابِ﴾ ما ههنا زائدة. يعني هم جند مهزومون من الكفار في موضع الارتقاء، فكيف يرتقون في الأسباب؟. قال مقاتل: فأخبر الله تعالى بهزيمتهم ببدر[١١٢٩]. وقال الكلبي: يعني عند ذلك مهزوم، يعني مغلوب"[١١٣٠].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ "يعني من قبل أهل مكة"[١١٣١]، وفيها تعزية النبي ﷺ. قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ "رسولهم نوحا. ﴿وَعَادٌ﴾ هودا. ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾ موسى. ﴿ذُو الْأَوْتَادِ﴾ يعني ذو ملك دائم. وقيل: هو أوتاد خيام الجيوش، فكانت كثيرة فعرف بها.

﴿وَثَمُودُ﴾ أي كذبت صالحا. ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ أي كذبوا لوطا"[١١٣٢]. ﴿وَأَصْحَٰبُ الْأَيْكَةِ﴾ "أي قوم شعيب كذبوا شعيبا. الأيكة: الغيضة. ﴿أُوْلَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ يعني الكفار، سموا أحزاباً لأنهم تحزبوا على أنبيائهم. أي تجمعوا بأن كذبوا، فأخبر الله في الآية أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب.

---

[١١٢٩] مقاتل: *تفسير مقاتل*، ٣/٦٣٧.

[١١٣٠] السمرقندي: *بحر العلوم*، ٢/٥٣٠. وقال ابن جزي: هذا وعيد بهزيمتهم في القتال، وقد هزموا يوم بدر وغيره. *التسهيل*، ٢/٢٠٣.

[١١٣١] *بحر العلوم*، ٣/١٦٠.

[١١٣٢] *التيسير في التفسير*، ١٢/٤٧٢-٤٧٣.

﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ أي ما كلٌّ إلا كذب الرسل. ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أي وجب عذابي عليهم وأهلكتهم.

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي وماينظر هؤلاء المشركون إلا نفخة واحدة، وهي النفخة الأولى. ويقال: عذابا يفاجئهم فيستأصلهم. يقال: صاح بهم الزمان، أي هلكوا. ويقال: لم يذوقوا عذابي في الدنيا، فهولهم يوم القيامة. ﴿مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ يعني من نظرة،ورجعة. (فواق) بضم الفاء وفتحها، ما بين حلبتي الناقة، لأن اللبن يعود إلى الضرع، وكذلك إفاقة المريض يعني رجع إلى الصحة. ويقال: ما لها من انتظار.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ يعني صحيفتنا وكتابنا في الدنيا. ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ يعني قبل يوم القيامة. ويقال: لما نزل قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾[الحاقة:٢٥]، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾.

﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعني من قولهم: ﴿هَـٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾، وقولهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا﴾، وقولهم: ﴿عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾، وغير ذلك، فإنا نجعل لك العاقبة المحمودة"[١١٣٣].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩) أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (١٠) جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ "هذا

---

[١١٣٣] *بحر العلوم*، ٣/١٦٠-١٦١، *التيسير في التفسير*، ١٢/٤٢٣-٤٢٦.

هو الوجه الثاني من الوجوه التي ذكرها الله تعالى في الجواب عن تلك الشبهة، وتقدير هذا الجواب أن منصب النبوة منصب عظيم، ودرجة عالية، فالقادر على هبتها يجب أن يكون عزيزا أي كامل القدرة، ووهابا أي عظيم الجود، وذلك هو الله سبحانه وتعالى. ويقال: وإذا كان هو تعالى كامل القدرة كامل الجود، لم يتوقف كونه واهباً لهذه النعمة على كون الموهوب غنيا أو فقيرا، ولم يختلف ذلك أيضاً بسبب أن أعداءه يحبونه أو يكرهونه. والوجه الثالث في الجواب عن هذه الشبهة قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَابِ﴾. واعلم أنه يجب أن يكون المراد من هذا الكلام مغايراً للمراد من قوله: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾، [والفرق][١١٣٤] أن خزائن الله تعالى غير متناهية كما قال: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾، ومن جملة تلك الخزائن هوهذه السماوات والأرض، فلما ذكر الخزائن أولا على عمومها أردفها بذكر ﴿مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾[١١٣٥] يعني أن هذه الأشياء أحد أنواع خزائن الله، فإذا كنتم عاجزين عن هذا القسم، فبأن تكونوا عاجزين عن كل خزائن الله كان أولى، فهذا ذكر ماأمكن في الفرق بين الكلامين، أما قوله تعالى: ﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَابِ﴾، فالمعنى أنهم لما أن ادعوا أن لهم ملك السموات والأرض، فعند هذا يقال لهم: ارتقوا في الأسباب، واصعدوا في المعارج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يرتقوا عليه، ويدبّروا أمر العالم، وملكوت الله، وينزلوا الوحي على من يختارون.

---

[١١٣٤] في الأصل (والقرآن)، وصححتها من مفاتيح الغيب، ٢٦/٣٧٠.

[١١٣٥] في الأصل (ملكوت)، وهو خطأ في كتابة الآية.

قوله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلأَحْزَابِ﴾ ففيه مقامان في البحث: أحدهما: تفسير هذه الألفاظ. والثاني: كيفية تعلقها بما قبلها. أما المقام الأول: فقوله: ﴿جُندٌ﴾ مبتدأ، و﴿مَّا هُنَالِكَ﴾ للإبهام، و﴿مِّنَ ٱلأَحْزَابِ﴾ صفة الجند، و﴿مَهْزُومٌ﴾ خبر المبتدأ. وأما قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ فيجوز أن يكون صفة الجند [أي جند ثابت هنالك، ويجوز أن يكون متعلقاً بمهزوم معناه أن الجند من الأحزاب مهزوم هنالك][1136]، أي في ذلك الموضع الذي يذكرون هذه الكلمات الطاعنة في نبوة محمد ﷺ. وأما المقام الثاني: فهو أنه تعالى لما قال إن كانوا يملكون السموات والأرض فليرتقوا في الأسباب، ذكر عقيبه أنهم جند من الأحزاب منهزمون ضعيفون، فكيف يكونون مالكي السموات والأرض وما بينهما؟!. قال قتادة: هنالك إشارة إلى يوم بدر فأخبر الله تعالى بمكة أنه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر، وقيل: يوم الخندق، والأصوب حمله على يوم فتح مكة، وذلك لأن المعنى أنهم جند سيصيرون منهزمين في الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة، فوجب أن يكون المراد منهم سيصيرون منهزمين في مكة وما ذاك إلا يوم الفتح.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وفِرْعَوْنُ ذُو ٱلأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْئَيْكَةِ أُوْلَـٰئِكَ ٱلأَحْزَابُ (١٣) إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا يَنظُرُ هَـٰؤُلآءِ إِلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ اعلم أنه تعالى لما ذكر في الجواب عن شبهة القوم أنهم إنما توانوا وتكاسلوا في النظر والاستدلال، لأجل أنه لم يترل بهم العذاب، بيَّن

---

[1136] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٣٧٠.

تعالى في هذه الآية أن أقوام سائر الأنبياء هكذا كانوا ثم بالآخرة نزل ذلك العقاب، والمقصود منه تخويف أولئك الكفار الذين كانوا يكذبون الرسول في إخباره عن نزول العقاب عليهم، فذكر الله ستة أصناف أولهم: قوم نوح ولما كذبوا نوحاً أهلكهم الله بالغرق وبالطوفان. والثاني: عاد قوم هود لما كذبوا أهلكهم الله بالريح. والثالث: فرعون لما كذب موسى أهلكه الله مع قومه بالغرق. والرابع: ثمود قوم صالح لما كذبوه فأهلكوا بالطاغية. والخامس: قوم لوط كذبوه فأهلكوا بالخسف. والسادس: أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب كذبوه فأهلكوا بعذاب يوم الظلة، قالوا: وإنما وصف الله فرعون بكونه ذا الأوتاد لأن عساكره كانوا كثيرين، وكانوا كثيري الأُهْبة، عظيمي النعم، وكانوا يكثرون الأوتاد لأجل الخيام فعرف بها. وقد مرّ هذا في التفسير الأول. ويقال: ذوالأوتاد وذوالجموع الكثيرة، وسميت الجموع أوتاداً لأنهم يقرون أمره ويشدون مملكته كما يقوي الوتد البناء.

ثم قال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلأَحْزَابُ﴾ يعني أن هؤلاء الذين ذكرناهم من الأمم هم الذين تحزبوا على أنبيائهم فأهلكناهم، فكذلك نفعل بقومك، لأنه تعالى بيَّن بقوله: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلأَحْزَابِ﴾ أن قوم [محمد ﷺ][١١٣٧] جند من الأحزاب، أي من جنس الأحزاب المتقدمين، فلما ذكروا أنه عامل الأحزاب المتقدمين بالإهلاك، كان ذلك تخويفاً شديداً لقوم محمد ﷺ.

---

[١١٣٧] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٧٢/٢٦.

ثم قال: ﴿إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أي كل هذه الطوائف كذبوا أنبياءهم في الترغيب والترهيب، لا جرم نزل العقاب عليهم وإن كان ذلك بعد حين، والمراد منه زجر السامعين.

ثم بيّن تعالى أن هؤلاء المكذبين وإن تأخر هلاكهم فكأنه واقع، فقال: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَآءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ وتفسير الصيحة قد تقدم.

ثم إنه سبحانه وصف هذه الصيحة فقال: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾، والفواق اسم من الأفاق، معناها الرجوع والسكون، كأفاقة المريض. وروى الواحدي في البسيط عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: "يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الفزع، قال فيمدها ويطولها، وهي التي يقول: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾"[١١٣٨]. ثم قال الواحدي: وهذا يحتمل معنيين أحدهما: ما لها سكون. والثاني: ما لها رجوع، والمعنى ما تسكن الصيحة ولا ترجع إلى السكون.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦) ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ واعلم أنه ذكر في تفسير قوله: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ أن القوم إنما تعجبوا شبهات ثلاثة: أولها: يتعلق بالإلهيات، وهو قوله: ﴿أَجَعَلَ ٱلآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾. والثانية: تتعلق بالنبوات، ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾. والثالثة: تتعلق بالمعاد، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ وذلك

---

[١١٣٨] الطبري: جامع البيان، ٢١/١٦١. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٥/١٥٧.

لأن القوم كانوا في نهاية الإنكار للقول بالحشر والنشر، فكانوا يستدلون بفساد القول الحشر والنشر على فساد نبوته، والقطّ: القطعة من الشيء، لأنه قطعه من قطعة، ولما ذكر رسول الله ﷺ وعد المؤمنين بالجنة، قالوا على سبيل الهزء: عجل لنا نصيبنا من الجنة، أو عجل لنا صحيفة أعمالنا حتى ننظر فيها.

واعلم أن الكفار لما بالغوا في السفاهة على رسول الله ﷺ حيث قالوا: ساحر كذاب. وقالوا على سبيل الاستهزاء: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أمره الله تعالى بالصبر على سفاهتهم، فقال: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾"[١١٣٩].

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

"قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ يشير إلى أنه هو العزيز الذي له خزائن الرحمة، ومن دونه فهو ذليل له لاحتياجه إليه، وهو الوهاب الذي يهب لمن يشاء ما يشاء، وفيه إشارة إلى هؤلاء الكفار الذين عارضوا، ونازعوا، وكذبوا، واحتجوا عندهم شيء من هذه الأشياء، فيفعلوا ما أرادوا، ويعطوا ما شاءوا، ويرتقوا إلى السماء فيأتوا بالوحي على من أرادوا، ويهلكوا من أرادوا.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يصطفي من يشاء، ويرد من يشاء بعزته، وهم ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ كلهم عجزة لا يقدرون على ذلك، مهزومون بشبهتهم، يعني إن هؤلاء الكفار ليس معهم حجة ولا لهم قوة، ولا لأصنامهم أيضاً

---

[١١٣٩] مفاتيح الغيب، ٢٦/٣٢٠-٣٢٣.

من النفع والضر مكنة، ولا في الدفع والرد عن أنفسهم قوة، وبقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وفِرْعَوْنُ ذُو ٱلأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْئَيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلأَحْزَابُ﴾، يشير إلى تسلية قلب النبي ﷺ وتصفيته عن اهتمام كفار مكة، لئلا يضيق قلبه عن تكذيبهم إياه، ولا يحزن عليهم لكفرهم فإن هؤلاء الأحزاب.

﴿إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ كما أن قومك كذبوا، ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أي فوجب عليهم عذابي ليكونوا مظهر قهري، وحطب نار غضبي.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلآءِ﴾ كلهم، ﴿إِلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً﴾ أثراً من أثار قهرنا، ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ راحة وخلاص، وبقوله: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾، يشير إلى أن النفوس الخبيثة السفلية تميل بطبعها إلى السفليات، وهي في الدنيا لذائذ الشهوات الحيوانية، وفي الآخرة دركات أسفل سافلين جهنم، كما أن القلوب العلوية اللطيفة تميل بطبعها إلى العلويات، وهي في الدنيا حلاوة الطاعات ولذاذة القربات، وفي الآخرة درجات أعلى علّيين الجنان، وكما أن الأرواح القدسية تشتاق بخصوصيتها إلى شواهد الحق، ومشاهدات أنوار الجمال والجلال، ولكل من هؤلاء الأصناف جذبة بالخاصة بلا اختيار، كجذبة المغناطيس للحديد، وميلان طبع الحديد إلى المغناطيس من غير اختيار بل باضطرار.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فيما يلتمسون من تعجيل العذاب، فعن قريب [سيزل][١١٤٠] الله نصرك يا محمد ويعطيهم سؤلهم"[١١٤١]. والله أعلم بالسرائر.

---

[١١٤٠] في الأصل (سيقول)، وصححتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٨١.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْراقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنا مُلْكَهُ وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ (٢٠) وَهَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ (٢٢) إِنَّ هَذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَعَزَّنِي فِي الْخِطابِ (٢٣) قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ راكِعاً وَأَنابَ (٢٤) فَغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن توبة داود وأوْبَتِهِ بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ذا الأيد يعني ذا القوة على العبادة، ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي مقبل إلى طاعة الله. وقال مقاتل: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي مطيعا[١١٤٢]. وفيه إشارة إلى كماليته في العبودية بأنه لم يكن عبد الدنيا، ولا عبد الآخرة، وإنما كان عبدنا خالصا مخلصا، وله قوة في العبودية ظاهرا وباطنا، وأما قوته [في

---

[١١٤١] *التأويلات النجمية*، ٥/١٨٠-١٨١.

[١١٤٢] مقاتل: *تفسير مقاتل*، ٣/٦٣٩.

الظاهر][1143]: فبأنه قتل جالوت وجنوده بثلاثة أحجار رميا لهم. وأما قوته في الباطن: إنه كان أوّابا"[1144].

"قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ مع داود. ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْراقِ﴾ يعني في آخر النهار، وأوله. وروى طاووس أن ابن عباس قال لأصحابه: هل تجدون صلاة الصبح في القرآن؟ قالوا: لا. قال: بلى. قوله: ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْراقِ﴾ كانت صلاة الصبح يصليها داود – عليه السّلام –.

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ أي مجموعة. ﴿كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ يعني مطيعا. وقال الكلبي: المقبل إلى طاعة الله.

﴿وَشَدَدْنا مُلْكَهُ﴾ يعني قوّينا سلطنته بكثرة الرجال. وقيل: بصنعه الدروع. وقيل: بإلقاء الرعب في أعدائه. وقيل: بأسباب المنعة. وقيل: كان يحرسه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل. وقيل: شددنا ملكه، أي قوينا سلطانه بنصرنا، ودفعنا عنه.

﴿وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ﴾ يعني الفهم والعلم. ويقال: يعني النبوة. ﴿وَفَصْلَ الْخِطابِ﴾ يعني القضاء بالبينات، والأيمان. وقال قتادة، والحسن: ﴿وَفَصْلَ الْخِطابِ﴾ يعني القضاء بالبينة على الطالب، واليمين على المطلوب. وروي في الخبر أن غلاما ادّعى على رجل بقرا فأنكر المدعى عليه، وقد كان لطمه لطمة حين ادعى عليه، فسأل داود البينة، فلم يقمها، فرأى داود في

---

[1143] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٨٢.

[1144] *التأويلات النجمية*، ٥/١٨١-١٨٢.

منامه أن الله يأمر أن يقتل المدعى عليه، ويسلم البقر إلى الغلام. فقال داود: هو منام. ثم أتاه الوحي بذلك، فأخبر بذلك بني إسرائيل، فجزعت بنو إسرائيل، وقالوا: رجل لطم غلاماً لطمة فقتله بذلك. فقال: هذا أمر الله بذلك، فسكتوا. ثم أحضر الرجل وأخبره أن الله تعالى أمر بقتله. فقال الرجل: صدقت يا نبي الله: إني قتلت أباه غيلة، وأخذت البقر، فقتله داود، فعظمت هيبته، وشدد ملكه. فلما رأى الناس ذلك من داود جلّ أمره في أعينهم، وقالوا: إنه يقضي [بوحي الله تعالى][١١٤٥]، ثم إنه أرخى سلسلة من السماء، وأمره بأن يقضي بها بين [الناس][١١٤٦]، فمن كان على الحق يأخذ بالسلسلة، ومن كان ظالماً لا يقدر على أخذ السلسلة. وقد كان غصب رجل من رجل لؤلؤة، فجعل اللؤلؤة في جوف عصاً له، ثم خاصمه المدعي إلى داود، فناول المدعى عليه العصا إلى المدعي، فقال: إن هذا أخذ مني لؤلؤة، وإني صادق في مقالتي. وأخذ السلسلة، [ثم قال المدعى عليه: خذ مني العصا، فأخذ عصاه، وقال: إني قد دفعت إليه اللؤلؤ، وإني لصادق في مقالتي، فجاء وأخذ السلسلة][١١٤٧]. فتحير داود، فرفعت السلسلة، وأمره بأن يقضي بالبينات والأيمان، فذلك قوله: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ يعني خبر الخصم. ويقال: خبر الخصومة. ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ والتسوُّر أن يصعد في مكان مرتفع، وإنما سمي [المحراب

---

[١١٤٥] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/١٦١.

[١١٤٦] في الأصل (السماء)، وصححتها من بحر العلوم،٣/١٦١.

[١١٤٧] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/١٦١.

سوراً][1148]، لارتفاعه من الأرض. ويقال تَسوَّروا: بمعنى دخلوا عليه من فوق الجدار. وقال الحسن: جزَّأ داود الدهر أربعة أيام. فيوماً لنسائه، ويوماً لقضائه، [ويوماً يخلو فيه لعبادة ربه][1149]، ويوماً لبني إسرائيل يسألونه، فقال يوماً لبني إسرائيل: أيكم يستطيع أن يتفرغ لعبادة ربه يوماً لا يصيب الشيطان منه شيئاً؟ قالوا: لا يا نبي الله. فحدث داود نفسه أنه يستطيع ذلك. فدخل محرابه، وأغلق بابه، وقام يصلي في المحراب، فجاء طائر في أحسن صورة مزين، فوقع قريباً منه، فنظر إليه، فأعجبه، فوقع في نفسه منه شيء، فدنا منه ليأخذه، فوقع قريباً منه وأطمعه، أن يأخذه، ففعل ذلك ثلاث مرات، [حتى إذا كان في الرابعة][1150]، يده عليه فأخطأه، فوقع الطائر على حائط، وهبط، فأشرف داود، فإذا بامرأة تغتسل، فلما رأته نقضت شعرها، فغطت جسدها، فوقع في نفسه منها ما يشغله عن صلاته، فنزل من محرابه، ولبست المرأة ثيابها، وخرجت إلى بيتها، وخرج داود حتى عرف بيتها، وسألها من أنت؟ فأخبرته. قال: هل لك زوج؟ فقالت: نعم. قال: أين هو؟ قالت: في بعث كذا وكذا، وجند كذا وكذا. وكتب إلى عامله إذا جاءك كتابي، فاجعل فلاناً في أول الخيل. فقدم في فوارس، فقاتل، وقتل. ثم انتظر حتى انقضت عدتها، ثم خطبها، وتزوجها. فبينما هو في المحراب، إذ تسور عليه مَلَكان، وكان الباب مغلقاً، ففزع منهما، فقالا: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾، ثم خاصم أحدهما الآخر، وقال: ﴿إِنَّ هَـٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ إلى آخرها. فعلم داود - عليه السّلام - أنه

---

[1148] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/١٦٢.

[1149] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/١٦٢.

[1150] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/١٦٢.

يراد بذلك، فخرّ راكعا وأناب. قال الحسن: سجد أربعين ليلة، لا يرفع رأسه إلا للصلاة المكتوبة. قال: ولم يذق طعاماً، ولا شراباً، حتى أوحى الله إليه: أنِ ارفع رأسك فإني قد غفرت لك. وذكر عن ابن عباس في رواية الكلبي نحو هذا: فسجد أربعين يوماً حتى سقطت جلدة وجهه، ونبت العشب من دموعه[١١٥١]. فقال: يا ربّ كيف ترحمني وأنا أعلم أنك مني بخطيئتي، وذكر أن جبريل – عليه السّلام – قال له: اذهب إلى أوريا واستحل منه، فإنك تسمع صوته في موضع كذا. فأتى ذات ليلة وناداه، فأجابه، فاستحل منه، فقال: أنت في حلّ. فلما رجع، قال له جبريل: هل أخبرته بجرمك؟ قال: لا. قال: فإنك لم تعمل شيئاً، فارجع، فأخبره بالذي صنعت. فرجع داود فأخبره بذلك، فقال: أنا خصمك يوم القيامة، فرجع مغتماً، وبكى أربعين يوماً، فأتاه جبريل – عليه السّلام – فقال: إن الله تعالى يقول: إني أستوهبك من عبدي فيهبك، وأجزيه على ذلك أفضل منها، وأبدل عنها، وكان محزوناً في عمره، باكياً على خطيئته. وقال بعضهم: هذه القصة لا تصح، لأنه لا يظن بالنبي – عليه السّلام – أن يفعل مثل ذلك الفعل. وروي في خبر آخر، أن داود – عليه السّلام – سمع بني إسرائيل كانوا يقولون في دعائهم: يا إله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فيُستجاب لهم إن يذكروه في دعائهم، فأمرهم بذلك. فقولوا: يا إله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وداود، قالوا: آلله أمرك بهذا؟ قال: لا. فقالوا: لا نزيد فيه ما لم يأمر الله تعالى بذلك. فسأل داود ربه أن يجعله فيهم، فأوحى الله تعالى إليه، وذكر له ما لقي إبراهيم من الشدائد، وما لقي إسحاق ويعقوب، فسأل داود ربه بأن يبتليه ببليّة لكي يبلغ منزلتهم، فابتلي بذلك حتى بلغ مبلغهم.

---

[١١٥١] قال ابن جزي: وروي أنه بقي ساجدا أربعين يوما يبكي حتى نبت البقل من دموعه. *التسهيل*، ٢/٢٠٧.

وقال الكلبي: لما تخاصما وقال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، نظر أحدهما إلى الآخر فضحك، وقال: إن داود لم يفهم القصة قطعا من بين يديه، وصعد إلى السماء حيال وجهه، فعلم داود عند ذلك أنه مبتلى[١١٥٢].

وفي رواية أنهما لما اختصما إليه، فقال للمدعي: لقد ظلمك بسؤال نعجتك، فنسبه إلى الظلم بقول المدعي. فكان ذلك منه زلة، فاستغفر ربه، ورجع عن ذنبه، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ قال كانتا اثنتين. فذكر بلفظ الجماعة فقال: ﴿إِذْ دَخَلُواْ﴾. وقال بعضهم: كانوا جماعة، ولكنهم كانوا فريقين، فقال: ﴿إِذْ دَخَلُواْ﴾ يعني حين دخلوا عليه بالتسور. ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ أي خاف من دخولهم عليه بغير إذن، ومن غير الباب، ومع قيام الحجاب، أو ظن عليهم أنهم لصوص مكابرون، أوأنهم ملائكة جاؤوا بأمر عظيم. ﴿قَالُواْ لاَ تَخَفْ﴾ فإنا لم ندخل لريبة، لكن لوقوع خصومة، وعلمنا رضاك بإصلاح مافيها، فتفرغ داود لهم، فقالوا: ﴿خَصْمَانِ﴾ أي نحن خصمان. وقيل: أتي فينا خصمان. ﴿بَغَىٰ بَعْضُنا عَلَى بَعْضٍ﴾ أي تعدى وظلم. فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ يعني اقض بيننا بالعدل. ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي لا تباعد عن الحق. ﴿وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّراطِ﴾ يعني أرشدنا إلى أعدل الطريق"[١١٥٣].

﴿إِنَّ هَذَآ أَخِي﴾ "أي صاحبي وصديقي. ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ هي أنثى من الضأن. ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ يعني أعطني هذه النعجة. وقال بعضهم:

---

[١١٥٢] ابن جزي: التسهيل، ٢/٢٠٦.

[١١٥٣] بحر العلوم، ٣/١٦١-١٦٤.

أعطِنيها، واجعلها كفلي أي نصيبي. وقيل: أي ضُمها إلي، واجعلني كافلها. ﴿وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ﴾ أي غلبني بغير سلطانه.

قال الإمام أبو منصور - رحمه الله -: وشهد له الشهود بذلك"[١١٥٤]، فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾ "أي مع نعاجه. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ﴾ يعني من الإخوان والشركاء. ﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي ليظلم بعضهم بعضا. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ﴾ فإنهم لا يظلمون. ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ أي قليل هم الذين لا يظلمون. فلما قضى بينهما داود فأحبّا أن يعرّفاه، فصعدا إلى السماء حيال وجهه. ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ﴾ يعني علم داود. ويقال: ظن بمعنى أيقن. إلا أنه ليس بيقين عيان، فأما العيان فلا يقال فيه إلا العلم. ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أي ابتليناه، واختبرناه. ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ أي وقع ساجداً. ﴿وَأَنَابَ﴾ يعني أقبل إلى طاعة الله بالتوبة. وعن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الله الجبلي قال: لم يرفع داود رأسه إلى السماء، مذ أصاب الخطيئة حتى مات. وروي في الخبر أن داود كان له تسع وتسعون امرأة، فتزوج امرأة أوريا على شرط أن يكون ولدها خليفة بعده، فولد منها سليمان، وكان خليفته بعده.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾ يعني ذنبه وزلته. ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ يعني القربة في المنزلة يوم القيامة. ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ أي مرجع وهو الجنة"[١١٥٥].

---

[١١٥٤] التيسير في التفسير، ٤٨٢/١٢.

[١١٥٥] بحر العلوم، ١٦٤/٣.

والدليل على أن الركوع سجود ههنا، أن النبي ﷺ سجدها، وقال: "سجدها داود توبة، ونحن نسجدها شكرا"[١١٥٦].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ (١٨) وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ (٢٠) وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ "واعلم أن جامع ما ذكره الله تعالى في قصة داود – عليه السّلام – ثلاثة أنواع من الكلام فالأول: تفصيل ما آتى داود – عليه السّلام – من الصفات التي توجب سعادة الدنيا والآخرة. والثاني: ذكر الواقعة التي وقعت له من أمر الخصمين. والثالث: استخلاف الله إياه بعد وقوع تلك الواقعة. أما النوع الأول: وهو شرح الصفات التي آتاها الله داود – عليه السّلام – من الصفات الموجبة لكمال السعادة، فهي أنواع: الأول: قوله لمحمد ﷺ: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ فأمر محمداً ﷺ على جلالة قدره أن يقتدي في الصبر على طاعة الله بداود، وذلك تشريف عظيم، وإكرام تام لداود، حيث أمر أفضل الخلق محمداً ﷺ بأن يقتدي به في مكارم الأخلاق. والثاني: أنه قال في حقه: ﴿عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ فوصفه بكونه عبداً له، وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية

---

[١١٥٦] الطبراني: *المعجم الكبير*، ١٢/٣٤. رقم (١٢٣٨٦). النسائي: *السنن الكبرى*، ٢/٥. رقم (١٠٣١).

التعظيم، وذلك غاية التشريف، ألا ترى أنه سبحانه لما أراد أن يشرّف محمداً ﷺ ليلة المعراج قال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾[الإسراء:١]، وههنا يدل على التشريف لداود، فكان ذلك دليلاً على علو درجته أيضاً، فإن وصف الله تعالى الأنبياء بعبوديته مشعر بأنهم قد حققوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة. والثالث: قوله: ﴿ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾ يعني ذا القوة [على أداء الطاعة][١١٥٧] والاحترازعن المعاصي، وذلك أنه تعالى لما مدحه بالقوة وجب أن تكون تلك القوة موجبة للمدح، والقوة التي توجب المدح العظيم ليست إلا القوة على فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه. و﴿ٱلۡأَيۡدِ﴾ المذكور ههنا كالقوة المذكورة في قوله: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾[مريم:١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾[الأعراف:١٤٥] أي باجتهاد في أداء الأمانة، وتشدد في القيام بالدعوة، وترك إظهار الوهن والضعف. والأيد والقوة سواء، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ﴾[١١٥٨] [الأنفال:٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾[البقرة:٨٧]، وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾[الذاريات:٤٧]. وعن قتادة: أعطي قوة في العبادة، وفقهاً في الدين، وكان يقوم الليل، ويصوم نصف النهار. الرابع: قوله: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ أي أن داود كان رجاعاً في أموره كلها إلى طاعتي. والأواب فعال من آبَ يؤوب إذا رجع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ﴾[الغاشية:٢٥]. الخامس: قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾، ونظير هذه الآية: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَ﴾[سبأ:١٠]. وفيه مباحث: البحث

---

[١١٥٧] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٧٤/٢٦.

[١١٥٨] في الأصل (وهوالذي أيدكم)، وهو خطأ في كتابة الآية.

الأول: في كيفية تسبيح الجبال وجوه: الأول: أن الله سبحانه خلق في جسم الجبل حياة، وعقلاً، وقدرة، ونطقاً، وحينئذٍ صار الجبل مسبحاً لله تعالى، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾[الأعراف:١٤٣]، فإن معناه أنه تعالى خلق عقلاً فيه، ثم خلق فيه رؤية الله تعالى. الوجه الثاني: في تأويل ما رواه القفال في تفسيره أنه يجوز أن يقال إن داود – عليه السّلام – قد أوتي من شدة الصوت وحسنه ما كان له في الجبال دوي حسن، وما يصغي الطير إليه لحسنه، فيكون دوي الجبال، وتصويت الطير معه، وإصغاؤها إليه تسبيحاً. وذكر محمد بن إسحاق أن الله تعالى لم يعط أحداً من خلقه مثل صوت داود، حتى أنه كان إذا قرأ الزبور دنت منه الوحوش حتى يأخذ بأعناقها. الثالث: أن الله سبحانه سخر الجبال حتى أنها كانت تسير إلى حيث يريده داود، وجعل ذلك التسيير تسبيحا، لأنه يدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته. البحث الثاني: قال صاحب (الكشاف): ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ في معنى مسبحات، فقوله: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ يدل على حدوث التسبيح شيئاً بعد شيء، وحالاً بعد حال، وكان السامع حاضر تلك الجبال يسمعها. البحث الثالث: قال الزجاج: يقال: شرقت الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت. وقيل هما بمعنى. البحث الرابع: احتجوا على شرعية صلاة الضحى بهذه الآية. وعن أم هانىء قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ فدعا بوضوء فتوضأ، ثم صلى صلاة الضحى، وقال: "يا أم هانىء هذه صلاة الإشراق"[١١٥٩]. وعن طاووس عن ابن عباس قال:

---

[١١٥٩] الطبراني: *المعجم الكبير*،٢٤/٤٠٦، رقم (٩٨٦). الهيثمي: *مجمع الزوائد*،٢/٢٣٨، رقم (٣٤٣٠). الحاكم: *المستدرك*،٤/٥٩، رقم (٦٨٧٣). الثعلبي: *الكشف والبيان*،٢٢/٤٧٦-٤٧٧. الزيلعي: *تخريج أحاديث الكشاف*،٣/١٨٧-١٨٨، رقم (١٠٩٩).

هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن؟ قالوا: لا، [فقرأ][١١٦٠]: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾، وقال: كانت صلاة يصليها داود - عليه السّلام -. الصفة السادسة: قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ وفيه مباحث: البحث الأول: قوله: ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ معطوف على الجبال. [والتقدير: وسخرنا الطير محشورة. قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: كان داود إذا سبح جاوبته الجبال][١١٦١]، واجتمعت إليه الطير، فسبحت معه الطير، واجتماعها إليه هو حشرها، فيكون على هذا التقدير حاشرها هو الله تعالى.

البحث الثاني: قال صاحب (الكشاف) قوله: ﴿مَحْشُورَةً﴾ في مقابله: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ إلا أنه ليس في الحشر مثل ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على حدوث شيء بعد شيء، فلا جرم جيء به اسماً لا فعلاً. البحث الثالث: قُرِئَ ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةٌ﴾ بالرفع. السابع: من صفات داود - عليه السّلام -، قوله تعالى: ﴿كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾، ومعناه كل واحد من الجبال والطير أواب. الصفة الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ أي قويناه. والتاسعة: قوله: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ واعلم أنه تعالى قال: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة:٢٦٩]. واعلم أن الفضائل على ثلاثة أقسام: النفسانية، والبدنية، والخارجية. والفضائل النفسانية محصورة في قسمين: العلم، والعمل. أما العلم فهو أن تصير النفس بالتصورات الحقيقية، والتصديقات النفسانية بمقتضى الطاقة البشرية. وأما العمل فهو أن يكون الإنسان آتياً بالعمل الأصلح الأصوب بمصالح الدنيا والآخرة. وهذا هو الحكمة. والنوع

---

[١١٦٠] في الأصل (فقالوا)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٧٥/٢٦.

[١١٦١] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٧٥/٢٦.

العاشر من الصفات: قوله: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾. واعلم أنه تعالى لما بيّن كمال حال جوهر النفس النطقية التي لداود – عليه السّلام – بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾، أردفه ببيان كمال حاله في النطق، واللفظ، والعبارة، فقال: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ اعلم أنه تعالى لما مدحه وأثنى عليه من الصفات المذكورة، أردفه بذكر قصته ليبين بها الأحوال الواقعة في قصته.

أما قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾ فهو نظير قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾[طه:٩]. وفائدة هذا الاستفهام، التنبيه على جلالة القصة المستفهم عنها، ليكون داعياً إلى الإصغاء لها، والاعتبار بها. واعلم أن للناس في هذه القصة ثلاثة أقوال: أحدها: ذكر هذه القصة على وجه يدل على صدور الكبيرة. وثانيها: دلالتها على الصغيرة. وثالثها: ذكرها بحيث لا تدل على الكبيرة ولا على الصغيرة.

وأما القول فهو ماقد سبق في التفسير الأول، وأما الثاني فهو أن تلك القصة المذكورة في الأول، يرجع إلى أمرين: إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق، وإلى الطمع في زوجته.

أما الأول: فأمر منكر، قال ﷺ: "من سعى في دم مسلم ولو بشطر كلمة، جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله"[١١٦٢]. وأما الثاني: فمنكر عظيم، قال رسول الله ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"[١١٦٣]. وإن أوريا لم يسلم من داود لا في روحه ولا في منكوحه. والثالث: أن الله تعالى وصف داود – عليه السّلام – قبل ذكر هذه القصة بالصفات العشرة المذكورة، ووصفه أيضاً بصفات كثيرة بعد ذكر هذه القصة، وكل هذه الصفات تدل على أن داود النبي – عليه السّلام – لا يليق بهذا المنكر والعمل القبيح. والجواب عنه أن جميع المفسرين لم يتفقوا على هذا القول، بل الأكثرون والمحققون يردونه ويحكمون عليه بالكذب والفساد، وإذا تعارضت أقوال المفسرين والمحدثين فيه تساقطت. وفي القصة احتمال آخر، وهو أنه يحمل هذه القصة على وجه يوجب حصول الصغيرة، ولا يوجب حصول الكبيرة، وذلك أن كيفية هذه القصة على هذا التقدير وجوه: الأول: أن هذه المرأة خطبها أوريا فأجابوه، ثم خطبها داود فرضي أهلها، وكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه. الثاني: قالوا إنه وقع بصره عليها فمال قلبه إليها وليس له في هذا ذنب ألبتة، أما وقوع بصره عليها من غير القصد ليس بذنب، وأما حصول الميل عقيب النظر فليس أيضاً ذنباً، لأن هذا ليس في وسعه، فلا يكون مكلفاً به، بل لما اتفق أن قُتل زوجها لم

---

[١١٦٢] ابن ماجه: *سنن ابن ماجة*،٢/٨٧٤، رقم (٢٦٢٠). البيهقي: *السنن الكبرى*،٨/٤١، رقم (١٥٨٦٨). الطبراني: *المعجم الكبير*،١١/٧٩، ١١١٠٢. الهيثمي: *مجمع الزوائد*،٧/٢٩٨، رقم (١٢٣١٥). أبو نعيم: *حلية الأولياء*،٥/٧٤. البيهقي: *شعب الإيمان*،٧/٢٥٦، رقم (٤٩٦٢). الزيلعي: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (ت. ٧٦٢هـ)، *نصب الراية لأحاديث الهداية*، تحقيق: محمد عوامة،٤/٣٢٦-٣٢٧. ابن الملقن: *البدر المنير*،٨/٣٤٨-٣٥١. الألباني: *سلسلة الأحاديث الضعيفة*،٢/١، رقم ( ٥٠٣).

[١١٦٣] البخاري: كتاب الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده،١/١١، رقم (١٠). مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأيّ أموره أفضل،١/٦٥، رقم (٤١).

يتأذ تأذياً عظيماً بسبب قتله، لأجل أنه طمع أن يتزوج بتلك المرأة، فحصلت الزلة بسبب هذا المعنى، وهو أنه لم يشق عليه قتل ذلك الرجل. والثالث: أنه كان أهل زمان داود – عليه السّلام – يسأل بعضهم بعضاً أن يطلق امرأته حتى يتزوجها، وكانت عادتهم في هذا المعنى معهودة، فاتفق أن عين داود – عليه السّلام – وقعت على تلك المرأة فأحبها، فسأله النزول عنها فاستحيا أن يرده ففعل، وهي أم سليمان. فهذه وجوه ثلاثة لو حملنا هذه القصة على وجه منها لم يزل في حق داود – عليه السّلام – إلا ترك الأفضل والأولى.

وأما الاحتمال الثالث: وهو أن نذكر هذه القصة على وجه لا يلزم إيجاب الكبيرة والصغيرة بداود – عليه السّلام –، بل يوجب إلحاق أعظم أنواع المدح والثناء به، وهو أنه روي أن جماعة من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا نبي الله داود – عليه السّلام –، وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل فيه بطاعة ربه، فانتهزوا الفرصة في ذلك [اليوم][١١٦٤]، وتسوروا المحراب، فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواماً تمنعهم منه، فخافوا فوضعوا كذباً، فقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض إلى آخر القصة. وليس في لفظ القرآن ما يمكن أن يحتج به في إلحاق الذنب بداود إلا ألفاظ أربعة أحدها: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾، وثانيها: قوله: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾، وثالثها: قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾، ورابعها: قوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾. وهذه الآيات لا يدل شيء منها على ما ذكروه، وتقريره من وجوه: الأول: أنهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذه الطريقة، علم داود – عليه السّلام –، ودعاه الغضب إلى أن يشتغل بالانتقام

---

[١١٦٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٨١/٢٦.

منهم، إلا أنه مال بالصفح والتجاوز عنهم طلباً لمرضاة الله تعالى، فكانت هذه الواقعة هي التنبيه، لأنها جارية مجرى الابتلاء والامتحان، ثم إنه استغفر ربه مما همَّ به من الانتقام، وتاب عن ذلك الهمِّ وأناب، فغفر له ذلك القدر من الهمِّ والعزم. والثاني: أنه وإن غلب على ظنه أنهم دخلوا عليه ليقتلوه، إلا أنه ندم على ذلك الظن، وقال: لما لم تقم دلالة ولا أمارة على أن الأمر كذلك، فبئسما علمت حيث ظننت هذا الظن الرديء، فكان هذا هو المراد من قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾، ثم استغفر ربه، وأناب منه، فغفر له ذلك. الثالث: أن دخولهم عليه كان فتنة لداود – عليه السّلام –، إلا أنه – عليه السّلام – استغفر لذلك الداخل العازم على قتله، كما قال في حق محمد ﷺ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد:١٩]، فداود – عليه السّلام – استغفر لهم وأناب، أي رجع إلى الله تعالى في طلب مغفرة ذلك الداخل القاصد للقتل. وقوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ أي فغفرنا ذلك الذنب لأجل احترام داود ولتعظيمه. الرابع: هب أنه تاب داود – عليه السّلام – عن زلة صدرت منه، لكن لا نسلم أن تلك الزلة وقعت بسبب المرأة، فلم لا يجوز أن يقال إن تلك الزلة صدرت بسبب آخر، وهو أنه قضى لأحد الخصمين قبل أن يسمع كلام الخصم الثاني، فإنه لما قال: ﴿ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ فحكم عليه بكونه ظالماً بمجرد دعوى الخصم بغير بينة، يكون هذا الحكم مخالفاً للصواب، فعند هذا اشتغل بالاستغفار والتوبة، إلا أن هذا من باب ترك الأفضل والأولى فثبت بهذه البيانات أنا إذا حملنا هذه الآيات على هذا الوجه، فإنه لا يلزم إسناد شيء من الذنوب إلى داود – عليه السّلام –، بل ذلك يوجب إسناد أعظم الطاعات إليه.

أما قوله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا ٱلْخَصْمِ﴾ قال الواحدي: الخصم مصدر خصمته إخصاما، ثم يسمى به الإثنان والجمع، يقال: هما خصم، وهم خصم. كما يقال: هما عدل، وهم عدل. والمعنى ذوا خصم، وذوو خصم. وأريد بالخصم ههنا الشخصان اللذان دخلا على داود – عليه السّلام –.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ يقال: تسورت السور تسوراً إذا علوته، فمعنى: ﴿تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ إذا أتوه من سوره وهو أعلاه، يقال: تسور فلان الدار إذا أتاها من قبل سورها. وأما المحراب فالمراد منه البيت الذي كان داود يدخل فيه ويشتغل بطاعة ربه، وسمي ذلك البيت المحراب لاشتماله على المحراب، كما يسمى الشيء بأشرف أجزائه، وههنا مسألة من علم أصول الفقه، وهو أن أقل الجمع اثنان عند بعض الناس، وهؤلاء تمسكوا بهذه الآية، وذلك لأنه تعالى ذكر صيغة الجمع في هذه الآيات في أربعة مواضع: أحدها: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾، وثانيها: قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ﴾، وثالثها: قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾، ورابعها: قوله: ﴿قَالُواْ لاَ تَخَفْ﴾، فهذه الآية تدل على أن أقل الجمع اثنان.

ثم قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُدَ﴾ والفائدة فيه أنه ربما تسوروا المحراب [وما دخلوا عليه، فلما قال: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾][1165] دلّ ذلك على أنهم بعد التسور دخلوا عليه. قوله: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ والسبب أن داود – عليه السّلام – لما رآهما قد دخلا عليه لا من الطريق

[1165] سقط من الأصل، وكتبتها من مفاتيح الغيب،٢٦/٣٨٤.

المعتاد، علم أنهم إنما دخلوا عليه للشر، فلا جرم فزع منهم. ثم قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

ثم قال: ﴿فَٱحْكُمْ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالحكم الحق، وهو الذي حكم الله به. ﴿وَلاَ تُشْطِطْ﴾ أي قولا بعيدا عن الحق. ثم قال: ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَاطِ﴾ وهو وسطه، قال تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَآهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾[الصافات:٥٥]، ووسط الشيء أفضله وأعدله.

واعلم أنهم لما أخبروا عن وقوع الخصومة على سبيل الإجمال، أردفوه ببيان سبب تلك الخصومة على سبيل التفصيل، فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ وقوله: ﴿أَخِى﴾ بدل من ﴿هَٰذَآ﴾. والمراد أخوة في الألفة والاختلاط.

ثم قال تعالى: ﴿أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ قال صاحب (الكشاف): ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ حقيقته: اجعلني أكفلها. وقوله: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ والمعنى جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أورده به. ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وإنما خص داود الخلطاء مع أن غير الخلطاء قد تفعل ذلك، وذلك أن المخالطة توجب كثرة المنازعة والمخاصمة. وقوله: ﴿إِلاَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لأن مخالطة هؤلاء تكون لأجل الدين، وطلب السعادات الروحانية الحقيقية، فلا جرم مخالطتهم لا توجب المنازعة، وأما الذين تكون مخالطتهم لأجل حب الدنيا، لا بدّ وأن تصير مخالتطهم سبباً لمزيد البغي.

ثم قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ واعلم أن الحكم بقلة أهل الخير كثير في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣]، وقال داود – عليه السّلام – في هذا الموضع: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾. وسبب القلة أن الدواعي إلى الدنيا كثيرة، وهي الحواس الباطنة والظاهرة، وهي عشرة، وكلها تدعوإلى الخلق، والدنيا، واللذة الحسية. وأما الدواعي إلى الحق والدين، فليس إلا العقل، واستيلاء القوة الحسية والطبيعية على الخلق، أكثر من القوة العقلية. فلهذا السبب وقعت القلة في جانب أهل الخير، والكثرة في جانب أهل الشر.

ثم قال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أي علم داود أنما فتناه، أي امتحناه. ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ أي سأل الغفران من ربه على تلك الحالة، وأناب إلى الله، فغفر الله له وتجاوز عنه. وقوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ يدل على حصول الركوع، وأما السجود فقد ثبت بالإخبار، وكذلك البكاء الشديد ثبت بالإخبار. استشهد أبو حنيفة بهذه الآية في سجود التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود"[١١٦٦].

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ يعني واذكر حال أخيك عبدنا المخصوص بعنايتنا القديمة. ﴿دَاوُودَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ أي القوة، والتمكين، والإصلاح في الدين، كيف زل عن مقام استقامته في التلوين، فلا يكن حالك في ظهور النفس حاله. ثم وصف قوة

---

[١١٦٦] مفاتيح الغيب، ٢٦/٣٢٣-٣٢٦.

حال داود – عليه السّلام – وكماله بقوله: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي رجاع إلى الحق عن صفاته وأفعاله بالفناء فيه.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ (١٨) وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ "يشير إلى كمال عناية ربوبيته في حقه، بعد إظهار كمال عبوديته.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ في الظاهر بأن جعلناه أشد ملوك الأرض، وفي الباطن بأن ﴿وَءَاتَيْنَاهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾، والحكمة هي أنواع المعارف من المواهب، وفصل الخطاب أن تلك المعارف بأدل دليل وأقل قليل.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ يشير إلى كمال ضعف البشرية مع أنه كان أقوى الأقوياء إذ فزع منهم، ولعل فزع داود – عليه السّلام – كان لإطلاع روحه، على أنه ذلك تنبيه أو عقاب فيما سلف منه، وبقوله: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يشير إلى أنه لا تخف عن صورة أحوالنا فإنا جئنا لتحكم ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾، ولكن خف عن حقيقة أحوالنا، فإنما كشف أحوالك التي جرت بينك وبين خصمك أوريا. وبقوله: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَاطِ﴾ يشير إلى أن هذه الحكومة التي بينك وبين خصمك، فاهدنا منها إلى الصراط المستقيم إلى الله، فإن سير العباد إلى الله على أقدام المعاملات على جادة الشريعة.

وبقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ يشير إلى أن الظلم في الحقيقة من شيم النفوس، فإن وجدت ذا غفلة

فلعلة، كما قال يوسف – عليه السّلام –:﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾[يوسف:٥٣]. وبقوله: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يشير إلى أن النفوس جبلت على الظلم، والبغي، وسائر الصفات الذميمة، ولو كانت نفوس الأنبياء – عليهم السّلام –، ثم استثنى منها أهل الإيمان والعمل الصالح بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني الذين آمنوا، وعملوا الصالحات لتزكية النفس عن صفاتها الذميمة. ثم قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ يعني وقليل من أهل الإيمان أن يكون أعمالهم صالحة لتزكية النفس، وهم الأنبياء والأولياء، وفيه إشارة أخرى وهي إن من شأن النبي والولي أن يحكم كل واحد منهم بين الخصوم بالحق، كما ورد الشرع به بتوفيق الله، وإن الواجب عليهم أن يحكموا على أنفسهم بالحق كما يحكمون على غيرهم، كما قال تعالى: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[النساء:١٣٥]، ولما انتبه داود – عليه السّلام – أنه ما حكم على نفسه بالحق كما حكم على غيره كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ أي أناب فاستغفر ورجع إلى ربه متضرعاً خاشعاً بقية العمر، معتذراً عما جرى عليه، فتقبل الله منه، ورحم عليه، وعفا عنه.

وقال: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي لقربة بكل تضرع وخضوع وخشوع، وبكاء وأنين وحنين، وتأوّه. ولهُ بهذه المراجعات، ﴿حُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ عندنا. وفيه إشارة أخرى وهو أن نعلم أن المعصوم من عصمة الله عز وجل، ومن يهده الله فهو المهتد،

ومن يضلل فلاهادي له"[١١٦٧]. هذا هو الباطن، والإقرار بظواهرها واجب، والله أعلم بسرائر الأمور.

﴿يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ (٢٦) وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ (٢٩) وَوَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِناتُ الْجِيادُ (٣١) فَقالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ (٣٢) رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْناقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا داوُدَ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ (٢٦) وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ (٢٩) وَوَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِناتُ الْجِيادُ (٣١) فَقالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ

---

[١١٦٧] *التأويلات النجمية*، ٥/١٨٢-١٨٤.

(٣٢) رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْناقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ وَأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنابَ (٣٤)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

ثم أخبر عن الهدى أنه مخالف للهوى بقوله تعالى: ﴿يٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ "يعني أكرمناك بالنبوة، وجعلناك خليفة، والخليفة الذي يقوم مقام الذي قبله، فأقام مقام الخلفاء الذين قبله، وكان قبله النبوة في سبط، والمُلك في سبط آخر، فأعطاهما الله تعالى لداود.

وقوله: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ يعني بالعدل. ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ أي لا تمل نفسك إلى الهوى، فتقضي بغير عدل. ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني عن طاعة الله تعالى. ويقال: يعني الهوى يستزلك عن دين الله. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني عن دين الله الإسلام. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُواْ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ يعني بما تركوا من العمل ليوم القيامة. ويقال: بما تركوا الإيمان بيوم القيامة.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق، ﴿بَاطِلًا﴾ والمعنى ماخلقت السماء والأرض ومابينهما لأمهلهم فلا آمرهم ولا أنهاهم، بل خلقتهم لأمتحنهم وأكلفهم، وإذا كلفتهم ميزت بين محسنهم ومسيئهم بين الثواب والعقاب يوم الحساب. ﴿ذٰلِكَ ظَنُّ

الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني يظنون أنهما [خلقتا][١١٦٨] لغير شيء، وأنكروا البعث. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني جحدوا. ﴿مِنَ النَّارِ﴾ يعني من عذاب [النار][١١٦٩].

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا: إنا نعطى في الآخرة من الخير أكثر مما تعطون. فنزل: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في الثواب، ﴿كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني علياً، وحمزة، وعبد الله بن الحارث. ﴿كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني عتبة، وشيبة، والوليد. ويقال: نزلت في جميع المسلمين، وجميع الكافرين. يعني: لا نجعل جزاء المؤمنين كجزاء الكافرين في الدنيا والآخرة، كما في آية أُخرى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[الجاثية:٢١].

﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ يعني كالكفار في الثواب. اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الوعيد.

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ أي هذا كتاب مبارك أنزلنا إليك. ﴿لِيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِ﴾ أي الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والمفسدون، والمتقون، والفجار، أي ليتفكروا بعقولهم مافيه من العلامات الدالة على الحق والباطل. ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ﴾ أي وليتعظوا بعظاته، ويتذكروا بذكره ذو والعقل من الناس.

---

[١١٦٨] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/١٦٥.

[١١٦٩] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم،٣/١٦٥.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي أعطينا لداود سليمان. روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: أولادنا من مواهب الله تعالى لنا. ثم قرأ: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ﴾[الشورى:٤٩]. فوهب الله لداود سليمان ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ يعني مقبلاً إلى طاعة الله تعالى.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾ أي آخر النهار، وهو وقت العصر. ﴿الصَّٰفِنَٰتُ﴾ يعني الخيل عرضت عليه لينظر إليها إظهارا منه الحب للجهاد، والحرص عليه، والحب للناس على الاقتداء به في ارتباطها. ويقال: الصافنات، الخيول القائمة على ثلاث قوائم. قال الكلبي ومقاتل: صفن الفرس إذا رفع إحدى يديه، فيقوم على طرف الحافر[١١٧٠]. وقال القتبي: الصافن في كلام العرب: الواقف من الخيل وغيرها. وفي الخبر: "إن مَنْ أحبَّ أن يقوم له الرجال صفونا، فليتبوّأ مقعده من النار". و﴿الْجِيَادُ﴾، الحسان. ويقال: الإسراع في السير. وروي أن أهل دمشق من العرب، جمعوا لسليمان، فأقبلوا ليقاتلوه، فهزمهم سليمان، فأصاب منهم ألف فرس عراب، فعرض على سليمان الخيل، وجعل ينظر إليها، وتعجب من حسنها، حتى شغلته عن صلاة [العصر][١١٧١]، وغربت الشمس، ثم ذكرها بعد ذلك، فغضب عليه، فقال: ﴿رُدُّوها عَلَيَّ﴾، فضرب سوقها، وأعناقها بالسيف، حتى عقد منها سبعمائة فرس، وهي التي كانت عرضت عليه، وبقيت مائة فرس لم تعرض عليه هي التي تناسلت إلى اليوم. قال مقاتل: ورث سليمان من أبيه ألف فرس، كان أبوه أصابها من العمالقة، فصلى صلاة الأولى، وقعد

---

[١١٧٠] ابن جزي: *التسهيل*،٢/٢٠٧.

[١١٧١] سقط من الأصل، وكتبتها من *بحر العلوم*،٣/١٦٦.

على كرسيه، وهي تعرض عليه، ففاته صلاة العصر، فضرب سوقها[١١٧٢]. وقال الحسن: بلغني أنها كانت خرجت من البحر لها أجنحة فكانت تعرض عليه حتى فاتته الصلاة.

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ أي آثرت حب المال. ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ يعني عن صلاة العصر. ﴿حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ يعني غابت الشمس، ولم يسبق ذكر الشمس، لأن في الكلام دليلاً عليه، فاكتفى بالإشارة عن العبارة.

﴿رُدُّوها عَلَيَّ﴾ يعني قال سليمان: ردوا الخيل عليّ، فردت عليه. ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ يعني فعمد يضرب السوق وهي جماعة الساق. ﴿وَالْأَعْنَاقِ﴾ وهي جمع العنق. وروي عن إبراهيم النخعي قال: كانت عشرين ألف فرس.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمٰنَ﴾ يعني ابتليناه. ﴿وَأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ يعني شيطاناً. قال ابن عباس في رواية أبي صالح: إن سليمان أمر بأن لا يتزوج إلا من بني إسرائيل، فتزوج امرأة من غير بني إسرائيل، فعاقبه الله تعالى. فأخذ شيطان يقال له: خاتمه، وجلس على كرسيه أربعين يوما. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ يعني رجع إلى ملكه، وأقبل على طاعة الله تعالى. وروي عن ابن عباس قال: سألت كعباً عن قوله: ﴿وَأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ قال: شيطان أخذ خاتم سليمان الذي فيه ملكه، فقذفه في البحر، فوقع في بطن سمكة، وانطلق سليمان يطوف، إذ تصدق عليه بسمكة، فشواها فأكلها، فإذا فيها خاتمه، فرجع إليه ملكه. وقال وهب بن منبه: إن سليمان تزوج امرأة من أهل الكتاب، وكان له عبد، فطلبت إليه أن يجزرها حتى ينحر

---

[١١٧٢] مقاتل: تفسير مقاتل ٣/٦٤٤.

الجزور فأجزرها، فكره ذلك منه ثم ابتلي بالجسد الذي ألقي على كرسيه. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ قال: شيطان يقال له آصف. قال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك. فلما أعطاه إياه، نبذه آصف في البحر، فذهب ملكه، وقعد آصف على كرسيه، ومنعه الله تعالى نساء سليمان، فلم يقربهن، فأنكرته أم سليمان. وكان سليمان يقول: أنا سليمان. فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوماً حوتاً، فوجد خاتمه في بطنه، فرجع إليه ملكه، ودخل آصف في البحر فاراً. وذكر شهر بن حوشب نحو هذا، وقال: لما جلس سليمان، بعث في طلب صخر، فأتي به، فأمر به، فقورت له صخرة، فأدخله فيها، ثم أطبق عليها، ثم ألقاه. وقال: هذا سجنك إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: هذا التفسير لا يصح، لأنه لا يجوز من الحكيم أن يسلط شيطاناً من الشياطين على أحكام المسلمين، ويجلسه على كرسي نبي من الأنبياء ولكن التأويل – والله أعلم– أن سليمان كان له ابن، فجاء ملك الموت يوماً زائراً لسليمان بن داود، فرآه ابنه فخافه، وتغيّر لونه، ومرض من هيبته، فأمر سليمان الريح بأن تحمل ابنه فوق السحاب ليزول ذلك عنه، فلما رفعته الريح فوق السحاب، دنا أجله، فقبض ابنه، وألقي على كرسيه، فذلك قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ يعني: ابنه الميت. قال: والدليل على ذلك أن الجسد في اللغة لا يأكل الطعام، والشراب، وهو الميت. وذكر أن سليمان جزع على ابنه، إذ لم يكن له إلا ابن واحد، فدخل عليه ملكان، فقال أحدهما: إن هذا مشى في زرعي فأفسده. فقال سليمان: لم مشيت في زرعه؟ قال: لأن هذا الرجل زرع في طريق الناس، فلم أجد مسلكاً غير ذلك. فقال سليمان للآخر: لم زرعت على طريق الناس، أما علمت أن الناس لا بد لهم من طريق يمرون

فيه؟ فقال: صدقت. لم ولدت على طريق الموت؟ قال: أما علمت أن ممر الخلق على الموت؟ ثم غابا عنه. فاستغفر سليمان، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ يعني: تاب ورجع إلى طاعة الله تعالى"[١١٧٣].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ (٢٦) وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ (٢٨) كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ "اعلم أنه تعالى لما تمم الكلام في شرح القصة أردفها ببيان أنه تعالى فوض إلى داود خلافة الأرض، وهذا من أقوى الدلائل على فساد القول المشهور في تلك القصة، لأن من البعيد جداً أن يوصف الرجل بكونه ساعياً في سفك دماء المسلمين، نازعا أزواجهم منهم، ثم يذكر عقيبه أن الله تعالى فوض خلافة الأرض إليه، ثم نقول في تفسير كونه خليفة وجهان: الأول: جعلناك تخلف من تقدمك من الأنبياء في الدعاء إلى الله تعالى، وفي سياسة الناس. الثاني: إنا جعلناك ملكاً للناس، ونافذ الحكم فيهم، فبهذا التأويل يسمى خليفة، ومنه يقال: خلفاء الله في أرضه. وحاصله أن خليفة الرجل يكون نافذ الحكم في رعيته.

---

[١١٧٣] بحر العلوم، ٣/١٦٥-١٦٨.

ثم قال تعالى: ﴿فَٱحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ واعلم أن الإنسان خلق مدنياً بالطبع، لأن الإنسان الواحد لا تنتظم مصالحه إلا عند وجود مدينة تامة حتى أن هذا يحرث، وذاك يطحن، وذاك يخبز، وذاك ينسج، وهذا يخيط، وبالجملة فيكون كل واحد منهم مشغولاً بمهم، وينتظم من أعمال الجميع مصالح الجميع. فثبت أن الإنسان عند اجتماعهم في الموضع الواحد، يحصل منهم منازعات ومخاصمات، ولا بدّ من إنسان قادر قاهر يمنع تلك الخصومات، ويفصل تلك المنازعات، وذلك هو السلطان [الذي ينفذ حكمه على الكل، فثبت أنه لا ينتظم مصالح الخلق إلا بسلطان قاهر سائس، ثم إن ذلك السلطان][١١٧٤] القاهر السائس إن كان حكمه على وفق هواه، ولطلب مصالح دنياه، عظم ضرره على الخلق فإنه يجعل الرعية فداء لنفسه، ويتوسل بهم إلى تحصيل مقاصد نفسه، وذلك يفضي إلى تخريب العالم، ووقوع الهرج والمرج في الخلق، وذلك يفضي بالآخرة إلى هلاك ذلك المِلك، أما إذا كانت أحكام ذلك المِلك مطابقة للشريعة الحق الإلهية انتظمت مصالح العالم، وانتظمت أبواب الخيرات على أحسن الوجوه. فهذا هو المراد من قوله: ﴿فَٱحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني لا بد من حاكم بين الناس بالحق، فكن أنت ذلك الحاكم. ثم قال تعالى: ﴿وَلاَ تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾، وتفسيره أن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله، والضلال عن سبيل الله تعالى يوجب سوء العذاب، فينتج أن متابعة الهوى توجب سوء العذاب.

---

[١١٧٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٣٨٦.

أما المقام الأول: وهو أن متابعة [الهوى][١١٧٥] توجب الضلال عن سبيل الله، فتقريره أن الهوى يدعوإلى الاستغراق في اللذات الجسمانية، والاستغراق فيها يمنع من الاشتغال بطلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات، لأنهما حالتان متضادتان فبقدر ما يزداد أحدهما ينقص الآخر.

وأما المقام الثاني: وهو أن الضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب، [فالأمر فيه ظاهر، لأن الإنسان إذا عظم ألفه بهذه الجسمانيات ونسي بالكلية أحواله الروحانيات][١١٧٦]، فإذا مات فقد فارق المحبوب والمعشوق، ودخل ديارًا ليس له بأهل تلك الديار إلف، فكأنه فارق المحبوب ووصل إلى المكروه، فكان لا محالة في أعظم العناء والبلاء، فثبت أن الهوى يوجب الضلال عن سبيل الله، وثبت أن الضلال عن سبيل الله يوجب العذاب، وهذا بيان في غاية الكمال.

ثم قال: ﴿بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ يعني أن السبب الأول لحصول ذلك الضلال وهونسيان يوم الحساب، لأنه لو كان متذكرًا ليوم الحساب، لما أعرض عن إعداد الزاد ليوم المعاد، ولَما صار مستغرقًا في هذه اللذات الفاسدة. روي عن بعض خلفاء بني أمية أنه قال لعمر بن عبد العزيز: هل سمعت ما بلغنا أن الخليفة لا يجري عليه القلم، ولا يكتب عليه معصية؟ فقال: يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الأنبياء؟ ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾.

---

[١١٧٥] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٨٦/٢٦.

[١١٧٦] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٨٧/٢٦.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، ونظيره قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾[آل عمران:١٩١] وقوله: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ﴾[الروم:٨]، واعلم أنه سبحانه ما خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، وإذا لم يكن خلقهما باطلاً، كان القول بالحشر والنشر لازماً، وأن كل من أنكر القول بالحشر والنشر كان شاكاً في حكمة الله في خلق السماوات والأرض، وهذا هو المراد من قوله: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

ولما بيّن الله تعالى على سبيل الإجمال أن إنكار الحشر والنشر يوجب الشك في حكمة الله تعالى، بيّن ذلك على سبيل التفصيل، فقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ وتقريره أنا نرى في الدنيا من أطاع الله تعالى واحترز عن معصيته في الفقر والزمانة وأنواع البلاء، ونرى الكفرة والفساق في الراحة والغبطة، فلو لم يكن حشر ونشر ومعاد، فحينئذ يكون حال المطيع أدون من حال العاصي، وذلك لا يليق بحكمة الحكيم الرحيم، وإذا كان ذلك قادحاً في الحكمة، ثبت أن إنكار الحشر والنشر يوجب إنكار حكمة الله تعالى.

ثم قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَٰبِ﴾ واعلم أن الكفار بالغوا في إنكار الحشر والنشر والقيامة، إلى حيث قالوا على سبيل الاستهزاء: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ فقال: يا محمد اقطع الكلام معهم في هذه المسألة، واشرع في كلام آخر أجنبي بالكلية عن هذه المسألة، وهي قصة داود – عليه السّلام –، فإن

من المعلوم لا تعلق لهذه القصة بمسألة الحشر والنشر، ثم إنه تعالى أطنب في شرح تلك القصة، ثم قال في آخر القصة: ﴿يٰدَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلأَرْضِ فَٱحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ وكل من سمع هذا قال: نِعْمَ ما فعل حيث أمره بالحكم بالحق، ثم إنه تعالى قال: وأنا لا آمرك بالحق فقط، بل أنا مع أني رب العالمين لا أفعل إلا بالحق، ولا أقضي بالباطل، فههنا الخصم يقول: نِعْمَ ما فعل حيث لم يقض إلا بالحق، فعند هذا يقال لما سلمت أن حكم الله يجب أن يكون بالحق لا بالباطل، لزمك أن تسلم القول بالحشر والنشر، لأنه لو لم يحصل ذلك لزم أن يكون الكافر راجحاً على المسلم في إيصال الخيرات إليه، وذلك ضد الحكمة وعين الباطل، فبهذا الطريق اللطيف أورد الله تعالى الإلزام القاطع على منكري الحشر والنشر إيراداً لا يمكنهم الخلاص عنه، فصار ذلك الخصم الذي بلغ في إنكار المعاد إلى حد الاستهزاء مفحماً ملزماً بهذا الطريق.

ولما ذكر الله تعالى هذه الطريقة الرفيعة في الإلزام في القرآن، لا جرم وصف القرآن بالكمال والفضل، فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَٰبِ﴾ وإن مَن لم يتدبر، ولم يتأمل، ولم يشاهده التوفيق الإلهي لم يقف على هذه الأسرار العجيبة المذكورة في هذا القرآن العظيم، حيث يراه في ظاهر الحال مخالف الترتيب، وهو في الحقيقة مشتمل على أكمل جهات الترتيب.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلأَعْنَاقِ﴾ اعلم أن هذا هو القصة الثانية. وقوله:

﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ فيه مباحث: الأول: المخصوص بالمدح محذوف، فقيل: [هو سليمان. وقيل:][1177] داود، [والأول أولى، لأنه أقرب المذكورين، ولأنه قال بعده: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾. ولا يجوز أن يكون المراد هو داود][1178]، لأن وصفه بهذا المعنى قد تقدم في الآية المتقدمة، حيث قال: ﴿دَاوُودَ ذَا ٱلأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، وقوله: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ههنا صفة لسليمان.

الثاني: أنه قال أولا: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾، ثم قال بعده: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، ورأس المعارف ورئيسها معرفة الله تعالى، ورأس الطاعات ورئيسها الاعتراف بأنه لا يتم شيء من الخيرات إلا بإعانة الله تعالى، ومن كان كذلك كان كثير الرجوع إلى الله تعالى وكان أواباً، فثبت أن كل من كان أواباً وجب أن يكون ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾، والتقدير: اذكر يا محمد إذ عرض عليه كذا، والعشي هو من العصر إلى آخر النهار عرض الخيل عليها لينظر إليها ويقف على كيفية أحوالها، والصّفون صفة دالة على فضيلة الفرس الجياد. والجياد: جمع جواد وهو الشديد الجري، فالمقصود وصفها بالفضيلة والكمال حالتي وقوفها وحركتها. أما حال وقوفها فوصفها بالصّفون، وأما حال حركتها فوصفها بالجودة، يعني أنها إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها على أحسن الأشكال، فإن جرت كانت سراعاً في جريها، فإذا طلبت لحقت، وإذا طلبت لم تلحق.

---

[1177] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٥٨٩.

[1178] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٥٨٩.

ثم قال الله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ وفي التفسير في هذه اللفظة وجوه: الأول: أن يضمر أحببت فعلا يتعدى بـــ (عن)، كأنه قيل: آثرت حب الخير عن ذكر ربي. وقد مرّ هذا. والثاني: أن أحببت بمعنى لزمت، المعنى لزمت حب الخير عن ذكر ربي، أي عن كتاب ربي وهو التوراة، لأن رباط الخيل في القران والحديث ممدوح. والثالث: أن الإنسان قد يحب شيئاً ولكنه يحب أن لا يحب كالمريض الذي يشتهي ما يزيد في مرضه، والأب الذي يحب لولده الرديء، وأما من أحب شيئاً، وأحب أن يحبه كان ذلك في غاية المحبة، فقوله: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ بمعنى أحببت حبي لهذا الخيل.

ثم قال: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ يعني أن هذه المحبة الشديدة إنما حصلت عن ذكر الله، وأمره لا عن الشهوة والهوى، وهذا الوجه أظهر الوجوه.

ثم قال: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ وقد سبق تفسيره. والضمير في: ﴿رُدُّوهَا﴾ عائد إلى الصافنات.

ثم قال تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي فجعل سليمان يمسح سوقها وأعناقها. قال الأكثرون: معناه أنه مسح السيف بسوقها وأعناقها أي قطعها، قالوا: إنه – عليه السّلام – لما فاتته صلاة العصر بسبب اشتغاله بالنظر إلى ذلك الخيل، استردها، وعقر سوقها وأعناقها، تقرباً إلى الله تعالى. والقائلون بهذا القول جمعوا على سليمان – عليه السّلام – أنواعاً من الأفعال المذمومة، فأولها: ترك الصلاة. وثانيها: أنه استولى عليه الاشتغال بحب

الدنيا إلى حيث نسي الصلاة، وقال ﷺ: "حب الدنيا رأس كل خطيئة"[١١٧٩]. وثالثها: بعد الإتيان بهذا الذنب العظيم، لم يشتغل بالتوبة والإنابة. وأنه أتبع هذه المعاصي بعقر الخيل، روي عن النبي ﷺ: "أنه نهى عن ذبح الحيوان إلا لمأكله"[١١٨٠]. فهذه أنواع من المعاصي نسبوها إلى سليمان – عليه السّلام –، ومع أن هذه القصص إنما ذكرها الله تعالى عقيب قوله: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ﴾، وأن الكفار لما بلغوا في السفاهة إلى هذا الحد، قال الله تعالى لمحمد ﷺ: اصبر يا محمد على مايقولون، واذكر عبدنا سليمان. وهذا الكلام إنما يكون لائقاً لو قلنا إن سليمان – عليه السّلام – أتى في هذه القصة بالأعمال الفاضلة والأخلاق الحميدة، وصبر على طاعة الله، وأعرض عن الشهوات واللذات، فأما لو كان المقصود من قصة سليمان – عليه السّلام – في هذا الموضع أنه أقدم على الكبائر العظيمة، والذنوب الجسيمة، لم يكن ذكر هذه القصة لائقاً بهذا الموضع. والصواب أن يقال: إن رباط الخيل كان مندوباً إليه في دينهم، كما أنه كذلك في دين محمد ﷺ، ثم إن سليمان – عليه السّلام – احتاج إلى الغزو فجلس وأمر بإحضار الخيل، وذكر أني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس، وإنما أحبها لأمر الله، وطلب تقوية الدين، وهو المراد من قوله: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾. ثم إنه – عليه السّلام – أمر بتسييرها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره، ثم

---

[١١٧٩] البيهقي: *شعب الإيمان*،١٣/ ١٠٢، رقم ١٠٠١٩. وقال:"ولا أصل له من حديث النبي ﷺ". السخاوي: *المقاصد الحسنة*، ص٢٩٦. القاري: *الأسرار المرفوعة*، ص١٧٩، رقم (١٦٣). العجلوني: *كشف الخفاء*،١/٣٩٧، رقم (١٠٩٩). وحكم عليه بالوضع الألباني في *سلسلة الأحاديث والموضوعة*،٣/٣٧٠، رقم (١٢٢٦).

[١١٨٠] لم أجد تخريجه مرفوعًا إلى النبي ﷺ بهذا اللفظ. مالك: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت. ١٧٩هـ)، *الموطأ*، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي،٣/٦٣٥، رقم (١٦٢٧) ولفظه: "وَلاَ تَعْقِرَنَّ شَاةً، وَلاَ بَعِيرًا، إِلاَّ لِمَأْكُلَةٍ". وقد رويت أحاديث في معناه منها ما رواه ابن حنبل: *المسند*،١١/٥٤٨، رقم (٦٩٦٠). النسائي: *سنن النسائي*، ٧/٢٣٩، رقم (٤٤٤٥). الدارمي: *سنن الدارمي*،٢/١٢٥٩، رقم (٢٠٢١).

أمر الرائضين أن يردوا تلك الخيل إليه، فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها، والمراد من ذلك المسح أمور: الأول: تشريفاً لها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو. والثاني: أنه أراد السياسة في الضبط. الثالث: أنه كان أعلم بأحوال الخيل، وأمراضها، وعيوبها، فكان يمسحها ويمسح سوقها وأعناقها، حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض؟ وهذا التفسير منطبق عليه لفظ القرآن انطباقاً مطابقاً موافقاً، ولا يلزم شيء من تلك المنكرات والمحذورات. فإن قيل: فالجمهور فسروا الآية بذلك الوجه، فما هذا القول؟ وجوابه من وجوه: الأول: أن لفظ الآية لا يدل عليه. والثاني: أن الدلائل الكثيرة قامت على عصمة الأنبياء – عليهم السّلام –، ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات، ورواية الآحاد لا تصلح معارضة للدلائل القوية، فكيف الحكايات؟!. والثالث: أن هذا الأمر الذي فكر، وظهوره أن لا يرتاب العاقل فيه. والله أعلم.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ وتفسير هذه الآية والحكايات المروية عن العلماء قد سبق الكلام فيه. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: "قال سليمان: لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة، كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله. ولم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن، فلم تحمل إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل. والذي

نفسي بيده لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله تعالى فرساناً أجمعون"[١١٨١]. فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ بسبب مرض شديد ألقاه الله عليه. ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ﴾ منه ﴿جَسَدًا﴾ وذلك لشدة المرض. والعرب تقول: في الضعيف إنه لحم على وضم، وجسم بلا روح. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي رجع إلى حال الصحة. ويحتمل أن يقال: أن سليمان – عليه السّلام – ابتلاه الله تعالى بتسليط خوف، أو توقع بلاء من بعض الجهات عليه، وصار من قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسي، ثم أزال الله عنه ذلك الخوف، وأعاده إلى ما كان عليه من القوة، فطيب القلب"[١١٨٢].

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ "يشير إلى معان مختلفة، منها: إن الخلافة الحقيقية ليست بمكتسبة للإنسان، إنما هي عطاء وفضل من الله يؤتيه من يشاء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ﴾ أي: أعطيناك الخلافة. ومنها: إن استعداد الخلافة مخصوص بالإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[١١٨٣] [فاطر:٣٩]. ومنها: إن الإنسان وإن خلق مستعداً للخلافة، ولكن فلا يبلغ درجتها بالكمال إلا الشواذ. ومنها: إن الجعلية تتعلق بعالم المعنى، كما أن الخلفية تتعلق بعالم

---

[١١٨١] البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ،٨/١٣٠، رقم (٦٦٣٩). مسلم: كتاب الأيمان، باب الاستثناء،٣/١٢٧٦، رقم (١٦٥٤).

[١١٨٢] مفاتيح الغيب، ٢٦/٣٨٦-٣٩٤.

[١١٨٣] في الأصل (وجعلكم)، وهو خطأ في كتابة الآية.

الصورة، ولهذا أخبر الله تعالى عن صورة آدم – عليه السّلام – قال:﴿إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾[ص:٧١]، ولما أخبر عن معناه قال:﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠]، وقال:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[الأنعام:١]، وقال:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾[فاطر:١].

ومنها: إن الروح الإنساني هو الفيض الأول، وهو أول شيء تعلق به أمر (كُنْ)، ولهذا نسبه إلى أمره، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[الإسراء:٨٥]، ولما كان هو الفيض الأول أضافه إلى ذاته تعالى، قال:﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[ص:٧٢]، فلما كان الروح هو الفيض الأول كان خليفة الله بذاته وصفاته، أما بذاته فلأنه كان له وجود من وجوده بلا واسطة، فوجوده كان وجود خليفة وجود الله عز وجل، وأما بصفاته فلأنه كان له صفات أيضاً من جود صفات الله بلا واسطة، فكل وجود وصفات يكون بعد وجود الخليفة يكون خليفة الله بالذات والصفات. فلما أراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل الإنسان خليفة في الأرض، جعل له منزلاً صالحاً لنزوله فيه وهو قالبه، وأعد له عرشاً ليكون محل استوائه عليه وهو القلب، ونصب له خادماً وهو النفس، فلو بقي الإنسان على فطرة الله التي فطر الناس عليها يكون روحه مستفيضاً من الله، فائضا بخلافة القلب على القالب، والقالب فائض بخلافة النفس على الدنيا وهي أرض الله، فتكون الروح بهذه الأسباب والأدوات خليفة الله في الأرض بحكمه وأمره بتواقيع الشرائع. ومنها: إن من خصوصية الخلافة الحكم بين الناس بالحق، والإعراض عن الهوى، كما أن من خصوصية أكل الحلال العمل الصالح، قال الله تعالى:﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾[المؤمنون:٥١]. ومنها: إن الله تعالى جعل داود

الروح خليفة في أرض الإنسانية، وجعل القلب والسر، والنفس والقالب، والحواس والقوى، والأخلاق والجوارح والأعضاء كلها رعية له، ثم على قضيته: "كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته"، أمر بأن يحكم بين رعيته بالحق، أي بأمر الحق تعالى. وقال: ﴿وَلاَ تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي لأمر الهوى. ثم اعلم أن الله تعالى خلق الهوى من الباطل على صفة الضلالة مخالفاً للحق تعالى، فإن من صفة الهداية والحكمة في خلقته ليكون هادياً إلى الحضرة بضدية طبعه ومخالفة أمره، كما أن الحق تعالى كان هادياً إلى حضرته بنور ذاته وموافقة أمره، ليسير السائر إلى الله على قدمي موافقة أمر الله ومخالفة هواه، ولهذا قال المشايخ: لولا الهوى ما سلك أحد طريقاً إلى الله. ومنها: إن أعظم جنايات [العبد][١١٨٤] وأقبح خطاياه متابعة الهوى، كما قال ﷺ: "ما عُبِدَ إلـــهٌ في الأرض أبغضُ على الله من الهوى"[١١٨٥]. ومنها: إن للهوى كما لقيته في الإضلال لا توجد في غيره، وذلك لأنه يحتمل أن يتصرف في الأنبياء بإضلالهم ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾، يشير إلى أن الضلال الكبير هو الانقطاع عن طلب الحق تعالى، ومن ضل عن طريق الطلب مأخوذ بعذاب شديد القطيعة والحرمان من القرب وجوار الحق، وذلك ﴿بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾، وهو يوم يجازى فيه كل محق بقدر هدايته، وكل مبطل بحسب ضلالته.

---

[١١٨٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٨٦.

[١١٨٥] الطبراني: *المعجم الكبير*، ٨/١٠٣، رقم (٧٥٠٢)، بلفظ: "ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم من عند الله من هوى متبع". ابن الجوزي: *الموضوعات*، ٣/١٣٩، قال: "هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ". الألباني: *سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة*، ١٤/٩٠، رقم (٦٥٣٨).

وبقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يشير إلى أنا خلقناهما وما بينهما بالحق، ليكون مرآة يشاهد فيها المؤمنون الذين ينظرون بنور الله شواهد صفات جمالنا وجلالنا، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[فصلت:٥٣]، وقالوا:﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[آل عمران:١٩١]، فظن الذين كفروا أنا خلقناهما باطلاً، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بما ظنوا، ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾[١١٨٦] أي من عذاب نار القطيعة والبعد.

وبقوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾، يشير إلى أن أهل الإيمان والعمل الصالح، وأهل التقوى هم مظهر صفات لطفنا، والمفسدون والفجار هم مظهر صفات قهرنا، فلا تجعل كلتا الطائفتين كل واحدة منهما كالأخرى.

وبقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾، يشير إلى أنه مبارك لمن يعمل به. ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِ﴾ بالفكر السليم. ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ أي وليتعظوا، وهم الذين انسلخوا من جلد بشريتهم كما تنسلخ الحية من جلدها. ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ﴾ أي لداود الروح. ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ القلب. ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ رجاع إلى الحضرة بإخلاص العبودية بلا علة دنياوية ولا أخراوية.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ وهي مراكب صفات البشرية. وبقوله: ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ يشير إلى أن حب غير

---

[١١٨٦] في الأصل (الناس)، وهو خطأ في كتابة الآية.

الله شاغل عن الله وموجب للحجاب. وبقوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ يشير إلى أن كل محبوب سوى الله إذا حجبك عن الله لحظة، يلزمك أن تعالجه بسيف نفي لا إله إلا الله.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾، يشير إلى أن إلقاء وسوسة شيء من الشهوات الجسدانية على كرسي صدر سليمان القلب، فافتتن به إلى أن ناب تاب منه، ورجع إلى الحضرة"[١١٨٧]. والله أعلم.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠) وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

ثم أخبر عن الإجابة بعد الإنابة بقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لاَّ يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِىٓ﴾، يعني أن يكون ذلك موهوباً له، بحيث لا يترع منه ويؤتيه من يشاء،

---

[١١٨٧] *التأويلات النجمية*، ٥/١٨٤-١٨٨.

ولهذا "قال سعيد بن جبير: أعطني مُلكا لا أسلب كما أسلب في المرة الأولى. ويقال: إنما تمنى مُلكا لا يكون لأحد من بعده، حتى يكون ذلك معجزة وعلامة لنبوته. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ يعني المعطي المُلك"[١١٨٨]. "ويقال: أي المعروف بكثرة الهبات. وفيه دليل على أن الأهم بالمؤمن تقديم سؤال المغفرة على كل سؤال يسأل، مثل هذا المِلك لينال ثواب ملوك العادلين[١١٨٩]. قال النبي ﷺ: "عدل ساعة خير من عبادة سنة"[١١٩٠]. "وقيل: سأل ذلك لعلمه بأنه لا يقوم به أحد مثله، لينصف المظلوم من الظالم، ويرشد الرشاد، ويقطع الطريق. وقيل: سأل ذلك ليظهر من نفسه عند كمال المُلك في الدنيا كمال العبودية للمولى، فيزداد خشوعا ومسكنة لله تعالى له في الملك والرفعة، ولذلك كان يأكل خبز الشعير، ويجلس مع المساكين، وكان يقول: مسكين جالس مسكينا.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ أي ذللناها له. وكان قبل ذلك لم تسخر له الريح، فلما دعا بذلك، سخر له الريح. فقال: ﴿فَسَخَّرْنا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ﴾ يعني بأمر سليمان. ويقال: بأمره، يعني بأمر الله تعالى. ﴿رُخَاءً﴾ يعني لينة مطيعة. ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ يعني حيث أراد من الأرض، والنواحي.

﴿وَٱلشَّياطِينَ﴾ يعني وسخرنا له الشياطين أيضا. ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ يعني فسخرناهم له فبعضهم كانوا يبنون له الأبنية العظيمة المرتفعة البديعة، وبعضهم يُخرجون له من البحار

---

[١١٨٨] *بحر العلوم*، ٣/١٦٨.

[١١٨٩] *التيسير في التفسير*، ١٢/٥٠٥.

[١١٩٠] الزيعي: *نصب الراية*، ٤/٦٧، قال: "غَرِيبٌ بِهَذَا اللَّفْظِ". الطبراني: *المعجم الكبير*، ١١/٣٣٧، رقم (١١٩٣٢). الألباني: *سلسلة الأحاديث الضعيفة*، ٤/٩٨.

الجواهر، واللآلئ، والحلي الغنية. وقال مقاتل: كان سليمان أول من استخرج اللؤلؤ من البحر[١١٩١]. ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ يعني مردة الشيطان. ﴿مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ يعني موثقين في الحديد. ويقال: الأصفاد الأغلال.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ لك، وكرامتنا عليك. ﴿فَامْنُنْ﴾ يعني اعتق من شئت منهم، فخلّ سبيله. ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ يعني احبس في الغلّ، والوثاق، والسلاسل من شئت منهم. ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فلا حساب عليك في الآخرة فيمن أرسلته، وفيمن حبسته. ويقال: ليس عليك بذلك إثم.

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ يعني لقربى. ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ يعني حسن المرجع، كما كان لأبيه داود – عليه السّلام –.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ يعني واذكر صبر عبدنا أيوب. ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ يعني دعا ربه. ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾ يعني أصابني الشيطان. ﴿بِنُصْبٍ﴾ يعني بالمشقة والعناء. ﴿وَعَذَابٍ﴾ في ماله. يعني هلاك المال.

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا﴾ يعني قال جبريل: اضرب الأرض برجلك، فضرب فنبعت عين من تحت قدمه، فاغتسل فيها، فخرج منها صحيحاً، ثم ضرب برجله الأخرى فنبعته عين

---

[١١٩١] مقاتل: تفسير مقاتل ٣/٦٤٧.

أحرى ماء عذب بارد، فشرب منه، فذلك قوله: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ﴾ الذي اغتسل به. ثم قال عز وجل: ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ أي وهذا بارد وشراب الذي يشرب منها"[١١٩٢].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ روي أن امرأته أبطأت عليه يوما، وأن الشيطان أراها أولادها في وادٍ وهي لا تعرفه، فأخبرت أيوب بذلك، فقال: ذلك الشيطان، وتغيظ عليها، وحلف إن عوفي ليجلدها مائة جلدة.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ أي قلنا له على ضرب امرأته: خذ بيدك ضغثا وهو قبضة الشجر. ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ زوجتك لتَبرَّ يمينك. ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ بها. تقديره: لا تدع الضرب فتحنث. فأخذ مائة عود من الإذخر، فاضرب بها ضربة واحدة. ويقال: ﴿ضِغْثًا﴾ "يعني قبضة من سنبل فيها مائة حبة سنبلة. وقال الكلبي: ﴿ضِغْثًا﴾ أي مجتمعاً. وقال القتبي: الضغث الحزمة من [العيدان][١١٩٣]. فاضرب به امرأتك، ولا تحنث في يمينك. ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ على البلاء الذي ابتليناه. ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ يعني مقبلا على طاعة ربه. قال وهب: أصاب أيوب البلاء سبع سنين، ومكث يوسف في السجن سبع سنين، وقيل: مكث في بلائه ثمان عشرة سنة. وقال السُّدِّيّ: ثلاث عشرة سنة"[١١٩٤]. قال مقاتل - رحمه الله -: "سبع سنين، وسبعة أشهر، وسبعة أيام، وسبع ساعات"[١١٩٥].

---

[١١٩٢] *بحر العلوم*، ٣/١٦٨-١٦٩، *التيسير في التفسير*، ١٢/٥٠٥-٥٠٩.

[١١٩٣] في الأصل (الخلاف)، وصححتها من *بحر العلوم*، ٣/١٦٩.

[١١٩٤] *بحر العلوم*، ٣/١٦٩، *التيسير في التفسير*، ١٢/٥١٢-٥١٣.

[١١٩٥] مقاتل: *تفسير مقاتل*، ٣/٦٤٨.

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لاَّ يَنبَغِى لأَحَدٍ مِّن بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ "اعلم أن الذين حملوا الكلام المقدم على صدور الزلة، تمسكوا بهذه الآية، فإنه لولا تقدم الذنب لما طلب المغفرة، ويمكن أن يجاب عنه بأن الإنسان لا ينفك عن ترك الأفضل والأولى، وحينئذ يحتاج إلى طلب المغفرة لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، ولأنهم أبداً في مقام هضم النفس، وإظهار الذلة والخضوع، كما قال ﷺ: "وإني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة"[١١٩٦]. فلا يبعد أن يكون المراد من هذه الكلمة هذا المعنى.

ثم قال تعالى: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لاَّ يَنبَغِى لأَحَدٍ مِّن بَعْدِىٓ﴾ والآية تدل على أن طلب المغفرة من الله تعالى سبب لانفتاح أبواب الخيرات في الدنيا، لأن سليمان طلب المغفرة أولاً، ثم توسل به إلى طلب المملكة، ونوح - عليه السّلام - هكذا فعل لأنه تعالى حكى عنه أنه قال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ ٱلسَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾[نوح:١٠-١٢]. وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾[طه:١٣٢].

وقوله: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لاَّ يَنبَغِى لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِىٓ﴾ يعني لا يقدر أحد على معارضته، حتى يسكن قلبي، فينشغل على عبادتك. ويقال: أعطني مملكة تكون أعظم الممالك الممكنة للبشر، فأكون مشغولا بعبادتك بالكلية، ليظهر للخلق أن حصول الدنيا لا يمنع من خدمة

---

[١١٩٦] الترمذي: سنن الترمذي، ٣٨٣/٥، رقم (٣٢٥٩). ورواه البخاري في: كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، ٦٧/٨، رقم (٦٣٠٧)، بلفظ: "وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً".

المولى. ويقال: يا ربّ العزة أعطني أعظم الممالك حتى يقف الناس على كمال حالها، فحينئذ يظهر للعقل أنه ليس فيها فائدة وحينئذ يعرض القلب ولا يلتفت إليها، ويشتغل بالعبودية ساكن النفس غير مشغول القلب بعلائق الدنيا، ولأنا إن لم نقدر على الدنيا يبقى قلبي ملتفتا إليها، فيظن أن فيها سعادات عظيمة، وخيرات فائقة.

ثم قال: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَآءً﴾ أي رخوة لينة، والريح إذا كانت لينة لا تمتنع عليه. قوله: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي قصده وأراده، والمقصود أنه تعالى جعل الريح مسخرة له حتى تجري على وفق إرادته.

ثم قال: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾[عطف على الريح، و﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ بدل من الشياطين][١١٩٧]. وآخرين عطف على قوله: ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ وهو بدل الكل من الكل، كانوا يبنون ما شاء من الأبنية، ويغوصون له فيستخرجون له اللؤلؤ. وقوله: ﴿مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ الأصفاد جمع صفد، الصفد القيد. يقال: قرن فلان في الأصفاد إذا قُيّد. وههنا بحث، وهو أن هذه الآيات دالة على أن الشياطين لها قوة عظيمة، وبسبب تلك القوة قدروا على بناء الأبنية القوية التي لا يقدر عليها البشر، وقدروا على الغوص في البحار، واحتاج سليمان - عليه السّلام - إلى قيدهم.

ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ وقد سبق تفسيره.

---

[١١٩٧] سقط من الأصل، وكتبتها من مفاتيح الغيب،٢٦/٣٩٥.

قوله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ اعلم أن هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة، واعلم أن داود وسليمان كانا ممن أفاض الله عليهما أصناف الآلاء والنعماء، وأيوب كان ممن خصه الله بأنواع البلاء، والمقصود من هذه القصص الاعتبار. كأن الله تعالى قال: يا محمد اصبر على سفاهة قومك، فإنه ما كان في الدنيا أكثر نعمة، ومالاً، وجاهاً من داود – عليه السّلام –، وما كان أكثر بلاء ومحنة من أيوب، فتأمل في أحوال هؤلاء لتعرف أن أحوال الدنيا لا تنتظم لأحد، وأن العاقل لا بد له من الصبر على المكاره. وقوله: ﴿أَيُّوبَ﴾ عطف بيان، و﴿إِذْ﴾ بدل اشتمال منه. وقُرِئَ: ﴿بِنُصْبٍ﴾ بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وفتحها وضمها[١١٩٨]، وهي المشقة والعذاب والألم.

واعلم أنه تعالى كان قد حصل عنده نوعان من المكروه: الغمّ الشديد بسبب زوال الخيرات وحصول المكروهات، والألم الشديد في الجسم. ولما حصل هذان النوعان لا جرم ذكر الله تعالى لفظين وهما: النصب، والعذاب. وللناس في هذا الموضع قولان: أحدهما: أن الآلام والأسقام الحاصلة في جسمه إنما حصلت بفعل الشيطان. الثاني: أنها إنما حصلت بفعل

---

[١١٩٨] قرأ أبو جعفر بضم النون والصاد، وقرأ يعقوب بفتحها، وقرأ الباقون بضم النون وإسكان الصاد. ابن الجزري: النشر، ٢/٣٦١.

الله تعالى، والعذاب المضاف في هذه الآية إلى الشيطان هو عذاب الوسوسة، وإلقاء الخواطر الفاسدة.

أما القول الأول فتقريره: ما روي أن إبليس سأل ربه، فقال: هل عندك من لو سلطتني عليه يمتنع مني؟ فقال الله تعالى: نعم عبدي أيوب، فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى إبليس عيانا، ولا يلتفت إليه، فقال: ربّ إنه قد امتنع علي فسلطني على ماله، وكان يجيئه ويقول له: هلك من مالك كذا وكذا. فيقول: الله أعطى والله أخذ، ثم يحمد الله. فقال: يا ربّ إن أيوب لا يبالي بماله، فسلطني على ولده، فجاء وزلزل الدار، فهلك أولاده بالكلية، فجاءه وأخبره، فلم يلتفت إليه. فقال: يا ربّ إنه لا يبالي بماله وولده، فسلطني على جسده. فأذن فيه، فنفخ في جلد أيوب، وحدثت أسقام عظيمة وآلام شديدة فيه، فمكث في ذلك البلاء سبع سنين، بحيث استقذره أهل بلده، فخرج إلى الصحراء وما كان يقرب منه أحد، فجاء الشيطان إلى امرأته، وقال: إن زوجك إنِ استعان بي خلصته من هذا البلاء. فذكرت المرأة لزوجها، فحلف بالله لئن عافاه الله ليجلدنها مائة جلدة، وعند هذه الواقعة قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ فأجاب الله تعالى دعاءه، وأوحى إليه أن: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾، فأظهر الله تعالى من تحت رجليه عيناً باردة طيبة، فاغتسل منها، فأذهب الله تعالى عنه كل داء في ظاهره وباطنه، ورد عليه أهله وماله.

والقول الثاني: أن الشيطان لا قدرة له ألبتة على إيقاع الناس في الأمراض والأسقام، لأن الله تعالى حكى عن الشيطان أنه قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَٰنٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[إبراهيم:٢٢]، فصرح بأنه لا قدرة له في حق البشر إلا على إلقاء الوساوس

والخواطر الفاسدة، وكان ذلك يدل على فساد قول من يقول إن الشيطان هو الذي [ألقاه][١١٩٩] في تلك الأمراض والآفات، ولأنا لو جوزنا حصول الموت والحياة، والصحة والمرض من الشيطان، لكان كل ماحصل عندنا من الخيرات والسعادات فقد حصل بفعل الشيطان، وحينئذ لا يكون لنا سبيل إلى أن نعرف معطي الموت والحياة، والصحة والسقم هو الله تعالى. واختلفوا في تلك الوساوس كيف كانت؟ وذكروا فيه وجوهاً: الأول: كانت علته شديدة الآلام، ثم طالت مدة تلك العلة، واستقذره الناس ونفروا عن مجاورته، ولم يبق له شيء من الأموال ألبتة. وامرأته تخدم الناس، إلى أن منعوا امرأته من الدخول عليهم، ومن الاشتغال بخدمتهم، والشيطان كان يذكره النعم التي كانت، والآفات التي حصلت، وكان يحتال في دفع تلك الوساوس، فلما قويت تلك الوساوس في قلبه، خاف وتضرع إلى الله تعالى، وقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾. الثاني: أنه لما طالت مدة المرض جاءه الشيطان، وكان يقنطه ويزلزله لأن يخرج. الثالث: قيل إن الشيطان [لما قال لامرأته: لوأطاعني زوجك أزلت عنه هذه الآفات. فذكرت المرأة له ذلك، فغلب على ظنه أن الشيطان][١٢٠٠] طمع في دينه، واشتد ذلك عليه، فتضرع إلى الله تعالى وقال: ﴿إِنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾. ويقال: إن امرأته كانت تخدم الناس وتأخذ منهم قدر القوت وتجيء به إلى أيوب، فاتفق أنهم ما استخدموها ألبتة، وطلب بعض النساء منها قطع إحدى ذؤابتيها على أن تعطيها قدر القوت ففعلت، ثم في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك، فلم يبق لها ذؤابة. وكان أيوب –

---

[١١٩٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٩٧/٢٦.

[١٢٠٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٣٩٧/٢٦.

عليه السّلام – إذا أراد أن يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذؤابة، فلما لم يجد الذؤابة، وقعت الخواطر المؤذية في قلبه، واشتد غمه، فعند ذلك قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ وذكروا فيه أحوالاً أخر، والله أعلم بحقيقة الحال.

أما قوله تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ فالمعنى أنه لما شكى من الشيطان، فكأنه سأل ربه يزيل تلك البلية، فأجابه الله بأن قال: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ الركض هو الدفع القوي بالرجل، ومنه ركض الفرس. والتقدير: قلنا له: اركض برجلك. قيل: إنه ضرب برجله تلك الأرض فنبعت عين، فقيل: ﴿هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ أي هذا ماء تغتسل به فيبرأ ظاهرك، وتشرب فيبرأ باطنك، فظاهر اللفظ يدل على أنه نبعت له عين واحدة من الماء اغتسل به، وشرب منه. والمفسرون قالوا: نبعت له عينان، فاغتسل في إحداهما، وشرب من الأخرى، فذهب الداء من باطنه وظاهره بإذن الله. وقيل: ضرب رجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها، ثم باليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها.

ثم قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَابِ﴾ اختلفوا فقال بعضهم: معناه أزلنا عنهم السقم فعادوا أصحاء، وقال بعضهم: بل حضروا عنده بعد أن غابوا عنه واجتمعوا بعد أن تفرقوا. وقال بعضهم: تمكن منهم وتمكنوا منه، فيما يتصل بالعشرة والخدمة.

أما قوله: ﴿وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ﴾ فالأقرب أنه تعالى متعه بصحته وبماله وقواه حتى كثر نسله وصار أهله ضعف ما كانوا. ثم قال: ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَابِ﴾ يعني سلطنا البلاء عليه أولا

فصبر، ثم أزلنا عنه البلاء وأوصلناه إلى الآلاء والنعماء، تنبيها لأولي الألباب على أن من صبر ظفر.

أما قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ فهو معطوف على ﴿ٱرْكُضْ﴾، الضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك. قال بعضهم: السبب الذي لأجله حلف، أنها ذهبت فأبطأت، فحلف في مرضه ليضربنها مائة إذا برىء، ولما كانت حسنة الخدمة له لا جرم [حلل][١٢٠١] الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ فإن قيل: كيف وجده صابراً وقد شكى إليه؟ والجواب عنه: أنه شكى من الشيطان إليه لا من أخذ الألم. ويقال: إن الألم حين كان على الجسد لم يذكر شيئاً، فلما عظمت الوساوس خاف على القلب والدين فتضرع. ثم قال: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ وهذا يدل على أن تشريف نعم العبد، إنما حصل لكونه أواباً، وذكر أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ في حق سليمان تارة، وفي حق أيوب أخرى. عظم في قلوب أمة محمد ﷺ، وقالوا: إنه نِعم العبد تشريف عظيم، فإن احتجنا إلى تحمل بلاء مثل أيوب، فكيف السبيل إلى تحصيله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[الأنفال: ٤٠]، والمراد أنك إن لم تكن ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ فأنا ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾، وإن كان منك القصور، فأنا ﴿نِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ وإن كان منك التقصير، فمني الرحمة والتيسير"[١٢٠٢].

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

---

[١٢٠١] في الأصل (حلد)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٣٩٩.

[١٢٠٢] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٣٩٤-٣٩٩.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لاَّ يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِىٓ﴾ "يشير إلى معانٍ مختلفة: منها: إنه لما أراد طلب المُلك الذي هو رفعة الدرجة، بيّن الأمر في ذلك على التواضع لموهب الرفعة، وهو قوله: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾. ومنها: إنه قدم طلب المغفرة على طلب المُلك، لأنه لو كان طلب المُلك ذلة في حق الأنبياء – عليهم السّلام – تكون مسبوقة بالمغفرة. ومنها: إن المُلك مهما يكون في يد المغفور له منظور بنظر العناية ما يصدر منه لا يصرف في المُلك إلا مقرونا بالعدل والنصيفة، وهو محفوظ من آفات المُلك وتبعاته. ومنها: قوله: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لاَّ يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِىٓ﴾ أي يكون ذلك موهوباً له، بحيث لا ينزعه منه ويؤتيه من يشاء، كما هي السنة الإلهية جارية فيه. كما وقع في مُلك سليمان للفتنة، وبحيث لا يكون هو سبب افتتانهم. ومنها: قوله: ﴿مُلْكًا لاَّ يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ﴾ أي مُلكا [لا يطلع][١٢٠٣] على حقيقته وكماليته [أحد][١٢٠٤] حتى يطلبه منك. يعني يكون من جملة: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ليطلبه. ومنها: قوله: ﴿لاَّ يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ﴾ أي لا يكون هذا المُلك ملتمس أحد منك غيري للتمتع والانتفاع به، وهو بمعزل عن قصدي ونيتي في طلب هذا، فإن في طلب هذا المُلك نية لنفسي، ونية لقلبي، ونية لروحي، ونية للرعايا، ونية للممالك بأسرها. فأما نيته لنفسه: فتزكيتها عن صفاتها الذميمة وأخلاقها اللئيمة، وذلك في منعها عن استيفاء شهواتها الحيوانية، وترك مستلذاتها النفسانية بالاختيار دون الاضطرار، وإنما تيسر ذلك بالقدرة الكاملة عليه بالمالكية والملكية بلا مانع ولا منازع،

---

[١٢٠٣] في الأصل (لا ينبغي)، وصححتها من *التأويلات النجمية*، ١٨٩/٥.

[١٢٠٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ١٨٩/٥.

وكماليته في المملكة بحيث يعود فيها مما تحرك داعية من دواعي البشرية المذكورة في جبلية الإنسان، ليكون كل واحد من المشتهيات والمستلذّات النفسانية محركة لداعية تناسبها عند تملكها، والقدرة عليها عند توقان النفس إليها، ونهاها عن هواها، خالصاً لله وطلباً لمرضاته، فتموت النفس عن صفاتها كما يموت البدن عما يعيش بها، فلما ماتت النفس عن صفاتها الذميمة يحييها الله تعالى بالصفات الحميدة، كما قال تعالى:﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[النحل:٩٧]، وقال:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[الشمس:٩]، فلا يبقى لها نظر إلى الدنيا وسائر نعيمها، كما كان حال سليمان لم يكن له نظر إلى الدنيا ونعيمها، وإنما كان مع تلك الوسعة في المملكة يأكل كسيرة من كسب يده مع جليس مسكين، ويقول: مسكين جالس مسكيناً. وأما نيته لقلبه: فتصفيته عن محبة الدنيا وزينتها وشهواتها، وتوجهه إلى الآخرة بالإعراض عنها عند القدرة عليها والتمكن فيها، ثم صرفها في سبيل الله وقلع أصلها من أرض القلب، ليبقى القلب صافياً نقياً من الدنس قابلاً للفيض الإلهي، فإنه خلق مرآة لجميع الصفات الإلهية. وأما نيته لروحه: فلتحليته بالأخلاق الحميدة الربّانية، ولا سبيل إليها إلا بعلوالهمة وخلوص النية، فإن المرء يطير بهمته كالطائريطير بجناحيه، وتزينه الهمة بحسب نيل المقاصد الدنيوية الدنية، وصرفها في نيل المراتب الدينية الأخروية الباقية، فلما كان من أخلاق الله تعالى [أنه يحب معالي الأمور ويبغض سفاسفها][١٢٠٥]، التمس سليمان – عليه السّلام – أقصى مراتب الدنيا ونهاية مقاصدها، لئلا يلتفت إليها ويستعملها لنيل المقاصد الدنية الباقية، ويتخلق بأخلاق الله تعالى. وأما نيته للرعايا: بأن يحسن إليهم ويؤلف قلوبهم ببذل المال

---

[١٢٠٥] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٩٠.

والجاه، فإن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، فإنهم إذا أحبوا نبي الله لزمهم حب الله، فيكون حب الله وحب نبيه في قلوبهم محض الإيمان، ومن لم يكن منهم أن يؤمن بالإحسان فيدخلهم في الإيمان بالقهر والغلبة بأن يأتيهم ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[التوبة:٤٠]، كما أدخل بلقيس وقومها في الإيمان. وأما نيته للممالك: بأن يجعل الممالك الدنيوية الفانية أخروية باقية، بأن يتوسل بها إلى الحضرة بصرفها في إظهار الدين، وإقامة الحق، وإعلاء كلمة السلام، فإن قيل: قوله: ﴿لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّن بَعْدِيَ﴾ هل يتناول محمدا ﷺ أم لا؟ قلنا: أما بالصور فيتناول، ولكن لعلوّ همته وكمال قدره، لا لأنه عُرض عليه ﷺ مُلك أعظم من ملكه فلم يقبله، وقال: "الفقر فخري"[١٢٠٦]. وأما بالمعنى فلا يتناول النبي ﷺ، لأنه قال: "فُضِّلتُ على الأنبياء بِستّ"[١٢٠٧]. يعني على جميع الأنبياء، ولا خفاء أن سليمان – عليه السّلام – ما بلغ درجة واحدة من أولي العزم من الرسل، وهم معه مفضولون بست فضائل من النبي ﷺ، بل أعطاه الله تعالى ما كان مطلوب سليمان – عليه السّلام – من صورة المُلك ومعناه، أو فسر ما أعطى سليمان وفتنه به [من غير رحمة مباشرة صورة المُلك، والافتتان فلم يقبله به عزة ودلالاً][١٢٠٨].

[١٢٠٦] سبق تخريجه.

[١٢٠٧] مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، ١/٣٧١، رقم (٥٢٣)، وتتمته: "أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ".

[١٢٠٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٩١.

وبقوله: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَٱلشَّيَاطِينَ﴾ يشير إلى أن سليمان – عليه السّلام – لما فعل بالصافنات الجياد ما فعل في سبيل الله، عوضه الله تعالى مركبا مثل الريح كان ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾[سبأ:١٢].

﴿كُلُّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلأَصْفَادِ (٣٨) هَـٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ يشير إلى أن الإنسان إذا كمل في إنسانيته يصير قابلاً للفيض الإلهي بلا واسطة، فيعطيه الله من آثار الفيض تسخير ما في السماوات من الملائكة، كما سخر لآدم قبله: ﴿ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾[البقرة:٣٤]، وفي الأرض كما سخر لسليمان الجن والإنس والشياطين والوحوش والطيور، وذلك لأن كل ما في السماوات ومافي الأرض أجزاء وجود الإنسان الكامل، فإذا أنعم الله عليه بفيضه سخر له أجزاء وجوده في المعنى، أما في الصورة فيظهر على بعض الأنبياء تسخير بعضها إعجازاً له، كما أظهر على نبينا ﷺ تسخير القمر عند انشقاقه بإشارة إصبعه، ولهذا قال: ﴿هَـٰذَا عَطَآؤُنَا﴾، وبقوله: ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، يشير إلى أن الأنبياء بتأييد الفيض الإلهي، ولأن إفاضة الفيض على من هو أهله عند الاستفاضة، ولهم إمساك الفيض عند عدم الاستفاضة من غير أهله، ولا حرج عليهم في الحالتين.

﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ في الإفاضة والإمساك. ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ لأنه كان متقرباً إلينا بالإعطاء والمنع.

ثم أخبر عن رعاية العبودية، وعناية الربوبية بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾، يشير إلى معانٍ مختلفة: منها: إن من شرط عبودية خواص عبادنا من الأنبياء والأولياء الصبر عند نزول البلاء، والرضا بجريان أحكام القضاء.

ومنها: ليعلم أن الله تعالى لو سلط الشيطان على بعض من أنبيائه أوأوليائه لا يكون لإهانتهم، بل يكون لعزهم وإعانتهم على البلوغ إلى رتبة نعم العبدية، ودرجة الصابرين. ومنها: إن العباد من الأنبياء والأولياء لو لم يكونوا في كنف عصمة الله وحفظه لمستهم الشياطين بنصب وعذاب. ومنها: إن من آداب العبودية إجلال الربوبية وإعظامها عن إحالة الضرر والبلاء والمحن عليها إلا على الشيطان، كما قال يوسف:﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ ٱلشَّيْطَانُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾[يوسف:١٠٠]، وقال يوشع - عليه السّلام -:﴿وَمَآأَنْسَانِيهُ إِلاَّ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾[الكهف:٦٣]، وقال موسى - عليه السّلام -:﴿هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾[القصص:١٥]. ومنها: ليعلم أن ما بلغ من بلغ مقام الرجال البالغين إلا بالصبر على البلوى، وتفويض الأمور إلى المولى، والرضا بما يجري عليه من القضاء.

وبقوله: ﴿هَـٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾، يشير إلى أن الله تعالى إذا نظر إلى العبد بنظر الرضا يبدل مرضه بالشفاء، وشدته بالرخاء، وجفاه بالوفاء، ويخرج من تحت قدميه بركضته ينبوعا ينبع منها مغتسل أصحاب العلل، ومشرب أرباب الملك.

وبقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ﴾، يشير إلى كمال القدرة على الإيجاد والإفناء، والإحياء والإماتة والإعادة إظهاراً للرحمة، وموعظة لأرباب القلوب الحية.

وبقوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِ وَلاَ تَحْنَثْ﴾، يشير إلى معانٍ مختلفة: منها: إظهار براءة المرأة من كل ريبة توهمها في حقها أيوب - عليه السّلام -. ومنها: إن الله تعالى

أراد أن لا يضيع أجر إحسان المرأة مع زوجها، وأن لا يكافئها بالخير شراً، وتبقى ببركتها هذه الرخصة في الأمم إلى يوم القيامة.

وبقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، يشير إلى أن أيوب – عليه السّلام – لم يكن ليجد نفسه صابراً، لولا ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ﴾ أي جعلناه صابراً، ويدل على هذا المعنى قوله تعالى لنبيه – عليه السّلام –:﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِٱللَّهِ﴾[النحل:١٢٧] أي هو الذي صبّرك، وإلا لم تكن تصبر، وقوله: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ يدل على أنه جعله صابراً لأنه كان نعم العبد، وإنما كان نعم العبد لأنه كان أواباً راجعاً إلى الحضرة في طلب الصبر [على البلاء، والرضا][١٢٠٩] بالقضاء"[١٢١٠].

﴿وَاذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ (٤٧) وَاذْكُرْ إِسْماعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيارِ (٤٨) هَذا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيها يَدْعُونَ فِيها بِفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرابٍ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ أَتْرابٌ (٥٢) هَذا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسابِ (٥٣) إِنَّ هَذا لَرِزْقُنا مَا لَهُ مِنْ نَفادٍ (٥٤) هَذا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمِهادُ (٥٦) هَذا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْواجٌ (٥٨) هَذا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صالُوا النَّارِ (٥٩) قالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنا فَبِئْسَ الْقَرارُ

---

[١٢٠٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ١٩٣/٥.

[١٢١٠] *التأويلات النجمية*، ١٨٨/٥-١٩٣.

(٦٠) قَالُوا رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هَذا فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ (٦١) وَقالُوا مَا لَنا لا نَرى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ (٦٢) أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ (٦٣) إِنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤) قُلْ إِنَّما أَنَا مُنْذِرٌ وَما مِنْ إِلهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ (٧٤) قالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ (٧٥) قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

ثم أخبر عن خلاص أهل الإخلاص بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ "قرأ ابن كثير (وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ)، وهو لإبراهيم خاصة،

والباقون (عِبَادَنَا) وهو له ولإسحاق ويعقوب. ﴿أُوْلِي ٱلأَيْدِي وَٱلأَبْصَـٰرِ﴾ يعني أولي القوة في العبادة، ﴿وَٱلأَبْصَـٰرِ﴾ يعني ذوي البصر في أمر الله تعالى.

﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ يعني اختصصناهم بذكر الله تعالى، وبذكر الجنة، وليس لهم همّ إلا همّ الآخرة. ويقال: معناه واذكر صبر إبراهيم، وصبر إسحاق، وصبر يعقوب، و لم يذكر إسماعيل لأنه لم يُبتلَ بشيء. ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ بغير تنوين على قراءة نافع على معنى الإضافة. والباقون بالتنوين. و﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾[١٢١١] بدلاً من خالصة. والمعنى: إنا أخلصناهم بذكر الدار، والدار ههنا الجنة والآخرة. يعني جعلناهم لنا خالصين، بأن جعلناهم يكثرون ذكر الآخرة، والرجوع إلى الله تعالى. وروي عن مالك بن دينار قال: نزع الله مافي قلوبهم من حب الدنيا وذكرها، وأخلصهم بذكر الآخرة.

﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ يعني المختارين بالرسالة، الأخيار من أهل الجنة.

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ﴾ يعني واذكر صبر إسماعيل، وهو أشمويل بن هلفانا. وقال غيره: هو إسماعيل بن إبراهيم. يعني اذكر لقومك إسماعيل، وصدق وعده"[١٢١٢]. ﴿وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ واليسع "قال محمد بن إسحاق: إن اليسع وذا الكفل كانا ابني عم، وكان اليسع في أربعمائة من الأنبياء في زمان ملك غشوم، فقتل المَلِك منهم ثلاثمائة وبقي ذوالكفل فكفلهم، فجعل يطعمهم ويسقيهم حتى سمي ذا الكفل. فإن اليسع كان آمن بإلياس، ولما ذهب اليسع

---

[١٢١١] في الأصل (الذي)، وهو خطأ في كتابة الآية.

[١٢١٢] بحر العلوم، ٣/١٢٠-١٢١.

في بني إسرائيل. وقيل: لما مات أيوب - عليه السّلام - أرسل الله ابنه بشر بن أيوب نبيا، وسماه ذا الكفل، وأمره بالدعاء إلى توحيده، وكان نبيا بالشام، عمّره الله تعالى خمسا وسبعين سنة، ثم مات، فأرسل الله تعالى بعده شعيبا، وفيه أقاويل ذكرت في سورة الأنبياء في قوله: ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾[الأنبياء:٨٥]"[١٢١٣]. ﴿وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ يعني كلهم من أهل الجنة.

﴿هَـٰذَا ذِكْرٌ﴾ "يعني هذا الذي ذكرنا من الأنبياء في هذه السورة ﴿ذِكْرٌ﴾ يعني بيان لعظمته. ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ من هذه الأمة. ﴿لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ يعني حسن المرجع.

ثم وصف الجنة فقال: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ يعني تفتح لهم الأبواب ليدخلوا فيها. كما قال في آية أخرى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[الزمر:٧٣] فإذا دخلوها، وجلسوا على السرر، وكانوا ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا﴾ يعني بألوان فاكهة ﴿كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ يعني ألوان الشراب. ﴿وَعِنْدَهُمْ قَٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ﴾ يعني غاضات أعينهن عن غير أزواجهن. ﴿أَتْرَابٌ﴾ يعني لذات أقران. يعني مستويات على سن واحد. ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ يعني هذا الثواب الذي توعدون يكون لكم في يوم الحساب.

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا﴾ يعني هذا الذي ذكرنا لعطاؤنا للمتقين. ﴿مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ يعني لا يكون فناء، ولا انقطاع. وهذا كما قال في آية أخرى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[الواقعة:٣٣].

﴿هَـٰذَا﴾ يعني هذا الرزق للمتقين فيتم الكلام عند قوله: ﴿هَـٰذَا﴾.

---

[١٢١٣] التيسير في التفسير، ١٢/٥١٤-٥١٥.

ثم ذكر ما أوعد الكفار فقال: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ يعني للكافرين المتمردين، لبئس المرجع والمقام في الآخرة.

ثم بيّن مرجعهم فقال: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يعني يدخلونها. ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ يعني فبئس موضع القرار. ويقال: فبئس موضع القرار المعدّ لهم، بخلاف ماذكر للمتقين من حسن المآب والجنة المفتحة لهم الأبواب.

﴿هَـٰذَا﴾ يعني هذا العذاب لهم"[١٢١٤]. ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ "ترجمة عن المضمر. وقيل: فيه تقديم وتأخير، هذا حميم فليذوقوه، وهذا مكان الفاكهة، والشراب للمتقين. والحميم وهو الماء الحار الذي تناهى حرّه. وأما الغساق فهو مايسيل من بين جلود أهل النار ولحمهم. قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم في رواية حفص بالتشديد، وكذا في (عمّ يتساءلون). وقرأ الباقون بالتخفيف، فالمخفف اسم كالشراب والعذاب، والمشدد نعت كالكذاب.

﴿وَءَاخَرُ﴾ أي عذاب آخر. ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ أي مثل عذاب الأول. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو(وَأُخَرُ) بالضم على الجمع[١٢١٥]، أي ضروب أُخر. والباقون على الواحد كما مرّ. ﴿أَزْوَاجٌ﴾ يعني ألوان وضروب. وهي الغسلين، والصديد، والزقوم"[١٢١٦].

---

[١٢١٤] بحر العلوم، ٣/١٢١.

[١٢١٥] نسب حاجي باشا قراءة (وأُخَرُ) لابن كثير، والصواب أن الذي يقرأ بها مع أبي عمرو هو يعقوب. ابن الجزري: النشر، ٢/٣٦١.

[١٢١٦] التيسير في التفسير، ١٢/٥١٢-٥١٤.

﴿هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ "يعني هذه جماعة داخلة معكم النار. ﴿مُّقْتَحِمٌ﴾ أي هالك. يقال: اقتحم الرجل إذا دخل في المهالك، وأصله الدخول. يعني يقول الخزنة للقادة: هذه جماعة داخلة معكم النار، وهم الأتباع. ﴿لاَ مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ يعني لا وسّع الله عليهم. ﴿إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾ يعني داخلون النار معكم.

فردت الأتباع على القادة: ﴿قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ أي لا وسّع الله عليكم. ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ يعني أسلفتموه لنا، وبدأتم بالكفر قبلنا، فاتبعناكم. ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ يعني بئس موضع القرار في النار.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا﴾ أي في هذا الأمر الذي كنا عليه. ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ يعني مضاعفا بكفره ودعوته إيّانا إليه. ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾ أي في نار جهنم.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لاَ نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ ٱلأَشْرَارِ﴾ يعني فقراء المسلمين"[١٢١٧]. "قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: أن أبا جهل وأمثاله يقولون: أين صهيب؟ أين بلال؟ أين عمار؟ أين خباب؟ وهم الذين كانت السادة تسخر منهم"[١٢١٨].

﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ "أتخذناهم بالوصل والقطع. وبالقطع على معنى الاستفهام بدليل: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلأَبْصَارُ﴾ لأن كلمة (أَمْ) تدل على الاستفهام. ومعنى الوصل: أنا

---

[١٢١٧] بحر العلوم، ٣/١٢٢.

[١٢١٨] التيسير في التفسير، ١٢/٥٢١.

أتخذناهم سِخرِيًّا. وجعل (أَمْ) بمعنى بل. [وقرأ حمزة، والكسائي، ونافع (سُخْرِيًّا) بضم السين. وقرأ الباقون بالكسر][١٢١٩]. بكسر السين معناه كنا نسخر منهم. وبالضم جعل من السخرة. يعني: تستذلهم. ومن قرأ (أَتَّخَذْنَاهُمْ) بألف مفتوحة على القطع فهو استفهام، والثاني معطوف عليه بغير إضمار. ومعناه أكان ذلك باطلا منا وهزوا بغير حق؟ أو كانوا خيار الأشرار فأدخلوا غير مدخلنا؟ أم أدخلوا هنا معنا؟ ومالت عنهم أبصارنا لكونهم في ناحية أخرى منا.

﴿إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ يعني يتكلم به أهل النار ويتخاصمون فيما بينهم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد. ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾ يعني رسول أخوفكم عذاب الله، وأبيّن لكم، أن الله تعالى واحد. ﴿وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ فأدعوكم إلى عبادته وتوحيده.

﴿رَبُّ السَّمٰوٰتِ﴾ يعني هو ربّ السماوات. ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ نعت لقوله: لا إله إلا الله، وكذلك قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ﴾ العزيز بالنقمة، الغفار للمؤمنين.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾ يعني قل يا محمد النبأ الذي أنبؤكم عن الله نبأ عظيم فيه دليل نبوتي، وهو ما ذكر فيه من قصة آدم، فإن ذلك لا يعرف إلا بوحي، أو بقراءة الكتب"[١٢٢٠].

﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أي عن النبأ العظيم. قيل: هو أمر الساعة. وقيل: العذاب المخلد. وقيل: أي القرآن الذي أنذرتكم. وقيل: هو الإخبار بنبوته.

---

[١٢١٩] سقط من الأصل، وكتبتها من بحر العلوم، ٣/١٢٢.

[١٢٢٠] بحر العلوم، ٣/١٢٢-١٢٣.

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ ٱلْأَعْلَى﴾ "يعني الملائكة. إِذْ يَخْتَصِمُونَ يعني يتكلمون حين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾[البقرة: ٣٠]. وإنما علمت بإعلام الله تعالى. ويقال: إنما عرفت ذلك بالوحي.

﴿إِنْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ يعني ما يوحي إليّ. ﴿إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ يعني إلا رسول بيّن.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ يعني آدم.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ يعني جمعت خلقه. ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ يعني جعلت الروح فيه. ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ يعني اسجدوا له.

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ يعني كلهم بدفعة واحدة. ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ﴾ عن السجود. ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني وصار من الكافرين.

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ﴾ يعني يا خبيث"[١٢٢١]. ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ "هو سؤال تقريع وتوبيخ، أي لمن أفردته بإيجاده وصورته بلا واسطة.

﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ بقطع ألف الاستفهام، بمعنى الإنكار. ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ أي تكبرت أم كنت من المتكبرين قبل هذا؟. وقيل: أم صرت من الطالبين العلوّ. ومن قرأ بالوصل فمعناه على الوجوب. و(أَمْ) بمعنى بل. يعني تعظمت عن السجود. ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ يعني بل كنت من العالين، أي من المخالفين.

---

[١٢٢١] بحر العلوم، ٣/١٢٣-١٢٤.

﴿قَالَ﴾ إبليس. ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ﴾ لها نور. ﴿وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ له ظلمة. وقد بيّن وجوه خطيئته في هذا القياس.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة. وقيل: من السماء. ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أي متى هممت إلى السماء رجمت بالشهب، أي رميت بها وطردت عن السماء.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يعني أن الملائكة والبشر يلعنوك إلى يوم القيامة، ثم أدخلك النار تحقيقا لهذا اللعن. وفيه إخبار أنه يبقى على الكفر إلى يوم القيامة.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِى﴾ أي أمهلني. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ خاف الموت فسأل النظرة إلى يوم القيامة.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ وهو فناء الدنيا.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي لأضلن بني آدم بالوسوسة.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ فإنه لا يعمل فيهم إغوائي.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ قرأ عاصم، وحمزة (فَالْحَقُّ) بالرفع، (وَٱلْحَقَّ) بالنصب. وقرأ الباقون كلهما بالنصب. ومن رفع الأول فمعناه: وأنا الحق، وهو مبتدأ ومعناه فالحق أني ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ﴾، ومن نصب فعلى القسم. والثاني نُصب بوقوع القول

عليه، وأقول الحق: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي من بني آدم. ﴿أَجْمَعِينَ﴾"[١٢٢٢].

"﴿قُلْ﴾ يا محمد. ﴿مَا أَسْئَلُكُمْ﴾ يعني على الذي أنبأتكم به من القرآن. ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ ولكن أعلمكم بغير أجر. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ يعني ما أتيتكم به من قبل نفسي، وما خلقته من تلقاء نفسي.

﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني ما هذا القرآن. ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ﴾ إلا عظة للجن، والإنس. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ يعني خبر هذا القرآن أنه حق بعد حين. يعني: بعد الموت. ويقال: يعني بعد الإسلام. ويقال: يعني بعد ظهور الإسلام"[١٢٢٣]. ويقال: بعد حين يعني بعد ورود الأمر بالقتال ختم السورة بما بدأها به فإنه قال: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ﴾، وكذا قال في انتهائها: واذكر مكررا، وفي آخرها قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾.

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ (٤٥) إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ (٤٧) وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ

---

[١٢٢٢] التيسير في التفسير، ١٢/٥٢٥-٥٢٨.

[١٢٢٣] بحر العلوم، ٣/١٢٥.

عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هذا معطوف على ماقبله "كأنه تعالى قال: اصبر على مايقولون، واذكر عبدنا داود إلى أن قال: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي واذكر يا محمد صبر إبراهيم حين ألقي في النار، واذكر صبر إسحاق للذبح، وصبر يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره. ثم قال: ﴿أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ﴾، واعلم أن اليد آلة لأكثر الأعمال والبصر آلة لأقوى الإدراكات، فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الإدراك بالبصر. إذا عرفت هذا فنقول النفس الناطقة لها قوتان عاملة وعالمة، أما القوة العاملة فأشرف ما يصدر عنها طاعة الله، وأما القوة العالمة فأشرف ما يصدر عنها معرفة الله، فقوله: ﴿أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ إشارة إلى هاتين الحالتين.

ثم قال: ﴿بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾، فمن نوّن ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ كان التقدير: أخلصناهم أي جعلناهم خالصين بسبب خصلة خالصة لا شوب فيها وهي ذكر الدار، ومن قرأ بالإضافة فالمعنى ما خلص من ذكرى الدار، يعني أن ذكر الدار قد تكون لله وقد تكون لغير الله، فالمعنى إنا أخلصناهم بسبب ما خلص من هذا الذكر.

وفي قوله: ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ وجوه: الأول: المراد أنهم [استغرقوا في ذكرى الدار الآخرة وبلغوا في هذا الذكر إلى حيث نسوا الدنيا. الثاني: المراد حصول][١٢٢٤] الذكر الجميل الرفيع لهم في الدار الآخرة. الثالث: المراد أنهم أبقى لهم الذكر الجميل في الدنيا، وقيل: دعاء. قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْأَخِرِينَ﴾[الشعراء:٨٤].

---

[١٢٢٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٠٠.

ثم قال: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلأَخْيَارِ﴾ أي المختارين من أبناء جنسهم، والأخيار جمع خيّر أو خيْر على التخفيف، كأموات في جمع ميّت أوميْت، واحتج العلماء بهذه في عصمة الأنبياء، لأنه تعالى حكم عليهم بأنهم أخيار على الإطلاق، وهذا يعم حصول الخيرية في جميع الأفعال والصفات.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلأَخْيَارِ﴾ وهم قوم آخرون من الأنبياء تحملوا الشدائد في دين الله، وقد ذكر الكلام في شرح هذه الأسماء في صفات هؤلاء الأنبياء في سورة الأنبياء، فلا فائدة في الإعادة.

قوله تعالى: ﴿هَـٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلأَبْوَٰبُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ اعلم أن في قوله: ﴿هَـٰذَا ذِكْرٌ﴾ وجهان: الأول: أنه تعالى إنما شرح ذكر هؤلاء الأنبياء – عليهم السّلام – لأجل أن يصبر محمد ﷺ على تحمل سفاهة قومه، فلما تمم بيان هذا الطريق وأراد أن يذكر عقيبه طريقاً آخر يوجب الصبر على سفاهة الجهال، وأراد أن يميز أحد البابين عن الآخر، لا جرم قال: ﴿هَـٰذَا ذِكْرٌ﴾، ثم شرع في تقرير الباب الثاني فقال: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ كما أن المصنف إذا تمم كلاماً قال هذا باب، ثم شرع في باب آخر، وإذا فرغ الكاتب من فصل من الكتابة وأراد أن يشرع في فصل آخر قال: [هذا][١٢٢٥] وقد كان

---

[١٢٢٥] سقط من الأصل، وكتبتها من مفاتيح الغيب،٢٦/٤٠١.

كيت وكيت، والدليل عليه أنما لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يردفه بذكر أهل [النار][١٢٢٦] قال: ﴿هَـٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾. الوجه الثاني: في التأويل، أن المراد هذا شرف وذكر جميل لهؤلاء يذكرون به أبداً. أما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَئَابٍ﴾ فاعلم أنه تعالى لما حكى عن كفار قريش سفاهتهم على النبي ﷺ بأن وصفوه بأنه ساحر كذاب، فقالوا له على سبيل الاستهزاء: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾[ص:١٦]، فعند هذا أمر محمداً بالصبر على تلك السفاهة، وبيّن أن ذلك الصبر لازم من وجهين: الأول: أنه تعالى لما بين أن الأنبياء المتقدمين صبروا على الشدائد والمكاره، فيجب عليك أن تقتدي بهم في هذا المعنى. الثاني: أن الله تعالى بيّن في هذه الآية أن من أطاع الله كان له من الثواب كذا وكذا، وكل من خالفه كان له من العقاب كذا وكذا، وكل ذلك يوجب الصبر على تكاليف الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَئَابٍ﴾ المآب المرجع.

ثم قال: ﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾، قوله: ﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾ مبتدأ، و﴿مُّفَتَّحَةً﴾ خبره، وكلاهما خبر مبتدأ محذوف، أي هو جنات عدن مفتحة لهم.

اعلم أنه تعالى وصف أحوال الجنة في هذه الآية بأشياء: الأول: أحوال مساكنهم، فقوله: ﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾ يدل على أمرين: أحدهما: كونها جنات وبساتين. والثاني: كونها دائمة آمنة من الانقضاء.

---

[١٢٢٦] في الأصل (الدار)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٤٠١/٢٦.

وفي قوله: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ وجوه: الأول: أن يكون المعنى الملائكة الموكلين بالجنان إذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له أبوابها، وحيّاه بالسلام، فيدخل محفوفاً بالملائكة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[الزمر:٧٣]. الثاني: أن تلك الأبواب كلما أرادوا انفتاحها انفتحت لهم، وكلما أرادوا انغلاقها انغلقت لهم. الثالث: المراد من هذا الفتح، وصف تلك المساكن بالسعة، وقوة العيون، ومشاهدة الأحوال.

ثم قال: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا﴾، وفيه مباحث: الأول: أنه تعالى ذكر في هذه الآية كونهم متكئين في الجنة، وذكر في سائر الآيات كيفية ذلك الاتكاء، فقال في آية: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾[يس:٥٦]، وقال في آية أخرى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾[الرحمن:٧٦]. الثاني: قوله: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ حال قدمت على العامل، وهو قوله: ﴿يَدْعُونَ﴾ والمعنى يدعون في الجنات متكئين فيها. ثم قال: ﴿بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ والمعنى بألوان الفاكهة وألوان الشراب، وقد مرّ هذا، والتقدير بفاكهة كثيرة وشراب كثير، والسبب في هذا المعنى أن ديار العرب حارة قليلة الفواكه والأشربة، فبيّن الله تعالى أن في الجنة تكون الفواكه كثيرة، وكذا الشراب لا كالفواكه والشراب في الدنيا.

ولما بيّن الله تعالى أمر المسكن، وأمر المأكول والمشروب، ذكر عقيبه أمر المنكوح، فقال: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ عن غيرهم، مقصورات [القلب][١٢٢٧] على محبتهم.

---

[١٢٢٧] في الأصل (الطلب)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٠٢.

وقوله: ﴿أَتْرَابٌ﴾ يعني كون الجواري أتراباً، ويحتمل كونهن أتراباً للأزواج، والسبب في اعتبار هذه الصفة، [أنهن لما تشابهن][١٢٢٨] في السنّ [والخلية][١٢٢٩] يكون الميل إليهن على السويّة.

ثم قال تعالى: ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ يعني أن الله تعالى وعد المتقين بالثواب الموصوف بهذه الصفة، ثم إنه تعالى أخبر عن دوام هذا الثواب فقال: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾.

﴿هَـٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (٥٦) هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ (٥٩) قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ (٦١) وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ (٦٣) إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ اعلم أنه تعالى لما وصف ثواب المتقين، بعده وصف عقاب الظالمين، ليكون الوعيد مذكوراً عقيب الوعد، والترهيب عقيب الترغيب.

واعلم أنه تعالى ذكر من أحوال أهل النار أنواعاً: فالأول: مرجعهم ومآبهم، فقال: ﴿هَـٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾. وهذا في مقابلة: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَئَابٍ﴾ فبيّن تعالى أن حال الطاغين مضادة لحال المتقين. واختلفوا في المراد بالطاغين، فأكثر المفسرين حملوه على

---

[١٢٢٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٠٢.

[١٢٢٩] في الأصل (والجبلة)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٠٢.

الكفار، وقال بعضهم: إنه محمول على أصحاب الكبائر كانوا كفاراً أو لم يكونوا. واحتج الأولون بوجوه: الأول: أن قوله: ﴿لَشَرَّ مَئَابٍ﴾ يقتضي أن يكون مآبهم شراً من مآب غيرهم، وذلك لا يليق إلا بالكفار. الثاني: أنه تعالى حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ وذلك لا يليق إلا بالكفار، لأن الفاسق لا يتخذ المؤمن سخريا. الثالث: أنه اسم ذم، والاسم المطلق محمول على الكامل، والكامل في الطغيان هو الكافر، وحجة البعض قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ (٦) أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[العلق:٦-٧] وهذا يدل على أن الوصف بالطغيان قد يحصل في حق صاحب الكبيرة، لأن كل من تجاوز عن تكاليف الله تعالى وتعداها فقد طغى، وإذا عرفت هذا فنقول: قال ابن عباس: المعنى أن الذين طغوا علي فكذبوا رسلي لهم شر مآب، أي شر مرجع ومصير.

ثم قال: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ والمعنى أنه تعالى لما حكى بأن الطاغين لهم شر مآب، فسّره بـــ: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾، ثم قال: ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾، وهو كقوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾[الأعراف:٤١].

ثم قال تعالى: ﴿هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ وفيه تقديم وتأخير، هذا حميم وغساق فليذوقوه. ويقال: التقدير جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه، ثم يبتدىء فيقول: حميم وغساق. أي منه حميم وغساق، الغساق صديد أهل النار، ويقال: الغساق

المنتن. حكى الزجاج: لو قطرت منه قطرة بالمغرب لأنتن أهل المشرق. قال كعب: الغساق عين في جهنم يسيل إليها [سُمُّ][١٢٣٠] كل ذات حُمَة من عقرب وحية.

ثم قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾، ﴿وَأُخرُ﴾ بضم الهمزة يعني مذوقات أخر من شكل هذا المذوق، أي من مثله في الشدة والفظاعة. أزواج يعني أجناس. وبفتح الهمزة يعني عذابا آخر، أي مذوقا آخر، وأزواج صفة، لأنه يجوز أن يكون صفة للثلاثة وهم حميم وغساق وآخر من شكله.

واعلم أنه تعالى لما وصف مسكن الطاغين ومأكولهم، حكى أحوالهم مع الذين كانوا أحبابا لهم في الدنيا أولا، ثم مع الذين كانوا أعداء لهم في الدنيا ثانياً. أما الأول: فهو قوله: ﴿هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ واعلم أن هذه الحكايات كلام رؤساء أهل النار، يقول بعضهم لبعض بدليل ما حكى بعد هذا من أقوال الأتباع وهو قوله: ﴿قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾. وقيل إن قوله: ﴿هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾، قوله: ﴿مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم. وقوله: ﴿لاَ مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾ كلام الرؤساء. ومعنى اقتحم معكم النار، أي دخل في صحبتكم.

وقوله: ﴿لاَ مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ دعاء منهم على أتباعهم. وقولهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ يريدون أن الدعاء الذي دعوتم به علينا أيها الرؤساء أنتم أحق به، وعللوا ذلك بقولهم: ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ والضمير للعذاب. ثم قال الأتباع: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا

---

[١٢٣٠] سقط من الأصل، وكتبتها من مفاتيح الغيب، ٢٦/٤٠٤.

فِي ٱلنَّارِ﴾ أي مضاعفاً. ونظيره قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾[الأعراف:٣٨]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ (٦٧) رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[الأحزاب:٦٧-٦٨].

وههنا أخر شرح أحوال الكفار مع الذين كانوا أحباباً لهم في الدنيا، وأما شرح أحوالهم مع الذين كانوا أعداء لهم في الدنيا: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ يعني أن الكفار إذا نظروا في أحوال جهنم فيحنئذ يقولون: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه بهم وسموهم بالأشرار، إما بمعنى الأراذل الذين لا خير فيهم، أو لأنهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشراراً.

قوله: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَارُ﴾ يعني ما لنا لا نراهم حاضرين لأجل أنهم لحقارتهم تركوا، أو لأجل أنهم زاغت عنهم الأبصار. ووقع التعبير عن حقارتهم بقولهم: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾.

قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ واعلم أنه تعالى لما حكى عنهم عند المناظرات قال: إن ذلك الذي حكينا عنهم لا بدّ وأن يتكلموا به، ثم بيّن أن ذلك الذي حكاه عنهم ما هو، فقال: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ وإنما سمى الله تعالى تلك الكلمات تخاصماً لأن قول الرؤساء: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾، وقول الأتباع:﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ من باب الخصومة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلاَّ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلإِ ٱلأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ اعلم أنه تعالى لما حكى في أول السورة أن محمداً ﷺ لما دعا الناس إلى أن الإله واحد، وإلى أنه رسول مبين من عند الله، وإلى أن القول بالقيامة حق، فأولئك الكفار أظهروا السفاهة وقالوا: إنه ساحر كذاب، واستهزؤا بقوله. ثم إنه تعالى ذكر قصص الأنبياء – عليهم السّلام – لوجهين: الأول: ليصير ذلك حاملاً لمحمد ﷺ على التأسي بالأنبياء – عليهم السّلام – في الصبر على سفاهة القوم. والثاني: ليصير ذلك رادعاً للكفار عن الإصرار على الكفر والسفاهة، وداعياً إلى قبول الإيمان. ولما تمم الله تعالى ذلك الطريق أردفه بطريق آخر، وهو شرح نعيم أهل الثواب، وشرح عقاب أهل العقاب. فلما تمم الله تعالى هذا البيان عاد إلى تقرير المطالب المذكورة في أول السورة وهي: تقرير التوحيد، والنبوة، والبعث. فقال: قل يا محمد إنما أنا منذر، ولا بد من الإقرار بأنه ما من إله إلا الله الواحد القهار، فإن الترتيب الصحيح أن تذكر شبهات الخصوم أولاً، ثم تذكر عقيبه الدلائل الدالة على صحة المطلوب، فكذا ههنا أجاب الله عن شبهتهم ونبه على فساد كلماتهم، ثم ذكر عقيبه ما يدل على صحة المطلوب، لأن إزالة ما لا ينبغي مقدمة على إثبات ما ينبغي، ومن نظر في هذا الترتيب اعترف بأن الكلام من أول السورة إلى آخرها قد جاء على أحسن وجوه الترتيب والنظم.

أما قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ مُنذِرٌ﴾ يعني أبلغ إليه أحوال عقاب من أنكر التوحيد، والنبوة، والمعاد، وأحوال ثواب من أقرّ بها، وعقاب من أنكر. وكاستدلاله في أول السورة بأدلة

التوحيد حيث حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا﴾، فكذا ههنا بدأ بتقرير التوحيد فقال: ﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلاَّ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ وفي هذه الكلمة إشارة إلى الدليل على كونه منزهاً عن الشريك والنظير، وبيانه أن الذي يجعل شريكاً له في الإلهية، إما أن يكون موجوداً قادراً على الإطلاق [على التصرف في العالم أولا يكون كذلك، بل يكون جماداً عاجزاً. والأول: باطل، لأنه لو كان شريكه قادراً على الإطلاق][١٢٣١] لم يكن هو قادراً قاهراً، لأن بتقدير أن يريد هو شيئاً ويريد شريكه ضد ذلك الشيء، فيفضي إلى اندفاع كل واحد منهما بالآخر، وحينئذ لا يكون قادراً قاهراً بل كان عاجزاً ضعيفاً، والعاجز لا يصلح للإلهية، فقوله: ﴿إِلاَّ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ إشارة إلى أن كونه قاهراً يدل على كونه واحدا. وأما الثاني: وهو أن يقال إن الذي جعل شريكاً له لا يقدر على شيء ألبتة مثل هذه الأوثان، فهذا أيضاً فاسد، لأن صريح العقل يحكم بأن عبادة الإله القادر القاهر أولى من عبادة جماد لا يسمع، ولا يبصر، ولا يغني عنك شيئاً. فقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلاَّ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ يدل على هذه الدلائل. واعلم أن كونه سبحانه قهاراً مشعر بالترهيب والتخويف، فلما ذكر ذلك أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب، فقال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ﴾ فكونه رباً يشعر بالتربية، والإحسان، والكرم، والجود. وكونه غفاراً يشعر بأن العبد لوأقدم على المعاصي والذنوب، فإنه برحمته يغفر ويرحم. فثبت أن كونه قهارا يشعر بالترهيب، وان كونه غفارا يشعر بالترغيب. وهذا الموجود هو الذي تحب عبادته، لأنه هو الذي يخشى عقابه ويرجى فضله وثوابه.

---

[١٢٣١] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٠٦.

واعلم أنه تعالى لما بيّن ذلك قال: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ وهذا النبأ العظيم يحتمل وجوهاً، فيمكن أن المراد أن القول بأن الإله واحد نبأ عظيم، ويمكن أن يقال المراد أن القول بالنبوة نبأ عظيم، ويمكن أن يكون المراد بالحشر والقيامة نبأ عظيم، ويمكن أن يكون المراد كون القرآن معجزاً وهؤلاء القوم أعرضوا عنه على ما قال: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾، وهذا ترغيب في النظر والاستدلال ومنع عن التقليد، لأن هذه المطالب مطالب شريفة عالية، فإن بتقدير أن يكون الإنسان فيها على الحق كان بأعظم أبواب السعادة، وبتقدير أن يكون الإنسان فيها على الباطل وقع في أعظم أبواب الشقاوة. وكانت هذه المباحث أنباء عظيمة ومطالب هائلة مهيبة، وصريح العقل يوجب على الإنسان أن يأتي فيها بالاحتياط التام وأن لا يكتفي بالمساهلة والمسامحة.

أما قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلإِ ٱلأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ فاعلم أنه تعالى رغب المكلفين بالاحتياط في هذه المسائل الأربعة، وبالغ في ذلك الترغيب من وجوه: الأول: أن كل واحد منها نبأ عظيم، والنبأ العظيم يجب الاحتياط فيه. والثاني: أن الملأ الأعلى اختصموا، وأحسن ما قيل فيه أنه تعالى لما قال: ﴿إِنّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدّسُ لَكَ قَالَ إِنّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٣٠] والمعنى أنهم قالوا: أي فائدة في خلق البشر مع أنهم يشتغلون بقضاء الشهوة، وهو المراد من قوله: ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾. وبإمضاء الغضب وهو المراد من قوله: ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبّحُ بِحَمْدِكَ﴾ فقال سبحانه: ﴿إِنّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ وتقرير هذا الجواب – والله أعلم – أن يقال: إن المخلوقات بحسب القسمة العقلية على أقسام أربعة:

أحدها: الذين حصل فيهم الحس والحركة، ولم يحصل العلم والحكمة وهي البهائم. وثانيها: الأشياء الخالية عن القسمين، وهي الجمادات. وثالثها: الذي حصل له العقل والحكمة وهو الملائكة. وبقي في التقسيم قسم رابع: وهو الذي حصل فيه الأمران وهو الإنسان، والمقصود من تخليق الإنسان لا الجهل والتقليد والتكبر والتمرد فإن كل ذلك صفات البهائم، بل المقصود من تخليقه ظهور العلم والحكمة والطاعة، فقوله: ﴿إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن هذا النوع من المخلوقات، وإن حصلت فيه الشهوة الداعية إلى الفساد، والغضب الحامل له على سفك الدماء، لكن حصل فيه العقل الذي يدعوه إلى المعرفة، والمحبة، والخدمة. وإذا أجاب أنه تعالى إنما أجاب الملائكة بهذا الجواب وجب على الإنسان أن يسعى في تحصيل هذه الصفات، وأن يجتهد في اكتسابها، وأن يحترز عن طريقة الجهل، والتقليد، والتمرد، والتكبر. وإذا كان كذلك فكل من وقف على كيفية هذه الواقعة صار قويا عليها داعياً له إلى الجدّ والاجتهاد في اكتساب المعارف الحقة، والأخلاق الفاضلة، زاجراً له عن أضدادها ومقابلاتها، فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذا الكلام في هذا المقام.

ولما أمر الله تعالى محمداً ﷺ أن يذكر هذا الكلام على سبيل الرمز، أمره أن يقول: ﴿إِن يُوحَىٰ إِلَىَّ إِلاَّ أَنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يعني أنا ما عرفت هذه المخاصمة إلا بالوحي، وإنما أوحى الله تعالى إليّ هذه القصة لأنذركم، ولتصير هذه القصة حاملة لكم على الإخلاص في الطاعة والاحتراز عن الجهل والتقليد.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ

إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٧٤) قَالَ يَٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ اعلم أن المقصود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد والكبر، وذلك لأن إبليس إنما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر، فالله تعالى ذكر هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجراً لهم عن هاتين الخصلتين المذمومتين، والحاصل أنه تعالى رغب المكلفين في النظر والاستدلال، ونهاهم عن الإصرار والتقليد، وذكر في تقريره وجوها:الأول: أنه نبأ عظيم فيجب الاحتياط فيه. والثاني: أن قصة سؤال الملائكة عن الحكمة في تخليق البشر يدل على أن الحكمة الأصلية في تخليق آدم هو المعرفة والطاعة لا الجهل والتكبر. الثالث: أن إبليس إنما خاصم آدم لأجل الحسد والكبر، فيجب على العاقل أن يحترز منه. واعلم أن هذه القصة قد تقدم شرحها في سور كثيرة، فلا فائدة في إعادتها إلا ما لا بد منه.

قوله تعالى: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ لأن البشر شخص جامع للقوة البهيمية والسبعية والشيطانية والملكية،ولما قال: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ فكأنه قال ذلك الشخص المستجمع لتلك الصفات، إنما خلقته من طين، وإنما قال ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ

مِن رُّوحِي﴾ وهذا يدل على أن تخليق البشر لا يتم إلا بأمرين: التسوية أولاً، ثم نفخ الروح ثانياً، لأن الإنسان مركب من جسد ونفس.

أما الجسد فإنه إنما يتولد من المني، والمني إنما يتولد من الأركان الأربعة، ولا بد في حصول التسوية لاعتدال المزاج الذي لأجله يحصل الاستعداد لقبول النفس الناطقة. وأما النفس فإليها الإشارة بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾.

والفاء في قوله: ﴿فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ دل على أنه لما تم نفخ الروح في الجسد، توجه أمر الله عليهم بالسجود، وإما أن المأمور بذلك السجود ملائكة الأرض، أو دخل فيه ملائكة [السماوات][١٢٣٢] مثل: جبريل وميكائيل، والروح الأعظم المذكور في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[النبأ:٣٨]، فقد سبق الكلام ف سورة البقرة وغيرها.

واعلم أن اليد عبارة عن القدرة، تقول العرب: ما لي بهذا الأمر يد. أي قوة وطاقة، قال الله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾[البقرة:٢٣٧]. وقد تطلق ويراد به النعمة، كما قال بعضهم: أيادي فلان في يد فلان ظاهرة. وقال بعضهم: المراد باليدين، النعم الظاهرة والباطنة، أونعم الدين والدنيا.

أما قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ فالمعنى أستكبرت الآن أم كنت أبداً من المتكبرين العالين؟ فأجاب إبليس بقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْه خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ أي لو كنت مساوياً له في الشرف لكان يقبح أمري بسجودي له، فكيف وأنا خير منه؟ ثم

---

[١٢٣٢] سقط من الأصل، وكتبتها من مفاتيح الغيب،٢٦/٤١٠.

بيّن كونه خيراً منه بأن أصله من النار، والنار أشرف من الطين، ومن كان أصله خيراً من أصله فهو خير منه. فلما أتى إبليس بقياسه الفاسد، ولفساده قد تقدم الكلام في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

واعلم أن إبليس لما صار ملعوناً قال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِى إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، قيل: إنما طلب الإنظار إلى يوم البعث لأجل أن يتخلص من الموت، لأنه إذا نظر إلى يوم البعث لم يمت قبل يوم البعث، فحينئذ يتخلص من الموت، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ ومعناه إنك من المنظرين إلى يوم يعلمه الله ولا يعلمه أحد سواه.

فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ وهو قسم بعزة الله وسلطانه، ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وفيه فوائد: الأولى: قيل: غرض إبليس من هذا الاستثناء أن لا يقع في كلامه الكذب، لأنه لو لم يذكر هذا الاستثناء وادعى أنه يغوي الكل، لكان يظهر كذبه حين يعجز عن إغواء عباد الله الصالحين، فكأن إبليس قال: إنما ذكرت هذا الاستثناء لئلا يقع الكذب في هذا الكلام، وعن هذا يقال: إن الكذب شيء يستنكف منه إبليس، فكيف يليق بالمسلم؟.

ولما ذكر إبليس هذا الكلام، قال الله تعالى: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وقد سبق الكلام في نفسيره وقراءاته.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ اعلم أنه تعالى ختم هذه السورة بهذه الخاتمة الشريفة،

وذلك لأنه تعالى ذكر طرقاً كثيرة دالة على وجوب الاحتياط في طلب الدين، ثم قال عند الختم: هذا الذي أدعوالناس إليه يجب أن ينظر في حال الدعوة ليظهر أنه حق أو باطل. أما الداعي فأنا لا أسألكم على هذه الدعوة أجراً ومالاً، ومن الظاهر أن الكذاب لا ينقطع طمعه عن طلب المال ألبتة، وكان من الظاهر أنه ﷺ كان بعيداً عن الدنيا عديم الرغبة فيها. وأما كيفية الدعوة فقال: ﴿وَمَا أَنَآ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾، والمفسرون ذكروا وجوهاً، والذي يغلب على الظن أن المراد أن هذا الذي أدعوكم إليه ليس يحتاج في معرفة صحته إلى التكلفات الكثيرة، بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته، فإني أدعوكم إلى الإقرار بوجود الله أولاً، ثم أدعوكم ثانياً إلى تنزيهه وتقديسه عن كل ما لا يليق به، ثم أدعوكم ثالثاً إلى الإقرار بكونه موصوفاً بكمال العلم والقدرة والحكمة والرحمة، ثم أدعوكم رابعاً إلى الإقرار بكونه منزهاً عن الشركاء والأضداد، ثم أدعوكم خامساً إلى الامتناع عن عبادة هذه الأوثان، التي هي جماد خسيسة لا منفعة في عبادتها ولا مضرة في الإعراض عنها، ثم أدعوكم سادسا إلى تعظيم الأرواح الطاهرة المقدسة وهم الملائكة والأنبياء، ثم أدعوكم سابعا إلى الإقرار بالبعث والقيامة: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾[النجم:٣١]، ثم أدعوكم ثامناً إلى الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة، فهذه الأصول الثمانية، هي الأصول القوية المعتبرة في دين محمد ﷺ وبداية العقول، وأوائل الأفكار شاهدة بصحة هذه الأصول الثمانية، فثبت أني ليس من المتكلفين في الشريعة التي أدعوالخلق إليها، بل كل عقل سليم وطبع مستقيم، فإنه يشهد بصحتها وجلالتها، وبعدها عن الباطل والفساد، وهو المراد من قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

ثم قال: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ والمعنى أنكم أصررتم على الجهل والتقليد، وأبيتم قبول هذه البينات التي قدرنا، فستعلمون بعد حين أنكم كنتم مصيبين في هذا الإعراض أو مخطئين"[١٢٣٣].

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ "يشير إلى أن كمالية العبودية إنما تحصل في عبادنا المخلصين إذا أخلصناهم من غلّ بشريتهم، وغشيّ أنانيتهم. ﴿بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ أي بفضلة خالصة تجعل القلب سليما من ذكر الدار. يعني تقطع تعلقه عن الدارين، إذ لم يعملوا على ملاحظة حظوظهما، بل تجردوا لنا بقلوبهم عن ذكر الدارين.

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ(٤٧) وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ﴾ واعتبر إذ أسلم نفسه للذبح في سبيل الله. ﴿وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ قيل إنهما كانا أخوين. ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ تكفل الله تعالى بعمل رجل صالح [مات في وقته][١٢٣٤]. ﴿هَـٰذَا ذِكْرٌ﴾ أي القرآن فيه ذكر ما كان، وذكر الأنبياء وقصصهم، ليُعتبر بهم ويُقتدى بسيَرهم، فإنهم كل من الأخيار للنبوة والرسالة. ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين يتقون بالله عمَّا سواه. ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ في الحضرة وعالم الوحدة.

---

[١٢٣٣] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٠٠-٤١٧.

[١٢٣٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٩٤.

وبقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ (٥٠) مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾، يشير إلى أن من الجنات بهذه الصفات مفتوحة الأبواب لهم، وأبواب الجنة بعضها مفتوحة إلى الخلق، وبعضها مفتوحة إلى الخالق، لا يغلق عليهم واحدة منها، فيدخلون من باب الخلق، وينتفعون بما أعدّ لهم فيها، ثم يخرجون من باب الخالق ويتزلون ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[القمر:٥٥]، لا يقيدهم نعيم الجنة ليكونوا من أهل الجنة، كما لم يقيدهم نعيم الدنيا ليكونوا من أهل الدنيا، بل أخلصهم الله من حبس الدار، ومتعهم بتزل المتزلين، وجعلهم من أهل الله وخاصته، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ أي هذا ما رزقنا من الأزل فلا نفاذ إلى الأبد.

ثم أخبر عن الطاغين الباغين بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾، يشير إلى أن لأهل الطغيان الذين أعرضوا عن الحق تعالى لشر مرجع ﴿جَهَنَّمَ﴾ البعد والطرد. ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يوم القيامة، ولكنهم اليوم مهدوا لأنفسهم ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (٥٦) هَٰذَا﴾ أي هذا الذي مهدوا اليوم، ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ يوم القيامة. يعني قد حصّلوا اليوم معنى صورته. ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ يوم القيامة.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ أي فنون آخر من مثل ذلك العذاب، يشير به إلى أن لكل نوع من المعاصي نوعاً آخر من العذاب، كما أن لكل بذر تزرعون يكون له ثمرة تناسب ذلك البذر.

كما أخبر عن حال الأتباع والمتبوعين: ﴿هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ أي يسأل الخزنة للمتبوعين، هل دخل الأتباع معكم مرجعكم ومآبكم؟ فإنهم زرعوا ما زرعتم، هل يحصدون معكم ما تحصدون؟ قال المتبوعون: ﴿لاَ مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ يعني بالأتباع لأنا نعذّب بما عملنا، وبما عمل الأتباع باستماعنا إياهم. ﴿إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾ معنا، ﴿قَالُواْ﴾ الأتباع: ﴿بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ بأمركم ما وافقناكم. ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ قرارنا وقراركم.

وبقوله: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾، يشير إلى أن للمتبوعين ضعف عذاب الأتباع، عذاب ضلالة أنفسهم، وعذاب إضلال المتابعين لهم، كما قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[النحل:٢٥].

وبقوله: ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لاَ نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ ٱلأَشْرَارِ﴾، يشير إلى تخاصم أهل النار مع أنفسهم، يسخرون بأنفسهم كما كانوا يسخرون بالمؤمنين، فيقولون: ﴿مَا لَنَا لاَ نَرَىٰ رِجَالًا﴾ في جهنم، ﴿كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ ٱلأَشْرَارِ﴾ وهذا مقام الأشرار.

﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾[١٢٣٥] وما كانوا من الأشرار، ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلأَبْصَارُ﴾، فلسنا نراهم معنا وهم ههنا. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ التخاصم، ﴿لَحَقٌّ﴾ مع أنفسهم، ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ من الندامة، حين لا ينفعهم التخاصم ولا الندامة.

---

[١٢٣٥] في الأصل (اتخذنا)، وهو خطأ في كتابة الآية.

وبقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰـهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾، يشير إلى أنه ليس للعباد ملجأ ولا مفرٌّ إلا إله واحد لا شريك له، ليفرَّ العباد من الله إلى شريكه، وهو قهار يقهر العباد بذنوبهم ومعاصيهم، وليس النبي ﷺ إلا مخوّفهم ومحذرهم من الكفر والمعاصي، ومبشرهم على الإيمان والطاعة، وإن الله ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ﴾ بالانتقام من المجرمين، ﴿ٱلْغَفَّارُ﴾ لمن تاب وآمن وعمل صالحًا.

ثم أخبر عن تعظيم النبأ العظيم بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾، لضلالتكم، وغاية جهالتكم.

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ فيما أخبرتكم من اختصامهم لو لم يكن لي نبوة. ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي ما يوحى إليّ، ﴿إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، ظاهر النبوة بالدلائل الواضحة منها.

قوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ تسوية تصلح لنفخ الروح الخاص المضاف إلى الحضرة. ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ لاستحقاقه الخلافة، ومسجودية الملائكة.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ لآدم خلافة عن الحقّ تعالى، إذا كان متجلياً فيه، فوقعت هيبته على الملائكة فسجدوا له. ولما كان إبليس أعوراً فما رأى آثار أنوار التجلي على مشاهدة آدم استكبر، كما قال: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وبقوله: ﴿قَالَ يَآ إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، يشير إلى استحقاق [آدم][١٢٣٦] لمسجودية الملائكة [باختصاصه][١٢٣٧] في الخلقة بيديه عن سائر المخلوقات، ويشير بيديه إلى صفتي اللطف والقهر، وما من صفة إلا [وهي إما][١٢٣٨] من قبيل اللطف، وإما من قبيل القهر. وما من مخلوق إلا وهومُظهرٌ [إما][١٢٣٩] صفة اللطف، وإما مُظهرٌ صفة القهر، كما أن المَلَكَ مُظهرٌ صفة لطف الحق، والشيطان مُظهرٌ صفة قهر الحق تعالى، إلا الآدمي فإنه خلق مُظهر كلتي صفتي اللطف والقهر. فالعالم بما فيه بعضه مرآة صفات لطفه، وبعضه مرآة صفات قهره، والآدمي مرآة صفات ذاته وصفاته تعالى وتقدس كما قال:﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[فصلت:٥٣].

وبقوله: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، يشير إلى عزة آدم وكرامته بأن يكون مستحقاً لسجود الملائكة ولم يكن [لأحد][١٢٤٠] منهم أن يستكبر من سجوده، وإن استكبر يدعي الخيرية [عليه يلعنه الله، ويخرجه عما يكون فيه من المقام والمنزلة][١٢٤١].

---

[١٢٣٦] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٩٧.

[١٢٣٧] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٩٧.

[١٢٣٨] في الأصل (وهما)، وصححتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٩٧.

[١٢٣٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٩٧.

[١٢٤٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٩٧.

[١٢٤١] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٩٧.

وبقوله قال: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾، يشير إلى أن من أبعده الحق وطرده، قلب عليه أحواله حتى تجر إلى نفسه أسباب الشقاوة، كما دعا ربه وسأله الإنظار من كمال شقاوته، ليزداد إلى يوم القيامة في سبب عقوبته، فأنظره الله وأجابه إذ سأله بربوبيته، ليعلم أنه كل من سأله باسمه الربّ، فإنه يجيبه كما أجاب إبليس، وكما أجاب آدم - عليه السّلام - إذ قال:﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[الأعراف:٢٣]، فأجاب، وتاب، وهدى.

ثم إبليس لتمام شقاوته قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، ولو عرف عزّته تعالى لما أقسم بها على مخالفته، ثم عن عجزه وغلبة عباده.

قال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ في عبوديتك. ولما كان تجاسره في مخاطبة الحق، حيث أصرّ على الخلاف وأقسم، أقبح وأولى في استحقاق اللعنة من امتناعه [للسجود][١٢٤٢] لآدم، ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وبقوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾، يشير إلى أن من شرط العبودية الخالصة أن لا يشوب عليها شيء. ﴿وَمَا أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾، من حيث إني ما جئتكم باختياري دون أن أرسلت [إليكم][١٢٤٣].

---

[١٢٤٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٩٨.

[١٢٤٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٩٨.

﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ يعني الذي جئت به من الرسالة ما هو إلا شرف، وذكر باقٍ لأهل العلم، لأني ما أرسلت إلا رحمة للعالمين.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ أي بعدما استمرت شريعتي بالعلماء بالله من أمتي الذين هم ورثتي، والخلفاء الراشدين من بعدي، والأئمة المهديين لأمتي، والمشايخ السالكين لخواص الطالبين [في متابعتي][١٢٤٤]، فإن الحقّ لا يخفى والباطل لا يدوم"[١٢٤٥]. والله أعلم بسرائر الأمور.

---

[١٢٤٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *التأويلات النجمية*، ٥/١٩٨.

[١٢٤٥] *التأويلات النجمية*، ٥/١٩٣-١٩٨.

## ٦.٢ سورة الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

"بسم الله الذي خلقنا في بطون أمهاتنا خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث، الرحمن الذي عليه يتوكل المتوكلون، فهو المستعان والمستغاث، الرحيم الذي يورث المؤمن من أرض الجنّة يتبوّأ حيث يشاء وهو خيرميراث. وهذه السورة مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت في المدينة: ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾. وآياتها خمس وسبعون. وقيل:ثلاث. وقيل: اثنتان. الاختلاف في سبع آيات: [﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٣)﴾، [﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (١١)﴾][١٢٤٦]، ﴿مُخْلِصًا لَّهُ دِينِى (١٤)﴾، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧)﴾، ﴿مِنْ هَادٍ (٣٦)﴾[١٢٤٧]، ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ (٢٠)﴾، [﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩)﴾][١٢٤٨][١٢٤٩]. وكلماتها ألف ومائة وتسع وستون. وحروفها أربعة آلاف وسبعمائة وثلاثة وسبعون. وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة أنهما في ذكر القرآن. وانتظام السورتين أنهما في محاجة

---

[١٢٤٦] في الأصل (مخلصين)، وهو خطأ في كتابة الآية. والموضع المختلف فيه هو الموضع الثاني، وهو قوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ (١١)﴾، أما الموضع الأول فأجمع العلماء على عدّه، وهو قوله: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ (٢)﴾. القاضي: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد (ت. ١٤٠٣)، *الفرائد الحسان في عد آي القرآن*، ص:٥٦.

[١٢٤٧] والموضع المختلف فيه هوالموضع الثاني، وهو قوله: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾، أما قوله: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ﴾ فإنه معدود بالإجماع. القاضي: *الفرائد الحسان*، مكتبة الدار – المدينة المنورة، ط (١)، ١٤٠٤هـ، ص: ٥٦.

[١٢٤٨] سقط من الأصل وهي الآية السابعة من الآيات المختلف في عددها، وكتبتها من الجوزي: جمال الدين أبوالفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت. ٥٩٧)، *فنون الأفنان*، ص:٣٠٤. السخاوي: علي بن محمد (ت. ٦٤٣)، *جمال القرّاء وكمال الإقراء*، تحقيق: د. مروان العطيّة – د. محسن خرابة، ص:٣٠٣، ط ١، دار المأمون للتراث – دمشق، ١٩٩٧.

[١٢٤٩] في الأصل تقديم وتأخير في ترتيب الآيات، ولكني أثبتها حسب ترتيبها في القرآن الكريم.

المشركين، ووعد المؤمنين، ووعيد الكافرين"[١٢٥٠]. وروى أُبيّ بن كعب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: "من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله، وأعطاه ثواب الخائفين الذين يخافون الله تعالى"[١٢٥١].

﴿تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشاءُ سُبْحانَهُ هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (٤)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ﴾ "أي إنزال القرآن شيئا فشيئا على محمد ﷺ. ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ تنزيل مرفوع بالابتداء، وخبره من الله. ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ العزيز في انتقامه الحكيم. وقال بعضهم: مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا الكتاب تنزيل. وقيل: فيه تقديم وتأخير، تنزيل الكتاب العزيز الحكيم من الله، وهما من صفات القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَٰبٌ﴾[فصلت:٤١]، وقال: ﴿يسٓ (١) وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ﴾[يس:١-٢]. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي إنا أنزلنا إليك جبريل بالكتاب أي القرآن. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾

---

[١٢٥٠] *التيسير في التفسير*،٧/١٣.

[١٢٥١] الثعلبي: *الكشف والبيان*،٧/٢٣-٨. الواحدي: *الوسيط*،٥٦٩/٣، رقم (٧٩٧). الزيلعي: *تخريج أحاديث الكشاف*،٢١٠/٣،٢١١. رقم ١١٢٥. والحديث موضوع.

أي ببيان الحق، وبما يحق الأخذ به. ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ﴾ وحده وأطِعه. ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ أي مصفيا له الاعتقاد والعمل.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ أي المستحق للطاعة الخالصة لايشوبها شرك. وإنما خاطبه وأراد به قومه، يعني وحدوا الله تعالى، ولا تقولوا مع الله شريكاً. ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ يعني له الولاية، والوحدانية. ويقال: له الدين الخالص، فلا يقبل غيره من الأديان، لأن غيره من الأديان ليس هو بخالص سوى دين الإسلام. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني عبدوا من دون الله أوثاناً. ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ يعني يقولون: ما نعبدهم. ﴿إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَىٰ ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ يعني يستغفر لنا، ويقربنا عند الله. ويقال: ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَىٰ ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ يعني منزلة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يعني يقضي بينهم يوم القيامة. ﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين. فمنهم عابد صنم، ومنهم عابد شمس، ومنهم عابد الملائكة، ومنهم عابد الجنّ. ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ يعني إن الله لا يرشد إلى دينه. ﴿مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ يعني في قوله: الملائكة بنات الله، وعيسى ابن الله. ﴿كَفَّارٌ﴾ يعني: كفروا بالله بعبادتهم [إياهم][١٢٥٢]. ويقال: معناه لا يوفق لتوحيده من هو كاذب على الله، حتى يترك كذبه، ويرغب في دين الله.

﴿لَوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ كما قلتم لاصطفى يعني لو جاز أن يتخذ الله ولدا على ما يتوهمون، لاختار مما شاء من يشاء، لا على ما تختارون أنتم وتشاؤن أن الملائكة بنات الله، إذ الفرق في الخلق أن من اتخذ لنفسه شيئا إنما يتخذ من أعز

---

[١٢٥٢] في الأصل (إياد)، وصححتها من بحر العلوم،٣/١٧٧.

الأشياء وأرفعها وأعظمها قدرا لا من أخس الأشياء وأرذلها، وأنتم تختارون البنين على البنات، فكيف اختار هو البنات على البنين؟! ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ سبحانه تنزيها لله تعالى عن هذا، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ الذي لا إله غيره، ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ عباده"[١٢٥٣].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (١) إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾، "اعلم أن الآيات كثيرة تدل [على وصف القرآن بكونه تنزيلاً، وآيات أخر تدل على كونه منزلاً. أما الأول: فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء:١٩٢]،و][١٢٥٤] منها قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤٢]، ومنها قوله تعالى: ﴿حمٓ (١) تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. وأما الثاني فقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾[الحجر:٩]، وقال: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾[الإسراء:١٠٥][١٢٥٥]. ولفظ (تنزيل) يشعر بأنه تعالى أنزله عليه نجماً على سبيل التدريج، ولفظ الإنزال يشعر بأنه تعالى أنزله عليه دفعة واحدة فكيف الجمع بينهما؟ وذلك أن طريق الجمع أن يقال المعنى: إنا حكمنا

---

[١٢٥٣] *التيسير في التفسير*،١٣/٨-١٠.

[١٢٥٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤١٨.

[١٢٥٥] سقط من الأصل (أنزلناه)، وهو خطأ في كتابة الآية.

حكماً كلياً بأن يوصل إليك هذا الكتاب، وهذا هو الإنزال، ثم أوصلناه نجماً نجماً إليك على سبيل وفق المصالح وهذا هو التنزيل.

وفي قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وجهان: الأول: المراد أنزلنا الكتاب ملتبساً بالحق والصدق والصواب، على معنى كل ما أودعناه فيه من إثبات التوحيد والنبوة والمعاد، وأنواع التكاليف فهو حق وصدق يجب العمل به، والمصير إليه. الثاني: أن يكون المراد إنا أنزلنا الكتاب إليك بناء على دليل حق دل على أن الكتاب نازل من عند الله، وعلى أن الفصحاء عجزوا عن معارضته، ولو لم يكن معجزاً لما عجزوا عن معارضته. ثم قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ اعلم أنه تعالى لما بيّن في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ أن هذا الكتاب يشتمل على الحق والصدق والصواب، أردفه بعض ما فيه من الحق والصدق، وهو أن يشتغل الإنسان بعبادة الله على سبيل الإخلاص [ويتبرأ عن عبادة غير الله تعالى بالكلية، فأما اشتغاله بعبادة الله تعالى على سبيل الإخلاص][١٢٥٦] فهو المراد من قوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا﴾، وأما براءته عن عبادة غير الله فهو المراد من قوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ لأن قوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ﴾ يفيد الحصر، ومعنى الحصر أن يثبت الحكم في المذكور وينتفي عن غير المذكور. ومن الناس من قال أن قوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ المراد شهادة أن لا إله إلا الله، واحتجوا بما روي أن النبي ﷺ قال: "لا إله إلا الله هي حصني، ومن دخل حصني أَمِنَ من عذابي"[١٢٥٧]. وأما الأكثرون فقالوا الآية متناولة لكل ما كلف الله به من الأوامر

---

[١٢٥٦] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤١٩.

[١٢٥٧] السيوطي: *اللآلئ المصنوعة*، ١/١٧٨. الألباني: *سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة*، ٩/٣٧- ٣٨، رقم (٤٠٣٧).

والنواهي. وهذا هو الأولى لأن قوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ﴾ عام. وروي أن امرأة الفرزدق لما قربت وفاتها أوصت أن يصلي الحسن البصري عليها، فلما صلى عليها ودفنت، قال للفرزدق: ما الذي أعددت لهذا الأمر؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، فقال الحسن: هذا العمود فأين الطنب؟ فبيّن بهذا اللفظ أن الخيمة بالعمود لا ينتفع بها إلا مع الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة. قال القاضي: فأما ما يروى عن رسول الله ﷺ قال لمعاذ وأبي الدرادء: "وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر"[١٢٥٨] فإن صح فإنه يجب أن يحمل عليه بشرط التوبة.

وقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ الخالص والمخلص واحد إلا أنه يصف الدين بصفة صاحبه على الإسناد المجازي كقولهم شعر شاعر. واعلم أنه تعالى لما بيّن أن رأس العبادات وسببها الإخلاص في التوحيد، أردفه بذم طريقة المشركين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ، وخبره محذوف وهو (يقولون). واعلم أن الضمير في قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ ضمير للعقلاء فلا يليق بالأصنام. وأنه يبعد أن يعتقد أولئك الكفار في المسيح وعزير والملائكة أن يشفعوا لهم عند الله، فمرادهم أن عبادتهم لها تقربهم إلى الله، ويمكن أن يقال إن العاقل لا يعبد الصنم من حيث إنه خشب أو حجر، وإنما يعتقدونه أنها تماثيل الكواكب، أو تماثيل الأرواح السماوية، أو تماثيل الملائكة، أو تماثيل الأنبياء والصالحين الذين مضوا، ويكون مقصودهم من عبادتها توجب تلك العبادات إلى تلك الأشياء التي جعلوا هذه التماثيل صوراً لها. وحاصل الكلام لعبادة الأصنام أن قالوا:

---

[١٢٥٨] البخاري: كتاب اللّباس، باب الثّياب البيض،٧/١٤٩، رقم (٥٨٢٧). مسلم: كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنّة، ومن مات مشركا دخل النّار،١/٩٥، رقم (٩٤).

إن الإله الأعظم أجلّ من أن يعبده البشر، لكن اللائق بالبشر أن يشتغلوا بعبادة الأكابر من عباد الله مثل الكواكب ومثل الأرواح السماوية، ثم إنها تشتغل بعبادة الإله الأكبر، فهذا هو المراد من قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰ﴾.

واعلم أن الله تعالى لما حكى مذاهبهم أجاب عنها واقتصر على مجرد التهديد فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. واعلم أن الرجل المبطل إذا ذكر مذهباً باطلاً وكان مصراً عليه، فالطريق في علاجه أن يحتال بحيلة توجب زوال ذلك الإصرار عن قلبه، فإذا زال الإصرار عن قلبه فبعد ذلك سمع الدليل الدال على بطلانه، فيكون هذا الطريق أفضى إلى المقصود. والأطباء يقولون: لا بد من تقديم المنضِج على سقي المسهِّل، فإن بتناول المنضج تصير المواد الفاسدة رخوة قابلة للزوال، فإذا سقيته المسهِّل بعد ذلك حصل النقاء التام، فكذلك ههنا سماع التهديد والتخويف يجري مجرى سقي المنضِج أولاً، وإسماع الدليل ثانياً يجري مجرى سقي المسهِّل ثانياً. فهذا هو الفائدة في تقديم هذا التهديد. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ والمراد أن من أصر على الكذب والكفر بقي محروماً عن الهداية، والمراد بهذا الكذب وصفهم لهذه الأصنام بأنها آلهة مستحقة للعبادة مع علمهم بأنها جمادات خسيسة، والعلم الضروري حاصل بأن وصف هذه الأشياء بالإلهية [كذب محض، وأما الكفر فيحتمل أن يكون المراد منه الكفر الراجع إلى الاعتقاد، والأمر ههنا كذلك فإن وصفهم لها بالإلهية][١٢٥٩] كذب، واعتقادهم فيها بالإلهية جهل وكفر.

---

[١٢٥٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٢٢.

ثم قال تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ والمراد من هذا الكلام إقامة الدلائل القاهرة على كونه منزهاً عن الولد، وبيانه من وجوه: الأول: أنه لواتخذ ولداً لما رضي إلا بأكمل الأولاد وهو الابن، فكيف نسبتم إليه البنت؟ الثاني: أنه سبحانه واحد حقيقي، والواحد الحقيقي يمتنع أن يكون له ولد، أما أنه واحد حقيقي فلأنه لو كان مركباً لاحتاج إلى كل واحد من أجزائه وجزؤه غيره، فكان يحتاج إلى غيره والمحتاج إلى الغير ممكن لذاته، والممكن لذاته لا يكون واجب الوجود لذاته، وأما أن الواحد لا يكون له [ولد][١٢٦٠] فلوجوه: الأول: أن الولد عبارة عن جزء من أجزاء الشيء ينفصل عنه، وقد ثبت أن الواحد الحقيقي لا جزء له أصلا، فلا يكون له واحد. والثاني: لا يحصل إلا من الزوج والزوجة، والزوجان لا بدَّ وأن يكونا من جنس واحد، ولو كان له ولد لما كان واحداً بل كانت زوجته من جنسه، وأما أن كونه قهاراً فلا يقهره غيره كان الولد في حقه محالاً، فثبت أن قوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ ألفاظ مشتملة على دلائل قاطعة في نفي الولد عن الله تعالى"[١٢٦١].

[فصل في التفسير الصوفي النظري]

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ "أي هذا تنزيل الكتاب الفرقاني بظهوره عليك من غيب الغيوب. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ وحضرته الواحدية. ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ المحتجب بسترات الجلال في غيبه. ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة الكامنة هناك، البارزة في مراتب التنزيلات. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي إنا أنزلناه

---

[١٢٦٠] في الأصل (واحد)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٢٢.

[١٢٦١] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤١٩-٤٢٢.

بظهور الحق فيكون بعد كمونه. ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ﴾ فخصصه بالعبادة الذاتية. ﴿مُخْلِصًا﴾ ممحضا. ﴿لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ عن شوب الغير بشهود ذاته، ومطالعة تجليات صفاته، وتلاوة كلامه، فيكون سيرك لله، ودينك لله، وفطرتك لله.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ عن شوب الغير، فلا ذات لك، ولا صفة، ولا فعل، ولا دين، وإلا لما خلص الدين بالحقيقة فلا يكون لله. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ أي الذين احتجبوا بالكثرة عن الوحدة، واتخذوا الغير وليا بالمحبة للتقرب والتوسل به إلى الله تعالى. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ عند حشر معبوداتهم معهم فيما اختلفوا فيه من صفاتهم وأقوالهم وأفعالهم فيقرن كلا مع من يتولاه من عابد ومعبود، ويدخل المبطل النار، كما يدخل المحق الجنة مع المحقين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ إلى النجاة وعالم النور. ﴿مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ لبعده عنه، واحتجابه بظلمة الرذائل وصفات النفس عن النور، وامتناعه عن قبوله. ﴿سُبْحَٰنَهُ﴾ أي: نزه عن المماثلة والمجانسة واصطفاء الولد، لكون الوحدة لازمة لذاته، فلا تماثل في الوجود، فكيف في الوجوب؟"[١٢٦٢]. والله أعلم.

﴿خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥) خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ

---

[١٢٦٢] تفسير ابن عربي، ٢/١٨١-١٨٢.

(٦) إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (٧) وَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ ما كانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْداداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ (٨)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن بيان مايدل على توحيده، ويعجز عنه المخلوقون بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني للحق، ولم يخلقهما باطلا لغير شيء. وقيل: بالحق أي بالحكمة، إذ جعل في كل شيء آية عل ربوبيته ووحدانيته. ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ يعني يدور الليل على النهار، ويدور النهار على الليل. ويقال: يعني يسلطه، وهو انتقاص كل واحد من صاحبه. ويقال: يزيد من النهار في الليل، فيكون اللَّيل أطول من النهار، ويزيد من الليل في النهار، فيكون النهار أطول من الليل. ويقال: يكوّر يعني يدخل هذا على هذا. وأصل التكوير اللفّ، والجمع. ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ يعني ذلل ضوء الشمس والقمر، وجعلهما يجريان ويطلعان ويغربان لمنافع العباد. ﴿كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ أي كل واحد من الشمس والقمر يجري في الفلك إلى أن تنقص الدنيا للأجل المسمى. وقيل: الأجل المسمى هو الوقت الذي ينتهي فيه سير الشمس والقمر إلى منازلهما المرتبة بغروبهما وطلوعهما. ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ العزيز بالنقمة لمن لم يتب. الغفار لمن تاب. ويقال: العزيز في ملكه، الغفار بخلقه بتأخر العذاب.

﴿خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني من نفس آدم. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وهي حواء. ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلأَنْعَامِ﴾ يعني وخلق لمنافعكم من البهائم. ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ وهي الإبل، والبقر، والغنم، والأزواج الأصناف، والزوجان ذكر وأنثى، كل فرد زوج، وهي المذكورة في قوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ الآية. ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يعني نطفة، ثم علقة، ثم مضغة حالا من بعد حال. ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ يعني ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، وهو الذي يكون فيه الولد فيخرج بعد ما يخرج الولد. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ يعني الذي خلق هذه الأشياء هو ربكم. ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ لآ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ يعني من أين تكذبون على الله؟ ومن أين تعدل عنه إلى غيره بعد ما علموا أنه خالق هذه الأشياء؟.

﴿إِنْ تَكْفُرُواْ﴾ يعني إن تجحدوا وحدانيته. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ عَنْكُمْ﴾ يعني عن إقراركم، وعبادتكم. ﴿وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبادِهِ الْكُفْرَ﴾ يعني ليس يرضى من دينه الكفر. ويقال: ﴿وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ هوما قال لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[الإسراء:٦٥]. ويقال: ﴿وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ﴾ يعني من عباده الكفر. ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ يعني إن تؤمنوا بالله، وتوحدوه، يرضه لكم، لأنه دينه. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ يعني مصيركم في الآخرة. ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ يعني فيخبركم. ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من خير، وشرّ، فيجازيكم به. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بخفيّات القلوب.

[﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾][1263] يعني أصاب الكافر شدة في جسده. ﴿دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ يعني مقبلاً إليه بدعائه. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ يعني إذا أعطاه الخير والنعمة مكان البلاء والشدة. ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ أي ترك الدعاء الذي كان يدعوا من قبل ويتضرع. ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ يعني يصف لله شركاء. ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ لِيَضِلَّ بفتح الياء، يعني ليترك. وبالضم يعني ليصرفهم عن دين الله. ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ يعني عش في الدنيا مع كفرك زمانا قليلاً.﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ يعني من أهل النار. قوله: ﴿تَمَتَّعْ﴾ صيغة أمر، ومعناه آخر كما قيل: إذا لم تستح فاصنع ماشئت، أي صنعت ماشئت. وقيل: هو تهديد كقوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾[فصلت: ٤٠]"[1264].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَاهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ (٥) خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلأَنْعَامِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لآ إِلَٰــهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٦) إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، "اعلم أن الآية المتقدمة دلت على أنه عليم بذات الصدور، ودلت على أنه تعالى

---

[1263] في الأصل (الناس)، وهو خطأ في كتابة الآية.

[1264] *التيسير في التفسير*، ١٣/١١-١٧.

بيّن كونه منزهاً عن الولد بكونه إلهاً واحداً قهاراً أي: كامل القدرة، فلما بين تلك المسألة على هذه الأصول ذكر عقيبها ما يدل على كمال القدرة، وعلى كمال الاستغناء، وأيضاً إنه تعالى طعن في إلهيّة الأصنام فذكر عقيبها الصفات التي باعتبارها تحصل الإلهيّة. واعلم أن الدلائل التي يذكرها الله عقيب هذه الآيات في إثبات إلهيّته، إما أن تكون فلكية أو عنصرية، أما الفلكية فأقسام: أحدها: خلق السموات والأرض، وهذا المعنى يدل على وجود الإله القادر من وجوه كثيرة، وقد مرّ شرحها في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ﴾[الأنعام:١]. وثانيها: اختلاف أحوال الليل والنهار، وهو المراد من قوله: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ وذلك لأن النور والظلمة عسكران مهيبان عظيمان، وفي كل يوم يغلب هذا ذاك، وذاك هذا، وذلك يدل على أن كل واحد منهما [مغلوب مقهور][١٢٦٥]، ولا بد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله سبحانه، والمراد من هذا التكوير أنه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص عن الآخر، والمراد ما ورد في الحديث: نعوذ بالله من الحَوْرِ بعد الكَوْر، أي من الإدبار بعد الإقبال، واعلم أنه تعالى عبّر عن هذا المعنى بقوله: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾، وبقوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾[الأعراف:٥٤]، وبقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾[فاطر:١٣]، وبقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾[الفرقان:٦٢]. الثالث: اعتبار حال الكواكب لا سيما الشمس والقمر، فإن الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل، وأكثر مصالح هذا

---

[١٢٦٥] في الأصل (مغلوبا مقهورا) بالنصب، والصحيح (مغلوب مقهور) بالرفع لأنهما خبر (أنّ).

العالم مربوط بهما. وقوله: ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو يوم القيامة، لا يزالان يجريان إلى هذا اليوم فإذا كان يوم القيامة يطوي السماء كطيّ السِّجِلّ للكتب.

ولما ذكر الله هذه الأنواع الثلاثة من الدلائل الفلكية قال: ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ﴾ والمعنى أن خلق هذه الأجرام العظيمة وإن دل على كونه عزيزاً أي كامل القدرة، إلا أنه غفار عظيم الرحمة والفضل والإحسان، فإنه لما كان الإخبار عن كونه عظيم القدرة يوجب الخوف [والرهبة][١٢٦٦] فكونه غفاراً كثير الرحمة، وهي توجب الرجاء والرغبة، ثم إنه تعالى أتبع ذكر الدلائل الفلكية بذكر الدلائل المأخوذة من هذا العالم الأسفل، فبدأ بذكر الإنسان فقال: ﴿خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ بمعنى أخرج الله تعالى ذرية آدم كالذرّ ثم خلق بعد ذلك حواء. واعلم أنه تعالى لما ذكر الاستدلال بخلقة الإنسان على وجود الصانع، وذكر عقيبه الاستدلال بوجود الحيوان عليه. فقال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْأَنْعَامِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ وهي الإبل، والبقر، والضأن، والمعز، وقد سبق بيان كيفية دلالة هذه الحيوانات على وجود الصانع في قوله: [﴿وَٱلْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾][١٢٦٧] [النحل:٥].

وفي تفسير قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ﴾ وجوه: الأول: أن قضاء الله تعالى وتقديره موصوف بالنزول من السماء لأجل أن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ كل كائن يكون. الثاني: شيء من الحيوان لا يعيش إلا بالنبات، والنبات لا يقوم إلا بالماء، والماء ينزل من السماء فصار التقدير: وكأنه أنزلها. الثالث: أنه تعالى خلقها في الجنة ثم أنزلها إلى الأرض. وقوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ

---

[١٢٦٦] في الأصل (والرحمة)، وصححتها من مفاتيح الغيب،٢٦/٤٢٣.

[١٢٦٧] سقط من الأصل كلمة (فيها)، وهو خطأ في كتابة الآية.

أَزْوَٰجٍ﴾ أي ذكر وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز، والزوج [اسم][١٢٦٨] لكل واحد [معه آخر][١٢٦٩]، فإذا انفرد فهو فرد [منه][١٢٧٠]، قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنثَىٰٓ﴾[القيامة:٣٩].

ثم قال: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ واعلم أنه تعالى ذكر تخليق الناس من شخص واحد وهو آدم، أردفه بتخليق الأنعام، وإنما [خصها][١٢٧١] بالذكر لأنها أشرف الحيوانات بعد الإنسان، ثم ذكر عقيب ذكرهما حالة مشتركة بين الإنسان وبين الأنعام وهي كونها مخلوقة في بطون أمهاتها. وقوله: ﴿خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ وقد تقدم الكلام فيه. وقوله: ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ وقد مرّ، ووجه الاستدلال بهذه الأحوال في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾.

واعلم أنه تعالى لما شرح هذه الدلائل ووصفها قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: ذلك الشيء [الذي][١٢٧٢] عرفتم عجائب أفعاله هو الله ربكم. ثم قال: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ وهذا يفيد الحصر، أي له المُلك لا لغيره، ولما ثبت أنه لا ملك إلا له، وجب القول بأنه ﴿لآ إِلَٰــهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لأنه لو ثبت إله آخر، فذلك الإله إما أن يكون له ملك أولا يكون له ملك، فإن كان له ملك فحينئذ يكون كل واحد منهما مالكاً قادراً ويجري بينهما التمانع، كما ثبت في قوله

---

[١٢٦٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٢٤.

[١٢٦٩] في الأصل (بمعنى آخر)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٢٤.

[١٢٧٠] في الأصل (وتر)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٢٤.

[١٢٧١] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٢٤.

[١٢٧٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٢٤.

تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلاَّ ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢] وذلك محال، وإن لم يكن للثاني شيء من القدرة والمُلك فيكون ناقصاً ولا يصلح للإلهيّة، فثبت أنه لما دل الدليل على أنه لا ملك إلا الله، وجب أن يقال لا إله للعالمين ولا معبود للخلائق أجمعين إلا الله الأحد الحق الصمد، ثم اعلم أنه سبحانه لما بيّن بهذه الدلائل كمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته، رتب عليه طريقة المشركين والضالين من وجوه: الأول: قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ وقد مرّ تفسيره.

ثم قال: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ والمعنى أن الله تعالى ما كلف المكلفين ليجرّ إلى نفسه منفعة أوليدفع عن نفسه مضرة، وذلك لأنه تعالى غني على الإطلاق، ويمتنع في حقه جرّ المنفعة ودفع المضرة، وإنما قلنا إنه غني على الإطلاق لوجوه: الأول: أنه واجب الوجود لذاته وواجب الوجود في صفاته، ومن كان كذلك كان غنياً على الإطلاق. الثاني: أنه لو كان محتاجاً لكانت تلك الحاجة إما قديمة وإما حادثة. الأول باطل وإلا لتقرر أن يخلق في الأزل ما كان محتاجاً إليه وذلك محال. والثاني باطل لأن الحاجة نقصان، والحكيم لا يدعوه الداعي إلى تحصيل النقصان لنفسه. ثم قال بعده: ﴿وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ يعني وإن كان لا ينفعه إيمانكم، ولا يضره [كفران][١٢٧٣] إلا أنه لا يرضى الكفر، ويقال: معناه لا يرضى للمؤمنين الكفر، وذلك لا يضره. ثم قال تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ والمراد أنه لما بيّن أنه لا يرضى الكفر بيّن أنه يرضى الشكر، والشكر حال مركب من قول واعتقاد وعمل. أما [القول][١٢٧٤] فهو الإقرار بحصول النعمة، وأما الاعتقاد فهو اعتقاد صدور النعمة من ذلك

---

[١٢٧٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٢٥.

[١٢٧٤] في الأصل (الإقرار)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٢٦.

المنعم. ثم قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ هذا يدل على أنه تعالى لا يعذب أحداً على فعل غيره. ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ﴾ واعلم أنا ذكرنا أن أهم المطالب للإنسان أن يعرف خالقه بقدر الإمكان، وأن يعرف ما ينفعه وما يضره في هذه الحياة الدنيوية، وأن يعرف أحواله بعد الموت، ففي هذه الآية ذكر الدلائل الكثيرة من العالم الأعلى والعالم الأسفل على كمال قدرة الصانع وعلمه وحكمه، ثم إنه أتبعه بأن أمره بالشكر ونهاه عن الكفر، ثم بيّن أحوال مابعد الموت بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهذا تهديد للعاصي وبشارة للمطيع، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ كالعلة لما سبق، لأنه عالم بجميع المعلومات، فيعلم ما في قلوبكم من الدواعي والصوارف"[١٢٧٥]، قال ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أقوالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[١٢٧٦].

قوله تعالى: [﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ النَّارِ﴾][١٢٧٧] ، "واعلم أنه تعالى لما بيّن فساد القول بالشرك، وبيّن أن الله تعالى هو الذي يجب أن يُعبد، بيّن في هذه الآية أن طريقة هؤلاء الكفار الذين يعبدون الأصنام متناقضة، وذلك لأنهم إذا مسّهم نوع من أنواع الضر لم يرجعوا في طلب دفعه إلا إلى الله، وإذا زال ذلك الضر عنهم رجعوا إلى عبادة الأصنام، ومعلوم أنهم إنما رجعوا إلى الله تعالى عند حصول

---

[١٢٧٥] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٢٣-٤٢٥.

[١٢٧٦] مسلم: كتاب البِرِّ والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، ٤/١٩٨٧، رقم (٢٥٦٤)، بلفظ: "إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ...".

[١٢٧٧] في الأصل (الناس) بدلا عن (الإنسان)، و(دعوا) بدلا عن (دعا)، وهو خطأ في كتابة الآية.

الضر، لأنه هو القادر على إيصال الخير ودفع الضر، وإذا عرفوا أن الأمر كذلك في بعض الأحوال كان الواجب عليهم أن يعترفوا به في كل الأحوال، فثبت أن طريقتهم في هذا الباب متناقضة.

قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَٰنَ﴾ والمراد بالإنسان أقوام معينون مثل عتبة بن ربيعة وغيره. وقيل: المراد به الكافر الذي تقدم ذكره. والمراد بالضر جميع المكاره، سواء كان في جسمه أو في ماله أو في أهله وولده. وقوله: ﴿دَعَا رَبَّهُۥ﴾ أي ناداه. وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ وقد تقدم معناه. ثم قال تعالى: ﴿نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ أي نسي ربه الذي كان يتضرع إليه، و(ما) بمعنى (من)، كقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنثَىٰ﴾[الليل:٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[الكافرون:٣]، وقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[النساء:٣]. وقيل: نسي الضر الذي كان يدعوالله إلى كشفه. ويحتمل أن يكون المراد أنه نسي أن لا يفزع، ولا إله سواه فعاد إلى اتخاذ الشركاء مع الله. ثم قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ يعني أنه لا يقتصر في ذلك على أن يضل نفسه، بل يدعو غيره إما بفعله أو قوله إلى أن يشارك ذلك. واللام في قوله: ﴿لِيُضِلَّ﴾ لام العاقبة، لقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص:٨]، ولما ذكر الله تعالى عنهم هذا الفعل المتناقض هددهم فقال: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ وليس المراد منه الأمر بل الزجر، وأن يعرف قلة تمتعه في الدنيا، ثم يكون مصيره إلى النار"[١٢٧٨].

---

[١٢٧٨] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٢٧-٤٢٨.

[فصل في التفسير الصوفي النظري]

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ﴾ "بظهوره في مظاهرها، واحتجابه بصورها، مصرفا للكل بقدرته وفعله. ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ بسلطانه وملكه، فلا ذات ولا صفة ولا فعل لغيره، وذلك دليل وحدانيته. ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القوي الذي يقهر الكل بسطوة قهره. ﴿ٱلْغَفَّارُ﴾ الذي يسترهم بنور ذاته وصفاته.

﴿خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي آدم الحقيقي، أي النفس الكلية التي تتشعب عنها النفوس الجزئية. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ النفس الحيوانية. ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلأَنْعَٰمِ﴾ لكون صورها في اللوح المحفوظ ونزول كل ما وجد في عالم الشهادة من عالم الغيب. يخلقكم في أطوار الخلقة ﴿خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ الجسمانية، والنفس النباتية، والحيوانية. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الخالق أي المصور بقدرته، المسخر بملكوته وسلطانه، المنشئ للكثرة عن وحدته بأسمائه وصفاته، المنزل لما قضى وقدر بأفعاله، وهو الذات الموصوفة بجميع صفاته يربّكم بأسمائه. ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ يتصرف فيه بأفعاله. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في الوجود. ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره.

﴿إِن تَكْفُرُوا۟﴾ وتحتجبوا بصفاتكم وذواتكم، فإن الله لا يحتاج إلى ذواتكم وصفاتكم في ظهوره وكماله، لكونها فانية في نفس الأمر ليست شيئا إلا به، فضلا عن احتياجه إليها. ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ﴾ الكفر، أي الاحتجاب، لكونه سبب هلاكهم ووقوعهم في أسر البعد والفراق، ولا يقبلون نوره فيدخلون به الجنات، ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟﴾ برؤية نعمه واستعمالها في

طاعته لتستعدوا لقبول الفيض. يرضى الشكر لكم بتجلي صفاته، لتتصفوا بها، فتبلغوا مقام الرضا، وتدخلوا الجنات"[١٢٧٩]. والله أعلم بسرائر الأمور.

﴿أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ (٩) قُلْ يا عِبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ واسِعَةٌ إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ (١٠) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ (١٥) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبادَهُ يا عِبادِ فَاتَّقُونِ (١٦)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن إطاعة المطيعين، وانقياد المنقادين بقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ وأصل القنوت هو القيام، ولهذا سمي المصلي قانتا، لأنه يكون بالقيام. ومعناه أمَّن هو مصلي كمن لا يكون مصليا؟!"[١٢٨٠]. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم"[١٢٨١]. "يعني المصلي الصائم. قرأ نافع، وابن كثير، وحمزة

---

[١٢٧٩] تفسير ابن عربي، ٢/١٨٢-١٨٣.

[١٢٨٠] بحر العلوم، ٣/١٧٩.

[١٢٨١] سبق تخريجه.

(أمن) بالتخفيف، معناه يا من هو قانت أبشر. ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ يعني ساعات الليل في الصلاة، ساجدا وقائما. ﴿يَحْذَرُ ٱلآخِرَةَ﴾ يعني يخاف عذاب الآخرة. ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ يعني مغفرة الله. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ وهم المؤمنون. ﴿وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ وهم الكفار في الثواب، والعقاب، والطاعة. ويقال: هل يستوي الذين يعلمون يعني يصدقون ما وعد الله في الآخرة من الثواب، والذين لا يعلمون يعني لا يصدقون. ويقال: هل يستوي الجاهل والعالم؟ فكما لا يستوي العالم والجاهل، كذلك لا يستوي المطيع والعاصي. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَـٰبِ﴾ أي إنما ينتفع بهذه المواضع والأمثال من كان له عقل فيتدبر به"[١٢٨٢].

﴿قُلْ يٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ "يعني قل يا محمد، أي خواصِّي، يعني يا أصحابي اتقوا ربكم. يعني واخشوا ربكم في صغير الأمور وكبيرها، واثبتوا على التوحيد، وأطيعوا ولا تعصوا. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ يعني من عمل الطاعة في الدنيا فلهم الجنة في الآخرة. ويقال: شهدوا أن لا إله إلا الله حسنة، فلهم الجنة في الآخرة. ويقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ يعني ثبتوا على إيمانهم فلهم الجنة. ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ قال مقاتل: يعني الجنة واسعة. وقال الكلبي: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ يعني المدينة، فتهاجروا فيها. يعني: انتقلوا إليها، واعملوا لآخرتكم. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعني الذين يصبرون على طاعة الله في الدنيا، جزاؤهم وثوابهم على الله. ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعني بلا عدد، ولا انقطاع. وذلك أنه لما نزل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[الأنعام: ١٦٠]، قال النبيّ

---

[١٢٨٢] بحر العلوم، ٣/١٧٩.

ﷺ: "ربِّ زدْ أُمَّتِي"، فنزل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾[البقرة:٢٦١]، فقال: "ربِّ زدْ أُمَّتِي"، فنزل: [﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافًا كَثِيرَةً﴾[البقرة:٢٤٥] فقال النبيّ ﷺ: "ربِّ زدْ أُمَّتِي"، فنزل][١٢٨٣]: ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ فانتهى رسول الله ﷺ[١٢٨٤]"[١٢٨٥].

"﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ألا تنظر إلى ملة أبيك عبد الله، وملة جدك عبد المطلب، وسادة قومك يعبدون الأصنام؟ فنزل: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ يعني التوحيد. ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يعني أُمِرتُ أن أسبق الأمة إلى الإسلام، لا أنتظر إسلام أحد منهم، ليكون لي شرف السبق وثواب الكل بسبب السبق. ﴿قُلْ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ وعبدت غيره. ﴿عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة. ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ﴾ يعني أعبد الله. ﴿مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ يعني توحيدي. ﴿فَاعْبُدُواْ مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ من الآلهة. لفظه لفظ التخيير، والمراد به التهديد والتخويف، كقوله: ﴿اعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾، وكقوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾. ويقال: قد بيّن ثواب المؤمنين، وعقوبة الكافرين. ثم قال: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ

---

[١٢٨٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *بحر العلوم*،٣/١٨٠.

[١٢٨٤] ابن حبان: *صحيح ابن حبان*،١٠/٥٠٥، رقم (٤٦٤٨). البيهقي: *شعب الإيمان*،٥/٢٥، رقم (٣٠٤٧)، و ٦/١٣٥، رقم (٣٩٧٥). الطبراني: *المعجم الأوسط*،٦/١٠، رقم (٥٦٤٥). الهيثمي: *مجمع الزوائد*،٣/١١٢، رقم (٤٦٢٣). ابن أبي حاتم: *تفسير القرآن العظيم*،٢/٤٦١، رقم (٢٤٣٥). السيوطي: *الدر المنثور*،١/٧٤٧.

[١٢٨٥] *بحر العلوم*،٣/١٨٠.

مِنْ دُونِهِ﴾ وهذا قبل أن يُؤمَرَ بالقتال، فلما أيسوا منه أن يرجع إلى دينهم، قالوا: خسرت، أي خالفت دين آبائك. فقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَٰسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ أي الذين عبدوا غير الله تعالى هم الهالكون أهلكوا أنفسهم وأهليهم. قال مجاهد: خسران النفس هلاكها بالعذاب، وخسران أهليهم أن لا يكون لهم في النار أهل، وقد كان لهم في الدنيا أهل. وقال الحسن: أهليهم الحور العين في الجنة خسروها حيث حرموا بكفرهم. وقيل: خسروا أنفسهم حيث لا يكون لهم نفوس صحيحة ينتفعون بها وأهليهم وإن كانوا كفارا كانوا معهم في النار، وكان ذلك زيادة حسرة ووحشة لا سبب أنس وراحة. ﴿أَلَا ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ أي الظاهر والواضح يعني خسروا أهليهم، وأزواجهم. ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ﴾ يعني أطباقا من نار. ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ يعني مهاداً من نار. يعني تحيط بهم نار جهنم من كل الجهات، وهو كقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[العنكبوت:٥٥]، وكقوله: ﴿لَهُمْ مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾[الأعراف:٤١]. ﴿ذٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ يعني هذا ذكر، ﴿يُخوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ في القرآن، لكي يؤمنوا. ﴿يٰعِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ يعني فوحّدوني، وأطيعوا أمري"[١٢٨٦].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ الَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الْأَلْبَٰبِ﴾، "القنوت القيام،

---

[١٢٨٦] بحر العلوم،٣/١٨٠-١٨١.

القانت القائم بما يجب عليه من الطاعة، ومنه قوله ﷺ: "أفضل الصلاة صلاة القنوت"[١٢٨٧] وهو القيام فيها. ومنه القنوت في الصبح لأنه يدعو قائماً. وعن ابن عمر أنه قال: لا أعلم القنوت إلا قراءة القرآن، وطول القيام، وتلا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾. وعن ابن عباس: القنوت طاعة [الله][١٢٨٨]، لقوله: ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[البقرة: ١١٦] أي مطيعون. وعن قتادة: ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ ساعات الليل أوله وأوسطه وآخره. وفي الحديث تنبيه على فضل قيام الليل وأنه أرجح من قيام النهار، ويؤكده وجوه: الأول: أن عبادة الليل أستر عن العيون فتكون أبعد عن الرياء. الثاني: أن الظلمة تمنع عن الإبصار، ونوم الخلق يمنع من السماع، وإذا صار القلب فارغاً عن الاشتغال بالأحوال الخارجية، عاد إلى المطلوب الأصلي، وهومعرفة الله. والثالث: أن الليل وقت النوم فتركه يكون أشقّ، فيكون الثواب أكثر. والرابع: قوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[المزمل:٦]. وقوله: ﴿سَاجِدًا﴾ حال. وقُرِئَ (ساجد وقائم) على أنه خبر، والواوللجمع بين الصفتين[١٢٨٩].

واعلم أن هذه [الآية][١٢٩٠] دالة على أسرار عجيبة، فأولها بدأ فيها بذكر العمل، وختم فيها بذكر العلم، أما العمل فلكونه قانتاً ساجداً قائماً، وأما العلم فقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ

---

[١٢٨٧] أبو نعيم: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق اهراني الأصبهاني (ت. ٧٦٢هـ)، *المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم*، تحقيق: محمد حسن الشافعي،٢/٣٥٠،٣٥١، رقم (١٧١٩). الزيلعي: *تخريج أحاديث الكشاف*،٣/١٩٩-٢٠٠، رقم (١١١٢). وفي مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أفضل الصلاة طول القنوت،١/٥٢٠، رقم (٧٥٦)، بلفظ: "أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ".

[١٢٨٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٢٨.

[١٢٨٩] وهي قراءة شاذة قرأ بها الضحاك. الزمخشري: *الكشاف*،٤/١١٧. الكرماني: *شواذ القراءات*، ص٤١٣. أبو حيان: *البحر المحيط في التفسير*،٩/١٨٩.

[١٢٩٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٢٨.

يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ وهذا يدل على أن كمال الإنسان محصور في هذين المقصودين، فالعمل هو البداية، والعلم والمكاشفة هو النهاية. واعلم أنه تعالى نبه على أن الانتفاع بالعلم إنما يحصل إذا كان الإنسان مواظباً عليه، فإن القنوت عبارة عن كون الرجل قائماً بما يجب عليه من الطاعة، وذلك يدل على أن العمل إنما يفيد إذا واظب عليه. وقوله: ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ إشارة إلى أصناف الأعمال. وقوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ إشارة إلى أن الإنسان عند المواظبة ينكشف له في أول مقام القهر وهو قوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلآخِرَةَ﴾، ثم بعده مقام الرحمة وهو قوله: ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾، ثم يحصل أنواع المكاشفات وهو المراد بقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾. وإنما قال في مقام الخوف: ﴿يَحْذَرُ ٱلآخِرَةَ﴾ فما أضاف الحذر إلى نفسه، وقال في مقام الرجاء: ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ فأضاف الرجاء إلى نفسه، وذلك يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأليق بحضرة الله. قيل: والمراد من قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ عثمان، لأنه كان يحيي الليل في ركعة واحدة، ويقرأ القرآن في ركعة واحدة. والصحيح أن المراد منه كل من كان موصوفاً بهذه الصفة، فيدخل فيه عثمان، إلا أن الآية غير مقتصرة عليه. واعلم أن في الكلام حذفاً، والتقدير: أمن هو قانت كغيره؟! وإنما حسُن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه، لأنه تعالى ذكر قبل هذه الآية الكافر، وذكر بعدها: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ وتقدير الآية: قل هل يستوي الذين يعلمون وهم الذين صفتهم أنهم يقنتون آناء الليل ساجدين قائمين، والذين لا يعلمون وهم الذين صفتهم أنهم عند البلاء والخوف يوحدون، وعند الراحة والفراغة يشركون؟! فإذا قدرنا هذا التقدير ظهر المراد، وإنما وصف الله الكفار بأنهم لا يعلمون، لأنهم

وإن آتاهم الله آلة العلم، إلا أنهم أعرضوا عن تحصيل العلم، فلهذا السبب جعلهم الله كأنهم ليسوا أولي الألباب من حيث إنهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ وهو تنبيه عظيم على فضيلة العلم، وبالغنا في تقرير هذا العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[البقرة:٣١]، قال صاحب (الكشاف): أراد بالذين يعلمون الذين سبق ذكرهم وهم القانتون، وبالذين لا يعلمون الذين لا يأتون بهذا [العمل][١٢٩١]، كأنه جعل القانتين هم العلماء، وهو تنبيه على أن من لايعمل فهو [غير][١٢٩٢] عالم، وفيه [ازدراء][١٢٩٣] عظيم بالذين يقتنون ثم لا يقنتون بالعمل، ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَـٰبِ﴾ يعني هذا التفاوت الحاصل بين العلماء والجهال لا يعرفه أيضاً إلا أولوا الألباب. قيل لبعض العلماء: إنكم تقولون العلم أفضل من المال. ثم نرى العلماء يجتمعون عند أبواب الملوك، ولا نرى الملوك مجتمعين عند أبواب العلماء. فأجاب العالم بأن هذا أيضاً يدل على فضيلة العلم، لأن العلماء علموا ما في المال من المنافع فطلبوه، والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه"[١٢٩٤].

قوله تعالى: ﴿قُلْ يٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) قُلْ إِنِّىۤ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ

---

[١٢٩١] في الأصل (العلم)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٢٩.

[١٢٩٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٢٩.

[١٢٩٣] في الأصل (جزاء)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٢٩.

[١٢٩٤] *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٢٨-٤٢٩.

مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِى (١٤) فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُمْ مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ (١٥) لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾، "اعلم أنه تعالى لما بيّن نفي المساواة، بين من يعلم وبين من لا يعلم، أتبعه بأن أمر رسوله بأن يخاطب المؤمنين بأنواع من الكلام، النوع الأول: قوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ والمراد أن الله تعالى أمر المؤمنين بأن يضموا إلى الإيمان التقوى، وهذا من أدل الدلائل على أن الإيمان ينفي المعصية. واعلم أنه تعالى لما أمر المؤمنين بالاتقاء بيّن لهم ما في هذا الاتقاء من الفوائد، وقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾، فقوله: ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ يحتمل أن يكون صلة لقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾، ويحتمل أن يكون صلة لقوله: ﴿حَسَنَةٌ﴾، وعلى التقدير الأول: فمعناه للذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة، وهي دخول الجنة، والتنكير في قوله: ﴿حَسَنَةٌ﴾ للتعظيم يعني حسنة لا يصل العقل إلى كُنْهِ كمالها. وأما على تقدير الثاني: فمعناه للذين أحسنوا فلهم في هذه الدنيا حسنة، والقائلون بهذا القول قالوا الحسنة هي الصحة والعافية، والأولى أن تحمل على الثلاثة المذكورة في قوله ﷺ: "ثلاثة ليس لها نهاية: الأمن، والصحة، والكفاية"[١٢٩٥]. ومن الناس من قال: القول الأول

---

[١٢٩٥] لم أجده في كتب الحديث، وإنما هو في تفسير الرازي: *مفاتيح الغيب*، ٤٣٠/٢٦. على أن الإمام الرازي ذكره في موضع آخر بأنه من قول العقلاء، وكذلك هو عند غيره. الرازي: *مفاتيح الغيب*، ٢٧٩/٢٠. أبو حيان: *البحر المحيط في التفسير*، ٦٠٣/٦. النيسابوري: *غرائب القرآن*، ٣١٢/٤.

أولى، ويدل عليه وجوه: الأول: أن التنكير في قوله: ﴿حَسَنَةٌ﴾[يدل][١٢٩٦] على النهاية في الجلالة والرفعة، وذلك لا يليق بأحوال الدنيا، فإنها خسيسة ومنقطعة، وإنما يليق بأحوال الآخرة، فإنها شريفة وآمنة من الانقضاء والانقراض. والثاني: أن ثواب المحسن بالتوحيد والأعمال الصالحة وإنما يحصل في الآخرة، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[غافر:١٧]، وأيضاً فنعمة الدنيا من الصحة والأمن والكفاية فحاصلة للكفار، وأيضاً فحصولها للكافر أكثر وأتم من حصولها للمؤمن"[١٢٩٧]، كما قال ﷺ: "الدنيا سجن المؤمن، وجنّة الكافر"[١٢٩٨]. "وقال تعالى: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾[الزخرف:٣٣]. الثالث: أن قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ يفيد الحصر، بمعنى أنه يفيد أن حسنة هذه الدنيا لا تحصل [إلا][١٢٩٩] للذين أحسنوا، وهذا باطل. أما لو حملنا هذه الحسنة على حسنة الآخرة صح هذا الحصر، وكأن حمله على حسنة الآخرة أولى. ثم قال الله تعالى: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ وفيه قولان: الأول: المراد أنه لا عذر ألبتة للمقصرين في الإحسان، حتى إنهم لا يتمكنون في أوطانهم وبلادهم من التوفر على الإحسان وصرف الهمة إليه، قل لهم فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة، فيتحولون من هذه البلاد إلى بلاد يقدرون فيها على الاشتغال بالعبادات والطاعات، ويقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرهم إلى غير بلادهم، ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم، وطاعة إلى طاعتهم، والمقصود منه

---

[١٢٩٦] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٣٠.

[١٢٩٧] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٣٠.

[١٢٩٨] مسلم: كتاب الزهد والرّقائق، ٤/٢٢٧٢، رقم (٢٩٥٦).

[١٢٩٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٣٠.

الترغيب في الهجرة من مكة إلى المدينة، ومن الصبر على مفارقة الوطن، ونظيره قوله تعالى: ﴿فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾[النساء: ٩٧]. والقول الثاني: قد مرّ في الأول. قوله: ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعني بغير نهاية، لأن كل شيء دخل تحت الحساب فهو متناه، فما لا نهاية له كان خارجاً عن الحساب. وهذا وصف للثواب ووصف آخر وهو أنه تكون منافعه كاملة في نفسه، والعقل ماكان يصل إلى كثرة ذلك الثواب"[١٣٠٠]، قال ﷺ: "إن في الجنة ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[١٣٠١]. "فكل ما يشاهدونه من أنواع الثواب وجدوه أزيد مما تصوروه وتوقعوه، وقوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ محمول على هذا المعنى"[١٣٠٢]. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: "ينصب الله الميزان يوم القيامة، فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون بالموازين، ويؤتى بأهل الحجّ فيوفون بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء لا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر صباً"[١٣٠٣]. "قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل. النوع الثاني: من الأشياء التي أمر الله

---

[١٣٠٠] *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٣٠.

[١٣٠١] ابن حنبل: *المسند*،١٦/٣٩. رقم (٩٩٥٧). وفي مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،٤/٢١٧٤، رقم (٢٨٢٤). والبخاري: باب ماجاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، باب ذكر الملائكة،٤/١١٨، رقم (٣٢٤٤)، بلفظ: "أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ..".

[١٣٠٢] *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٣١.

[١٣٠٣] الثعلبي: *الكشف والبيان*،٢٣/١٢-٢٢. وإسناده ضعيف جدًا، إلا أن آخر الحديث وهي قوله: "حتّى تمنى أهل العافية" إلى آخره فهي ثابتة لورود أحاديث أُخر يعضد بعضها بعضًا. الطبراني: *المعجم الكبير*،١٢/١٨٢، رقم (١٢٨٢٩). أبو نعيم: *حلية الأولياء*،٣/٩١. الزيلعي: *تخريج أحاديث الكشاف*،٣/٢٠٠. رقم (١١١٣). السيوطي: *اللآلئ المصنوعة*،٢/٣٣٣.

رسوله أن يذكرها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ وفي هذا تكليف وهو نوعان: أحدهما: الأمر بالاحتراز عما لا ينبغي. والثاني: الأمر بتحصيل ما ينبغي، وإنما قدم الأمر بإزالة ما لاينبغي فقال: ﴿ٱتَّقُواْ﴾ لأن التقوى هو الاحتراز عما لا ينبغي، ثم ذكر عقيبه الأمر بتحصيل ما ينبغي فقال: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ وفيه معنى آخر، وهو يشتمل على أمرين: أحدهما: الأمر بعبادة الله تعالى. والثاني: كون تلك العبادة خالصة عن شوائب [الشرك][١٣٠٤] الجلي وعن شوائب الشرك الخفي. وقوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ لا شبهة في أن المراد أول من تمسك بالعبادات التي أرسلت بها، وفي هذه الآية فوائد: الأولى: كأنه يقول إني لست من الملوك الجبابرة الذين يأمرون الناس بأشياء وهم لا يفعلونها، بل كل ما أمرتكم به فأنا أول الناس شروعاً فيه، [وأكثرهم مداومة][١٣٠٥] عليه. الثانية: أنه قال: ﴿إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ والعبادة ركنان: عمل القلب، وعمل الجوارح. وعمل القلب أشرف من عمل الجوارح، فقد ذكرتم الأشرف وهو قوله: ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ ثم ذكر عقيبه الأدون وهو عمل الجوارح وهو الإسلام، فإن النبي ﷺ فسر الإسلام في خبر جبريل – عليه السَّلام – بالأعمال الظاهرة، وهو المراد بقوله في هذه الآية: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾. الفائدة الثالثة: في قوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ التنبيه على كونه رسولاً من عند الله واجب الطاعة، لأن أول المسلمين في شرائع الله لا يمكن أن يكون إلا رسول الله، لأن أول من يعرف تلك الشرائع والتكاليف هو الرسول

---

[١٣٠٤] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٣٢.

[١٣٠٥] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٣٢.

المبلغ، ولما بيّن أن ذلك الأمر للوجوب فقال: ﴿قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وفيه فوائد: الأولى: أن الله تعالى أمر محمداً ﷺ أن يجري هذا الكلام على نفسه، والمقصود منه المبالغة في زجر الغير عن المعاصي، لأنه مع جلالة قدرة وشرف نبوته إذا وجب أن يكون خائفاً حذراً عن المعاصي فغيره أولى. الثانية: دلت الآية على أن المرتب على المعصية ليس حصول العقاب بل الخوف من العقاب. الفائدة الثالثة: دلت الآية على أن ظاهر الأمر للوجوب، وذلك لأنه قال في أول الآية: ﴿إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ ثم قال بعده: ﴿إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ فيكون معنى هذا العصيان ترك الأمر الذي تقدم ذكره، وذلك يقتضي أن يكون تارك الأمر عاصياً، والعاصي يترتب عليه الخوف من العقاب، ولا معنى للوجوب إلا ذلك. النوع الثالث: من الأشياء التي أمر الله رسوله أن يذكرها قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِى﴾ والفرق بين قوله: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ وبين هذا الأول؟ إخبار بأنه مأمور من جهة الله بالإتيان بالعبادة، والثانية إخبار بأنه أمر بأن لا يعبد أحداً غير الله، وذلك لأن الأول لا يفيد الحصر، والثانية تفيده. ثم بين كمال الزجر بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ لوقوعها في الهلاك لا يعقل هلاك أعظم منه، ومعنى الخسران على الوجهين قد تقدم في الأول. ولما شرح الله خسرانهم وصف ذلك الخسران بالفظاعة فقال: ﴿أَلاَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ وبيان دلالة هذا اللفظ على غاية المبالغة من وجوه: الأول: أنه تعالى لما وصفهم بالخسران أولا ثم أعاده ثانيا بقوله: ﴿أَلاَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ كان التكرير لأجل التأكيد. الثاني: أنه تعالى ذكر في أول هذه الكلمة حرف (ألا) وهو للتنبيه، وذكر التنبيه في هذا الموضع يدل على التعظيم كأنه قيل إنه بلغ في

العظمة إلى حيث لا تصل عقولكم فتنبهوا لها. الثالث: أن كلمة (هو): في قوله: ﴿هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ تفيد الحصر كأنه قيل كل خسران فإنه يصير في مقابلته كل خسران. الرابع: وصفه بكونه (مبيناً): يدل على التهويل.

ولما شرح الله تعالى أحوال حرمانهم من الربح وبيّن كيفية خسرانهم، بيّن أنهم لم يقتصروا على الحرمان والخسران، بل ضموا إليه استحقاق العذاب العظيم والعقاب الشديد، فقال: ﴿لَهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ والمراد إحاطة النار بهم في جميع الجوانب، ونظيره في الأحوال إحاطة باب الجهل والحرص وسائر [الأخلاق][١٣٠٦] الذميمة بالإنسان.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ وقوله:﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ خبر. وفي قوله: ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ قولان: الأول: التقدير وذلك العذاب المعد للكافر هو الذي يخوف الله به عباده أي المؤمنين. والوجه الثاني: قد سبق الكلام في الأول. وقوله: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ يعني أيها المؤمنون بالغوا في الخوف، والحذر، والتقوى، وإنما كان تخويفا للمؤمنين لأجل أنهم إذا سمعوا أن حال الكفار ماتقدم خافوا فأخلصوا في التوحيد والطاعة"[١٣٠٧].

[فصل في التفسير الصوفي الإشاري]

---

[١٣٠٦] في الأصل (الأخلاص)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٣٤.

[١٣٠٧] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٣٠-٤٣٤.

"قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ مطيع في مقام النفس، وأوقات ظلمة صفاتها ﴿سَاجِدًا﴾ بفناء الأفعال والصفات، ﴿وَقَائِمًا﴾ بالطاعة والانقياد، عند ظهور النفس بظهور النفس بصفاتها وأفعالها. ﴿يَحْذَرُ﴾ عقاب الآخرة ويرجو الرحمة، إذ السالك في مقام النفس لا يخلو عن الخوف والرجاء. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى﴾ أي: لا يستويان، يعني أن المطيع في مقام النفس هو العالم، والكافر هو الجاهل. أما الأول فإن العلم هو الذي رسخ في القلب وتأصل بعروقه في النفس، بحيث لا يمكن صاحبه مخالفته بل سيط باللحم والدم فظهر أثره في الأعضاء لا ينفك شيء منها عن مقتضاه، وأما المرتسم في حيز العقل والتخيل بحيث لايمكن ذهول النفس عنه وعن مقتضاه فليس بعلم إنما هو أمر تصوري وتخيل عارضي لا يلبث بل يزول سريعا. وأما الثاني فظاهر، إذ لو علم لم يحجب بالغير عن الحق. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ ويتعظ بهذا الذكر ﴿أُولُوا۟﴾ العقول الصافية عن قشر التخيل والوهم. وأما المشوبة بالوهم فلا تتذكر ولا تتحقق بهذا العلم.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ﴾ المخصوصين في أهل العناية. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الإيمان العلمي. ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ بمحو صفاتكم. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ أي اتصفوا بالصفات الإلهية. ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ لا يكتنه كنهها وفي الآخرة وهو شهود الوجه الباقي وجماله الكريم. ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ﴾ أي النفس المطمئنة المخصوصة بالله لانقيادها له وقبولها لنوره واطمئنانها إليه، ذات سعة. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ الذين صبروا مع الله في فناء صفاتهم وأفعالهم وسلوكهم فيه وسيرهم في منازل النفس. ﴿أَجْرَهُمْ﴾ من جنات الصفات ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إذ الأجر الموفى بحسب الأعمال في مقام النفس مقدر بالأعمال في جنة النفوس، متناه لكونه من باب الآثار محصورا

في المواد. وأما الذي يوفى بحسب الأخلاق والأحوال فهو غير متناه، لكونه من باب تجليات الصفات في جنة القلب وعالم القدس مجردا عن المواد. ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ عن الالتفات إلى الغير والسير بالنفس. ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ﴾ مقدم ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ الذين أسلموا وجوههم إلى الله تعالى بالفناء فيه، وسابقهم في الصف الأول، سائرا بنور الله، فانيا عن النفس وصفاتها.

﴿أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ بترك الإخلاص والنظر إلى الغير. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ من الاحتجاب والحرمان والبعد. ﴿قُلِ ٱللَّهَ﴾ أخصّ بالعبادة. ﴿مُخْلِصًا لَّهُ دِينِى﴾ عن شوب الأنانية. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ بالحقيقة، الكاملين في الخسران، هم الواقفون مع الغير، المحجوبون عن الحق. ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾ بإهلاك الأنفس، وتضييع الأهل عن الإلهامات الربانية، لاحتجابهم بالظلمات الهيولانية. ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي الحقيقي البين.

﴿لَهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ لانغمارهم في المواد الهيولانية واستقرارهم في قعر بئر الطبيعة الظلمانية، فوقهم مراتب وتحتهم مراتب أخرى وهم في غمرات منها"[١٣٠٨]. والله أعلم بحقائق الأمور.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (١٨) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ (١٩) لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ

---

[١٣٠٨] تفسير ابن عربي، ٢/١٨٣-١٨٥.

لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعادَ (٢٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ (٢١) أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٢٢)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن الذين اجتنبوا عن عبادة غير الله، وأخلصوها لله تعالى، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ يعني من أخلص العبادة لله وتباعد عن عبادة الشيطان، ومن طاعتهم الإشراك به. ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي أقبلوا إلى الله بطاعتهم وعبادتهم مخلصين له الدين. ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ أي بالجِنان"[١٣٠٩]. "ويقال: الملائكة يبشرون لهم بالجنة في الآخرة، ﴿فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ يعني القرآن. ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ يعني [يعملون][١٣١٠] بحلاله، وينتهون عن حرامه. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ﴾ يعني وفقهم لمحاسن الأمور. ويقال: أكرمهم الله بذهابهم إلى التوحيد. ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾ يعني ذوي العقول.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ﴾ يعني وجب له العذاب. ويقال: أفمن سبق في علم الله تعالى أنه في النار، كمن لا يجب عليه الوعيد. ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ يعني تستنقذ من هو في علم الله تعالى أنه يكون في النار بعمله. ويقال: من وجب عليه النار وقدرت عليه

---

[١٣٠٩] *التيسير في التفسير*، ٢٢/١٣.

[١٣١٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *بحر العلوم*، ١٨١/٣.

النار. ثم ذكر حال المتقين فقال عز وجل: ﴿لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ يعني وحدوا ربهم، وأطاعوه. ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ﴾ في الجنة، وهي غرف ﴿مَبْنِيَّةٌ﴾ مرتفعة بعضها فوق بعض. ﴿تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ وَعْدَ اللَّهِ﴾ أي وعد وعدا حقا. ﴿لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعادَ﴾ أي الوعد في الفريقين جميعا. ﴿تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ وَعْدَ اللَّهِ﴾ في القرآن، ﴿لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعادَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً﴾ أي مطرا. ﴿فَسَلَكَهُ﴾ أي فأدخله في الأرض، فجعله ﴿يَنابِيعَ﴾ يعني عيونا ﴿فِى الْأَرْضِ﴾ يقال: ينبع الماء، أي يفور. ويقال: فسلكه في الأرض يعني جاريا في الأرض، وهي تجري فيها. ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ﴾ أي بالماء. ﴿زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ قيل: أصنافه، كقولك: هذا لون من النبات، ولون من الطعام، يعني من حنطة وشعير وأرز وغير ذلك من الحبوب. وقيل: هي الألوان حقيقة فإن الزرع مختلف ألوانه، فإن لون الزرع غير لون الحنطة ونحو ذلك. ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يعني يتغير. ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ يعني يابساً بعد الخضرة. ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ يعني هلاكا. ﴿إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَذِكْرٰى لِأُولِي الْأَلْبٰبِ﴾ أي فيما ذكرناه من إحياء الأرض بعد موتها دلالة على إحياء الخلق بعد موتهم، وهذا وعد من الله تعالى. ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلٰمِ﴾[١٣١١] وفي هذا بيان نعت لأولي الألباب وإشارة إلى من تمسك بالقرآن، وعمل بما فيه نوّر الله قلبه، وبذلك النور يمضي على استبصار في طريق الحق.

---

[١٣١١] سقط من الأصل (صدره)، وهو خطأ في كتابة الآية.

قوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ﴾ يعني وسع الله قلبه للإسلام. ويقال: [ليّن الله][١٣١٢] قلبه لقبول التوحيد. ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِن رَّبِّهِ﴾ يعني على هدى من الله تعالى. ويقال: معناه أفمن شرح الله صدره للإسلام، فاهتدى، كمن طبع الله على قلبه، فلم يهتد. ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِن رَّبِّهِ﴾ يعني القرآن. لأن فيه بيان الحلال والحرام. ويقال: على نور يعني المعرفة"[١٣١٣]. وروي في الخبر أنه لما نزلت الآية قالوا: فكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: "إذا دخل النور في القَلْب انْفَسَحَ، وانْشَرَحَ". قالوا: فهل لذلك من علامة؟ قال: "نعم. التَّجافي عن دار الغرور، والإنابةُ إلى دار الخُلود، والاستعداد للموت قبل نزول الموت"[١٣١٤].

"ثم قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يعني الشدة من العذاب لمن قست، ويبست قلوبهم عن ذكر الله. ويقال: القاسية الخالية من الخير، ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني أهل هذه الصفة. ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يعني في خطأ بيّن. قيل: المراد من ذكر الله هو ماذكر الله تعالى ورسوله من الترغيب والترهيب وضرب الأمثال وغير ذلك"[١٣١٥]. "وقال مقاتل - رحمه الله - : ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ يعني النبي ﷺ. ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني أبا جهل"[١٣١٦]. "ويقال: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ﴾ يعني أفمن فتح الله قلبه فاتسع للتدبر والعلم

---

[١٣١٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *بحر العلوم*، ٣/١٨٢.

[١٣١٣] *بحر العلوم*، ٣/١٨١-١٨٢.

[١٣١٤] الكلاباذي: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الحنفي، (ت. ٣٨٠هـ)، *بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار*، ص ١٨٧. الترمذي: محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم، (ت. ٢٨٥هـ)، *نوادر الأصول في أحاديث الرسول*، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، ١٩٩٢م.

[١٣١٥] *بحر العلوم*، ٣/١٨٣.

[١٣١٦] مقاتل: *تفسير مقاتل*، ٣/٦٧٥.

والإيمان. ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ﴾ أي على هداية. ﴿مِن رَّبِّهِ﴾ يعني هو يهدي ويرشد إلى طريق الحقّ أي هو أفضل وأهدى سبيلا. كَمَن هومخالف له ممن قسا قلبه عن ذكر الله فهومتحير ومتردد في ظلمات ليس بخارج منها. وذلك قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَـٰئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي في غواية ظاهرة"[١٣١٧].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَٰبِ (١٨) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ (١٩) لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ وَعْدَ ٱللَّهِ لاَ يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾، "اعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد عبدة الأصنام والأوثان، ذكر وعد من اجتنب عبادتها واحترز عن [الشرك][١٣١٨]، ليكون وعدا مقرونا بالوعيد أبدا فيحصل كمال الترغيب والترهيب، الطاغوت فَعلُوت من الطغيان كالمَلكُوت والرَّهبُوت. وقيل: المراد بالطاغوت الصنم، وسميت طواغيت على سبيل المجاز لأنه لا فعل لها، والطغاة هم الذين يعبدونها إلا أنه لما حصل الطغيان بسببها، وصفت بهذه الصفة إطلاقاً لاسم السبب باسم المسبب.

---

[١٣١٧] *التيسير في التفسير*، ١٣/٢٧.

[١٣١٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٣٤.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ أي أعرضوا عن عبودية كل ما سوى الله. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي رجعوا بالكلية إلى الله. فقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ إشارة إلى الإعراض عن غير الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى الإقبال بالكلية على عبادة الله تعالى، وقد مرّ هذا. ثم إنه تعالى وعد هؤلاء بأشياء: أحدها: قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ وكان هذا كالمجمل، أردفه بكلام يجري مجرى التفسير، فقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ﴾ وهم الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم، وهذا يدل على أن رأس السعادات، ومركز الخيرات، ومعدن الكرامات، هو الإعراض عن غير الله، والإقبال بالكلية على طاعة الله، والمقصود من هذا اللفظ التنبيه على أن الذين اجتنبوا وأنابوا، هم الموصوفون بأنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه. واعلم أنه تعالى حكم على الذين يستمعون [القول][١٣١٩] فيتبعون أحسنه بأن قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَٰبِ﴾ وفي الآية دقيقة عجيبة، وهي أن حصول الهداية في العقل والروح حادث، فلا بدّ له من فاعل وقابل، أما الفاعل فهو الله سبحانه، وهو المراد من قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ﴾، وأما القابل فإليه الإشارة بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَٰبِ﴾ فإن الإنسان ما لم يكن عاقلاً كامل الفهم امتنع حصول المعارف الحقيقية في قلبه.

ثم قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ قال صاحب (الكشاف): أصل الكلام: أفمن حقّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه، وهي جملة شرطية

---

[١٣١٩] سقط من الأصل، وكتبتها من مفاتيح الغيب، ٢٦/٤٣٨.

دخلت عليها همزة الإنكار، والفاء فاء الجزاء، ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على [محذوف][١٣٢٠] يدل عليه الخطاب، والتقدير: أأنت مالك أمرهم، فمن حق عليه العذاب فأنت تردّه، فالهمزة الأولى هي النافية كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد، ووضع من في النار موضع الضمير، فالآية على هذا جملة واحدة. قال الكسائي: الآية جملتان، والتقدير: أفمن حقّ عليه كلمة العذاب أفأنت تخلصه؟ أفأنت تنقذ من في النار. النوع الثاني من الأشياء التي وعدها الله هؤلاء الذين اجتنبوا وأنابوا.

قوله: ﴿لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ وهذا كالمقابل لما ذكر في وصف الكفار لهم من فوقهم ظلل من النار، ومن تحتهم ظلل. قوله: ﴿مَّبْنِيَّةٌ﴾ ومعناها قد مرّ في الأول، والحاصل أن المنزل الفوقاني والتحتاني حصل في كل منهما فضيلة ومنقصة، أما الفوقاني ففضله العلو والارتفاع، ونقصانه الرخاء، وأما التحتاني فبالضدّ منه، وهي تكون في غاية القوة والشدة، وقال حكماء الإسلام هذه الغرف المبنيّة بعضها فوق بعض، مثاله من الأحوال الإنسانية كالعلوم الكسبية فإن بعضها يكون مبنياً على البعض، والنتائج الآخرة التي هي عبارة عن معرفة الله تعالى وصفاته تكون في غاية القوة كالعلوم الأصلية البديهية.

ثم قال: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ وذلك معلوم، ثم ختم الكلام فقال: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾، فقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد في معنى وعدهم الله ذلك ولا يخلف الله ذلك الوعد، وفي الآية دقيقة شريفة، وهي أنه تعالى في كثير من الآيات وعده

---

[١٣٢٠] في الأصل (معطوف)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٣٨.

يصرّح بأن هذا وعد الله وأنه لا يخلف وعده، ولم يذكر في آيات الوعيد مثل هذا التأكيد، وذلك يدل على أن جانب الوعد أرجح من جانب الوعيد، فإن قال قائل: أليس أنه قال في جانب الوعيد: ﴿مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَاْ بِظلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[ق:٢٩]؟ وجوابه: أن قوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ﴾ليس تصريحاً بجانب الوعيد، بل هو كلام عام يتناول القسمين أعني الوعد والوعيد"[١٣٢١].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِى ٱلأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِى ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لأُوْلِي ٱلأَلْبَٰبِ (٢١)﴾، "اعلم أنه تعالى لما وصف الآخرة بصفات توجب الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا بصفة توجب اشتداد النفرة عنها، وذلك أنه تعالى بيّن أنه أنزل من السماء ماء [وهو][١٣٢٢] المطر. ثم يقسمه فسلكه ينابيع في الأرض، أي فأدخله ويظهر ينابيع في الأرض عيوناً، ومسالك ومجاري كالعروق في الأجساد، ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك، أومختلفاً أصنافه من برّ وشعير وسمسم، ثم يهيج، وذلك إذا تم جفافه صار حطاماً. ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ يعني أن من شاهد هذه الأحوال في النبات علم أن أحوال الحيوان والإنسان كذلك، وأنه وإن طال عمره فلا بدّ له من الانتهاء إلى أن يصير مصفر اللون، منحطم الأعضاء والأجزاء، ثم تكون عاقبته الموت. فإذا كانت مشاهدة هذه الأحوال في النبات مذكرة حصول مثل هذه الأحوال في نفسه وفي حياته، فحينئذ يعظم

---

[١٣٢١] *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٣٤-٤٣٩.

[١٣٢٢] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٣٩.

تفرقه عن الدنيا وطيباتها. والحاصل أنه تعالى ذكر في الآيات المتقدمة ما يقوي الرغبة في الآخرة، وذكر في هذه الآية ما يقوي النفرة عن الدنيا، فشرح صفات القيامة يقوي الرغبة في طاعة الله، وشرح صفات الدنيا يقوي النفرة عن الدنيا، وإنما قدم الترغيب في الآخرة على التنفير في الدنيا، لأن الترغيب في الآخرة مقصود بالذات، والتنفير عن الدنيا مقصود بالعرض، والمقصود بالذات مقدم على المقصود بالعرض"[١٣٢٣].

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، "اعلم أنه تعالى لما بالغ في تقرير البيانات الدالة على وجوب الإقبال على طاعة الله تعالى، ووجوب الإعراض عن الدنيا، فعند ذلك ذكر أن الانتفاع بهذه البيانات لا يكمل إلا إذا شرح الله الصدر، ونور القلب فقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾. واعلم أن بعض أهل الحكمة قال في تفسير شرح الصدر إنه تعالى خلق جواهر النفوس مختلفة بالماهية، فبعضها خيّرة نورانية شريفة، مائلة إلى الإلهيات، عظيمة الرغبة في الاتصال بالروحانيات، وبعضها كدرة خسيسة، مائلة إلى الجسمانيات، عظيمة الرغبة في الاتصال بهذه الجسمانيات، وهذا التفاوت أمر حاصل في جواهر النفوس البشرية، والاستقراء يدل على أن الأمر كذلك، إذا عرفت هذا فنقول المراد بشرح الصدر هو ذلك الاستعداد الشديد الموجود في القوة إلى الفعل بأدنى سبب، مثل الكبريت الذي يشتعل من أدنى نار، أما إذا كانت النفس بعيدة عن قبول هذه الجلايا القدسية

---

[١٣٢٣] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٤٠.

والأحوال المناسبة للإلهيات كانت قاسية كدرة ظلمانية، وكلما كان إيراد الدلائل اليقينية والبراهين الباهرة عليها أكثر كانت قسوتها وظلمتها أكمل. وإذا عرفت هذه القاعدة فنقول: أما شرح الصدر فهوما ذكرناه، وأما النور فهو عبارة عن الهداية والمعرفة، وما لم يحصل شرح الصدر أولا لم يحصل النور ثانياً.

وقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ﴾ مبتدأ، وخبره محذوف، والتقدير: أفمن شرح الله صدره للإسلام فاهتدى كمن طبع على قلبه و لم يهتد لقسوته؟ والجواب متروك، لأن الكلام المذكور دليل عليه، وهو قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾."[١٣٢٤] وقد تقدم تفسيره في الأول.

[فصل في التفسير الصوفي النظري]

"قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ يعني اجتنبوا عبادة الغير. ﴿وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بالتوحيد المحض. ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ باللقاء. ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ المخلصين المخصوصين بعنايتي.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ كالعزائم، والرخص، والواجب، والندب وقول الحق، والغير. ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾ كالعزائم دون الرخص، والواجب دون المندوب، وقول الحق لا الغير. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ إليه بنور الهداية. ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ المميزون بين الأقوال بألبابهم المجردة فيقبلون المعاني المحققة دون غيرها.

---

[١٣٢٤] مفاتيح الغيب، ٢٦/٤٤٠-٤٤١.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي أأنت مالك أمرهم فمن سبق الحكم بشقاوته أأنت تنقذه؟! أي لا يمكن إنقاذه أصلا.

﴿لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ أمرهم أفعالهم وصفاتهم وذواتهم في التجريد والتفريد من أهل التوحيد. ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ أي مقامات وأحوال بعضها فوق بعض، كالفناء في الأفعال وفوقه، الفناء في الصفات وفوقه الفناء في الذات. ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ أنهار علوم المكاشفات والتجليّات. ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي أنزل من سماء الروح. ﴿مَآءً﴾ العلم. ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ الحكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي في أراضي النفوس بحسب استعداداتها. ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ﴾ زرع الأعمال والأخلاق. ﴿مُّخْتَلِفًا﴾ أصنافه بحسب اختلاف القوى والأعضاء. ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ فينقطع عن أصله بأنوار التجليات. ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ لاضمحلاله وتلاشيه بفناء أصوله، القائم هوها من القوى والنفوس والقلوب. ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ بذهابه وانكساره عند ظهور تجليات صفاته تعالى. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يعني لأولي الحقائق المجردة من قشر الأنانية. ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ بنوره ونور قلبه بالوجود الموهوب الحقاني، والإسلام هو الفناء في الله وتسليم الوجه إليه. ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي على نور من أنوار التجليات. ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن﴾ قبول ﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ لشدة ميلها إلى اللذات البدنية، وإعراضها عن الكمالات القدسية. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ عن طريق الحق"[١٣٢٥].

والله أعلم بسرائر الأمور.

---

[١٣٢٥] تفسير ابن عربي، ٢/١٨٥-١٨٦.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (٢٣) أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتاهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٢٥) فَأَذاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَلَعَذابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (٢٦) وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٢٩) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن بيان بعض نوع من أنواع صفات القرآن بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني أحكم الحديث، وهو القرآن. وذلك أن المسلمين قالوا لبعض مؤمني أهل الكتاب: أخبرنا عن التوراة، فإن فيها علم الأولين والآخرين. فأنزل الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني نزل عليكم بأحسن الحديث، وهو القرآن. ويقال: أَحْسَنَ الْحَدِيثِ يعني أحسن من سائر الكتب، لأن سائر الكتب صار منسوخا بالقرآن، ويقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن إنما أوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ لتليين القلوب القاسية عن ذكر الله، ولتطيب قلوب الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه أي أحسن الحديث، يعني أحسن ما يتحدث به لأنه يشتمل على مصالح أمور الدين والدنيا. ﴿كِتَٰبًا﴾ يعني كلاما

مجموعا. وقيل: كتابا من الله إلى عباده. ﴿مُتَشابِهًا﴾ أي يشبه بعضه بعضاً، ولا يختلف. ويقال: ﴿مُتَشابِهًا﴾ أي موافقاً لسائر الكتب في التوحيد، وفي بعض الشرائع. وروي عن الحسن قال: ﴿مُتَشابِهًا﴾ يعني: خياراً لا رذالة فيه. ويقال: ﴿مُتَشابِهًا﴾ اشتبه على الناس تأويله. ﴿مَثانِيَ﴾ يعني الأنبياء، والقصص، تثنى فيه. ويقال: مثاني، لأن فيه سورة المثاني، يعني الفاتحة. ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ يعني ترتعد مما فيه من الوعيد. ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يعني الذين يتقون ربهم، وذلك عند الخوف بوعيده. ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يعني تلين وتطمئن إلى ذكر الله. قال قطرب: أي مايلد إلى ذكر الله من أنه الرحمة والمغفرة، يعني إذا قرأت آيات الرجاء، والرحمة، تطمئن قلوبهم، وتسكن. ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ يعني ذَلِكَ القرآن. ﴿هُدَىٰ اللَّهِ﴾ أي إرشاد للخلق من الله. ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ يعني يخلق فعل الاهتداء بسبب القرآن. ﴿مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ﴾ وهومن علم منهم اختيار الاهتداء. بالقرآن من يشاء الله أن يهديه إلى دينه. ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ يعني من يخلق فيه صفة الضلال. ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ إلى الحقّ.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعني أفمن يدفع بوجهه شدة العذاب، وجوابه مضمر. يعني هل يكون حاله كحال من هوفي الجنة. يعني: ليس الضال الذي تصل النار إلى وجهه، كالمهتدي الذي لا تصل النار إلى وجهه، ليسا سواء. وعن مجاهد قال: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي أن يجرّ على وجهه في النار، وهذا كقوله: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[فصلت: ٤٠] ويقال: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ معناه: أنه يلقى في النار مغلولاً، لا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه، والوجه

لا يتوقى به، فهو إذاً لا يتوقى العذاب الذي يلقى فيه، فيحرق بدنه كله، ولا يمكنه أن يرده عن وجهه الذي هو أعزّ شيء وأجلّه في بدنه، يعني أفهذا كمن يدخل في الجنة ويتنعم بها؟!. ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي لهذه الطائفة من الظالمين. ويقال: للظالمين يعني للكافرين. ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي جزاء ذلك أي جزاء ماكسبوا من الظلم والمعاصي والتكذيب.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي كذب الأمم الذين من قبل هؤلاء المشركين رسلهم. ﴿فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ أي من حيث لم يكونوا يعلمون أنه يأتيهم منه في وقت لم يتوهموا نزوله بهم فيه. ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ﴾ أي العذاب. ويقال: الفضيحة. ﴿فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ من عذاب الدنيا. ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ أي لو كان عند هؤلاء المشركين من العلم ما يتدبرون به، ويعلمون لصدّقوا بهذا الوعيد، ولآمنوا به لكنهم لا يتدبرونه ولا يعلمونه.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي ولقد وصفنا في هذا القرآن من كل ما بالذي إليه حاجة في أمور دينهم ومصالح دنياهم. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي ليتعظوا. ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ يعني أنزلنا قرآنا بلغة العرب. ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ يعني ليس بمختلف، ولكنه مستقيم. ويقال: غير ذي نقص. وقال بعضهم: غير ذي غيب. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي لكي يتقوا الشرك.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ أي وصف شبها للمشركين والموحّدين. ﴿رَّجُلًا﴾ يعني عبداً بين موالي مختلفين يأمره، هذا يأمر، وينهاه عنه الآخر. ويقال: ﴿مُتَشَاكِسُونَ﴾ يعني مختلفين، متنازعين. ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ يعني خالصاً لرجل

لا شركة فيه لأحد. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، سَالِماً بكسر اللام فمعناه الخالص. والباقون بفتح اللام فهو مصدر. يعني إذا سلم لرجل. والمعنى: هل يستوي من عبد آلهة مختلفة، كمن عبد رباً واحداً؟. وقال قتادة: الرجل الكافر، والشركاء الشياطين، ورجلا سالما. المؤمن يعمل لله وحده. وقال بعضهم: هذا المثل للراغب، والزاهد. فالراغب شغلته أمور مختلفة، لا يتفرغ لعبادة ربه. وإذا كان في العبادة، يكون قلبه مشغولا بها، والزاهد قد تفرغ من جميع أشغال الدنيا، فهو يعبد ربه خوفاً وطمعاً. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ عند الله تعالى في المنزلة يوم القيامة. ويقال: هل يستويان مثلا يعني هل يستوي هذان الرجلان في الوصف؟ وكل من تدبر بعقله علم أن المتفرد بالخدمة أحسن حالا وأحمد عاقبة من الذي يخدم جماعة.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إيضاح هذه الحجة. ويقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على تفضيل من اختاره، على من اشتغل بما دونه. ويقال: يعني [قولوا][١٣٢٦] الحمد لِلَّهِ. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنهما خير يعني لا يعلمون أن عبادة ربّ واحد خير من عبادة آلهة شتى. ويقال: أنهما لا يستويان. ويقال: لا يعلمون توحيد ربهم.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ وذلك أن كُفّار قريش قالوا: ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾[الطور:٣٠]، يعني ننتظر محمدا ﷺ حتى يموت، فنزل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ يعني أنت ستُموت، وهم سيموتون. ويقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ يعني لميّت لا محالة، والشيء إذا

---

[١٣٢٦] في الأصل (قوله)، وصححتها من بحر العلوم،٣/١٨٥.

قرب من الشيء سمي باسمه، فالخلق كلهم إذا كانوا بقرب من الموت، فكل واحد منهم يموت لا محالة، فسماهم ميتين.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ يعني تتكلمون بحججكم. الكافر مع المؤمن، والظالم مع المظلوم"[١٣٢٧]. "ويقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ يعني التسوية بينك وبينهم في الموت، يعني إنك يا محمد تموت ويموت هؤلاء المشركون، لأن آجال الجميع مقضية. ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ يعني ثم يحييكم الله ويبعثكم للحساب والجزاء والفصل بين المختلفين، فيختصم أهل الحق وأهل الباطل بحضرة الملائكة والمرسلين والصدّيقين، ويفصل الله الخصومة بينهم بالتمييز بين الفريقين"[١٣٢٨]. وروي عن رسول الله ﷺأنه قال: "لاَ تَزَال الخُصومَة بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتى تَتَخَاصَم الرُّوح والجَسَد، فَيَقُول الجَسَد: إنَّمَا كنت بمنزلة جزع مُلْقَى، لاَ أَسْتَطِيع شَيْئاً. وَتَقُولُ الرُّوح: إنَّمَا كُنْتُ رِيحاً، لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْمَلَ شَيْئاً. فَضُرِبَ لَهُما مَثَلُ الأعْمَى والمُقْعَد، فَحَمَلَ الأَعْمَى المُقْعَد، فَيَدُلُّهُ المُقْعَد بِبَصَرِهِ، وَيَحْمِله الأَعْمَى بِرجْلَيه". "وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أنس قال: سألت أبا العالية عن قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾، وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ فكيف هذا؟ فقال: أما قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ لأهل الشرك، وأما قوله:

---

[١٣٢٧] *بحر العلوم*،٣/١٨٣-١٨٥.

[١٣٢٨] *التيسير في التفسير*،١٣/٣٧.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ فهو لأهل القبلة، يختصمون في مظالم بينهم"[١٣٢٩].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٢٣) أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

قوله: ﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ "وهو إما أن يكون بحسب لفظه، وذلك من وجهين: الأول: إما أن يكون ذلك الحسن لأجل الفصاحة والجزالة. الثاني: أن يكون بحسب النظم في الأسلوب، وذلك لأن القرآن ليس من جنس الشعر، ولا من جنس الخطب، ولا من جنس الرسالة، بل هو نوع يخالف الكل مع أن كل طبع سليم يستلذه ويستطيبه. ويقال كونه أحسن الحديث لأجل المعنى، وهو كتاب منزّه عن التناقض. قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء:٨٢]، ومثل هذا الكتاب إذا خلي عن التناقض كان ذلك من المعجزات، وأنه مشتمل على الغيوب الكثيرة في الحاضر والمستقبل، وأن العلوم الموجودة فيه كثيرة جدا، ومصدر هذه العلوم أن يقال: العلوم النافعة هي ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ

[١٣٢٩] بحر العلوم،٣/١٨٥.

وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[البقرة:٢٨٥] فهذا أحسن ضبط يمكن ذكره للعلوم النافعة. أما الأول: وهو الإيمان بالله، فهو يشتمل على خمسة أقسام: معرفة الذات، والصفات، والأفعال، والأحكام، والأسماء. أما معرفة الذات فهي أن يعلم وجود الله وقدمه وبقاءه. وأما معرفة الصفات فهي نوعان: أحدهما: ما يجب تنزيهه عن كونه جسما وجوهراً ومركباً من الأعضاء والأجزاء، ويجب أن يعلم أن الألفاظ الدالة على التنزيه أربعة: ليس و لم وما ولا، وهذه الأربعة مذكورة في كتاب الله تعالى لبيان التنزيه. وأما كلمة (ليس): ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾[الشورى:١١]، وأما كلمة (لم)، فقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:٣،٤] وأما كلمة (ما)، فقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[مريم:٦٨]، و﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾[مريم:٣٥]، وأما كلمة (لا)، فقوله تعالى: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥]،﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ﴾[الأنعام:١٤]، ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ﴾[المؤمنون:٨٨]. وأما النوع الثاني: وهي الصفات التي يجب كونه موصوفاً بها فأولها العلم بالله، والعلم بكونه محدثاً خالقاً، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ﴾[الأنعام:١]. وثانيها: العلم بكونه قادراً، قال الله تعالى في أول سورة القيامة: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُ﴾[القيامة:٤]، وقال في آخر هذه السورة: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[القيامة:٤٠]. وثالثها: العلم بكونه عالماً، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ﴾[الحشر:٢٢]. ورابعها: العلم بكونه عالماً بكل المعلومات، قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[الأنعام:٥٩]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾[الرعد:٨]. وخامسها:

العلم بكونه حياً، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[غافر:٦٥]. وسادسها: العلم بكونه مريداً، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾[الأنعام:١٢٥]. وسابعها: العلم بكونه سميعاً بصيراً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[طه:٤٦]. وثامنها: كونه متكلما، قال الله تعالى: ﴿وَلَوأَنَّمَا فِى ٱلأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللَّهِ﴾[لقمان:٢٧]. وتاسعها: كونه آمراً، قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾[الروم:٤]. وعاشرها: كونه رحيماً رحمانا مالكاً، قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣) مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[الفاتحة:٣،٤] فهذا ما يتعلق بمعرفة الصفات التي يجب اتصافه بها. وأما القسم الثالث: وهو الأفعال، فاعلم أن الأفعال إما أرواح وإما أجسام. أما الأرواح فلا سبيل إلى الوقوف عليها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾[المدثر:٣١] وأما الأجسام، وهي إما عالم الأعلى وإما العالم الأسفل. أما العالم الأعلى فالبحث فيها من وجوه: أحدها: البحث عن أحوال السماوات والقمر كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾[الأعراف:٥٤]. وثانيها: [البحث][١٣٣٠] عن أحوال الأضواء، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ﴾[النور:٣٥] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾[يونس:٥]. وثالثها: البحث عن أحوال الظلال، قال

---

[١٣٣٠] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*،٢٦/٤٤٣.

الله تعالى: [﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾][١٣٣١] [الفرقان:٤٥]. ورابعها: اختلاف الليل والنهار، قال الله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾[الزمر:٥]. وخامسها: منافع الكواكب، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[الأنعام:٩٧]. وسادسها: صفات الجنة، قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرْضِ﴾[الحديد:٢١]. وسابعها: صفات النار، قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[الحجر: ٤] وثامنها: صفة للعرش، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾[غافر:٧].وتاسعها:صفة الكرسي، قال تعالى:﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ﴾[البقرة:٢٥٥]. وعاشرها: صفة اللوح والقلم. أما اللوح، فقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[البروج: ٢١-٢٢]، وأما القلم، فقوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾[القلم:١]. وأما شرح أحوال العالم الأسفل فمنها الأرض، وقد وصفها بصفات كثيرة: إحداها: كونه مهداً، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ مَهْدًا﴾[طه:٥٣]. ومنها الذلول، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ ذَلُولًا﴾[الملك:١٥]. ومنها كونه بساطاً، قال تعالى: ﴿واللهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ بِسَاطًا لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[نوح:١٩-٢٠]. والكلام فيه طويل. ومنها البحر، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾[النحل:١٤]. ومنها الهواء والرياح. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾[الأعراف:٥٧] وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾[الحجر:٢٢]. ومنها الآثار العلوية كالرعد والبرق: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِ

---

[١٣٣١] في الأصل (وهوالذي مد الظل...)، وهو خطأ في كتابة الآية.

وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾[١٣٣٢][الرعد:١٣]. وقال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِۦ﴾[النور:٤٣] ومن هذا الباب ذكر الصواعق والأمطار وذكر السحاب. ومنها أحوال الأشجار والثمار وأنواعها وأصنافها. ومنها أحوال الحيوانات، قال: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾[البقرة:١٦٤]، وقال: ﴿وَٱلْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾[النحل:٥]. ومنها عجائب تكوين الإنسان في أول الخلقة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾[المؤمنون:١٢]. ومنها العجائب الواصلة في سمعه وبصره ولسانه وعقله وفهمه. ومنها تواريخ الأنبياء والملوك وأحوال الناس من أول خلق العالم إلى آخر قيام القيامة. ومنها ذكر أحوال الناس عند الموت وبعد الموت، وكيفية البعث والقيامة، وشرح أحوال السعداء والأشقياء، فقد أشرنا إلى عشرة أنواع من العلوم في عالم السماوات، وإلى عشرة أخرى في عالم العناصر، والقرآن مشتمل على هذه الأنواع من العلوم النافعة الرفيعة. وأما القسم الرابع: وهو شرح أحكام الله تعالى وتكاليفه، فهذه التكاليف إما أن تحصل في أعمال القلوب أو في أعمال الجوارح. أما الأول: فهو المسمى بعلم الأخلاق وتمييز الأخلاق الفاضلة والأخلاق الفاسدة، والقرآن يشتمل على كل ما لا بدّ منه في هذا الباب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾[النحل:٩٠]، وقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾[الأعراف:١٩٩]. وأما الثاني: فهو التكاليف الحاصلة في أعمال الجوارح وهو المسمى بعلم الفقه والقرآن مشتمل على جملة أصول هذا العلم على أكمل الوجوه. وأما القسم الخامس: وهو معرفة أسماء الله تعالى وهو مذكور في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ

---

[١٣٣٢] سقط من الأصل كلمة (بحمده)، وهو خطأ في كتابة الآية.

ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠] فهذه تتعلق بمعرفة الله. وأما القسم الثاني من الأصول المعتبرة في الإيمان: الإقرار بالملائكة كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ﴾[البقرة:٢٨٥]. والقرآن يشتمل على شرح صفاتهم تارة على سبيل الإجمال، وأخرى على التفصيل، أما الإجمال فقوله: ﴿وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ﴾ وأما بالتفصيل فمنها ما يدل على كونهم رسل الله، قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾[فاطر:١]. ومنها أنها مدبرات لهذا العالم، قال تعالى: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾[الذاريات:٤]، ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[النازعات:٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾[الصافات:١]. ومنها حملة العرش قال: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[الحاقة:١٧]، ومنها الحافون على العرش قال: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾[الزمر:٧٥]. ومنها خزنة النار قال: ﴿عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾[التحريم:٦]. ومنها الكرام الكاتبون قال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾[الانفطار: ١٠-١١]. ومنها المعقبات قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾[الرعد:١١]. وقد يتصل بأحوال الملائكة أحوال الجن والشياطين. وأما القسم الثالث من الأصول المعتبرة في الإيمان: معرفة الكتب والقرآن يشتمل على شرح أحوال كتاب آدم - عليه السّلام - قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[البقرة:٣٧]. ومنها أحوال صحف إبراهيم قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[البقرة:١٢٤]. ومنها أحوال التوراة والإنجيل والزبور. وأما القسم الرابع من الأصول المعتبرة في الإيمان: معرفة الرسل، والله تعالى قد شرح أحوال البعض وأبهم أحوال الباقين، قال: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[غافر:٧٨]. وأما القسم الخامس: ما يتعلق بأحوال المكلفين، وهي على

نوعين الأول: أن يقروا بوجوب هذه التكاليف عليهم، وهو المراد من قوله: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، والثاني: أن يعترفوا بصدور التقصير عنهم في تلك الأعمال، ثم طلبوا [المغفرة][١٣٣٣] وهو المراد من قوله: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾. وأما القسم السادس: معرفة المعاد والقيامة، وهو المراد من قوله: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة: ٢٨٥]، فهذا هو الإشارة إلى معاقد المطالب المهمة في طلب الدين، ولما كان الأمر على هذه الجملة لا جرم مدح الله تعالى القرآن فقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾. الصفة الثانية من صفات القرآن: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَابِهًا﴾ أما الكتاب فقد سبق الكلام في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى﴾[البقرة: ١-٢]، وكونه متشابهاً قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[آل عمران:٧]، ويقال: متشابها مشاركا في أن المقصود منها بأسرها الدعوة إلى الدين وتقرير عظمة الله، ولذلك فإنك لا ترى قصة من القصص إلا ويكون تحصيلها إلى المقصود، فهو المراد من كونه متشابهاً. الصفة الثالثة من صفات القرآن: كونه مثاني، وقد تقدم الكلام في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾[الحجر:٨٧]. وبالجملة فأكثر الأشياء المذكورة فهو زوجان، مثل: الأمر والنهي، والعام والخاص، والمجمل والمفصل، وأحوال السماوات والأرض، والجنة والنار، والضوء والظلمة، واللوح والقلم، والملائكة والشياطين، والعرش والكرسي، والوعد والوعيد، والرجاء والخوف، والمقصود منه أن بيان كل ما سوى الله حق، وأن الفرد الأحد الحق هو الله سبحانه. الصفة الرابعة من صفات القرآن قوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ﴾ وعند سماع آيات الرحمة والإحسان يحصل لهم الفرح فتلين قلوبهم

---

[١٣٣٣] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٤٥.

إلى ذكر الله، وإذا ذكر تنزيه الله عن التحيز والجهة. فههنا تقشعر جلودهم، لأن إثبات موجود لا داخل العالم ولا خارج العالم ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن العالم، مما يصعب تصوره فههنا تقشعر، أما إذا تأمل في الدلائل الدالة على أنه يجب أن يكون فرداً أحداً، فثبت أن كل متحيز منقسم فههنا يلين جلده وقلبه إلى ذكر الله. وأيضاً إذا أراد أن يخيط عقله بمعنى الأزل في ذهنه بمقدار ألف ألف سنة، ولا يزال يختال ويتقدم في الذهن، فإذا بلغ وتوغل وظن أنه استحضر معنى الأزل قال العقل هذا ليس بشيء، لأن كل ما استحضرته في عقل فهومتناه، والأزل هو الموجود المتقدم على هذه المتناهية، فههنا يتحير العقل ويقشعر الجلد، وأما إذا ترك هذا الاعتبار وقال ههنا موجود، والموجود إما واجب وإما ممكن، فإن كان واجباً فهو دائم منزه عن الأول والآخر، وإن كان ممكناً فهومحتاج إلى الواجب فيكون أزلياً أبدياً، فإذا اعتبر العقل فهم معنى الأزلية فههنا يلين جلده وقلبه إلى ذكر الله، فثبت أن المقامين المذكورين في الآية لا يجب قصرهما على سماع آية العذاب وآية الرحمة، بل المراتب وبعده المراتب لا حدّ لها ولا حصر في حصول الحالين المذكورين. ثم إنه تعالى لما وصف القرآن بهذه الصفات قال: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِى بِهِ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أي من جعل قلبه قاسياً مظلماً بليد الفهم منافياً لقبول هذه الهداية ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾"[١٣٣٤].

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤) كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ (٢٥) فَأَذَاقَهُمُ

[١٣٣٤] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٤٢-٤٤٨.

ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (٢٦) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، "اعلم أنه تعالى حكم على القاسية قلوبهم بحكم في الدنيا وبحكم في الآخرة، أما حكمهم في الدنيا فهو الضلال التام كما قال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[الرعد:٣٣]، وأما حكمهم في الآخرة فهو العذاب الشديد وهو المراد من قوله: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وتقريره أن أشرف الأعضاء هو الوجه لأنه محل الحسن والصباحة، وإنما يتميز بعض الناس عن بعض بسبب الوجه، وأثر السعادة والشقاوة لا يظهر إلا في الوجه قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾[عبس: ٣٨- ٤٢]، فثبت بما ذكرنا أن أشرف الأعضاء هو الوجه، فإذا وقع الإنسان في نوع من أنواع العذاب، فإنه يجعل يده وقاية لوجهه. ثم قال: ﴿وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ولما بيّن الله تعالى كيفية عذاب القاسية في الآخرة، بيّن أيضاً كيفية وقوعهم في العذاب في الدنيا فقال: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾، وهذا منبه على حال هؤلاء لأن الفاء في قوله: ﴿فَأَتَاهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ تدل على أنهم إنما أتاهم العذاب بسبب التكذيب، فإذا كان التكذيب حاصلاً ههنا لزم حصول العذاب استدلالاً بالعلة على المعلول، وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ أي من الجهة التي لا يحسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم، وأنهم آمنون رافهون إذ أتاهم من الجهة التي توقعوا [الأمن منها][١٣٣٥]، ولما بيّن تعالى أنه أتاهم

---

[١٣٣٥] في الأصل (لامنها)، وصححتها من مفاتيح الغيب،٢٦/٤٤٩.

العذاب في الدنيا بيّن أيضاً أنه أتاهم الخزي وهو الذل والصغار والهوان، فقال: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني أن أولئك وإن نزل عليهم العذاب والخزي كما تقدم، فالعذاب المدخر لهم في يوم القيامة أكبر وأعظم من ذلك الذي وقع.

ولما ذكر الله تعالى هذه الفوائد المتكاثرة في هذه المطالب، بيّن تعالى أنه بلغت هذه البيانات إلى حدّ الكمال والتمام فقال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾"[١٣٣٦]، وقد مرّ تفسيره.

قوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، "وقوله: ﴿عَرَبِيًّا﴾ حال، والمعنى ضربنا للناس في هذا القرآن في حال عربيته، ويجوز أن ينتصب على المدح. واعلم أنه تعالى وصف القران بصفات ثلاثة: أولها: كونه قرآناً، والمراد كونه متلواً في المحاريب إلى قيام القيامة، كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩]، وثانيها: كونه عربياً والمراد أنه أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته، كما قال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء:٨٨]. وثالثها: كونه غير ذي عوج والمراد براءته عن التناقض، كما قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء:٨٢]، ثم قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ وفيه بحث: وهو أنه قال في الآية الأولى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، وقال في هذه الآية:

---

[١٣٣٦] مفاتيح الغيب، ٢٦/٤٤٩.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، والسبب فيه أن التذكر يتقدم على الاتقاء، لأنه إذا تذكره وعرفه ووقف على فحواه وأحاط بمعناه، حصل الاتقاء والاحتراز"[١٣٣٧].

قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ للَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٢٩) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، وقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ إلى آخرها قد تقدم تفسيره. وقوله: ﴿مَثَلًا﴾ "نصب على التمييز، والمعنى هل يستويان صفاتهما وحالاتهما؟. ثم قال: ﴿ٱلْحَمْدُ للَّهِ﴾ رب العالمين، والمعنى أنه لما بطل القول بإثبات الشركاء والأنداد، وثبت أنه لا إله إلا الله الواحد الأحد الحقّ، ثبت أن الحمد له لا لغيره، ثم قال بعده: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أن الحمد لله لا لغيره، وأن المستحق للعبادة هو الله لا غيره. ولما تم هذه البيانات قال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾ والمراد أن هؤلاء الأقوام وإن لم يلتفتوا إلى هذه الدلائل القاهرة بسبب استيلاء الحرص والحسد عليهم في الدنيا، فلا تبال يا محمد فإنك ستموت وهم أيضاً سيموتون، ثم تحشرون يوم القيامة تختصمون عند الله تعالى، والعادل الحق يحكم بينكم فيوصل إلى كل واحد ما هو حقه، وحينئذٍ يتميز المحق من الباطل، والصديق من الزنديق، فهذا هو المقصود من الآية"[١٣٣٨].

[فصل في التفسير الصوفي النظري]

---

[١٣٣٧] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٤٩-٤٥٠.

[١٣٣٨] المصدر السابق، ٢٦/٣٥١.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ "في الحق والصدق. ﴿مَّثَانِىَ﴾ لتتلوها عليك قبل الفناء وبعده، فتكون مكررة باعتبار الحق والخلق، فتارة يتلوها الحق، وتارة يتلوها الخلق. ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يعني جلود أهل الجنة من العلماء بالله لانفعالها بالهيئات النورانية الواردة على القلب النازل أثرها إلى البدن. ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي تلين أعضاؤهم بالانقياد والسكينة والطمأنينة إلى ذكر الله. ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ بالأنوار اليقينية ﴿يَهْدِى بِهِ مَن يَشَآءُ﴾ من أهل عنايته ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾ يحجبه عن النور فلا يفهم كلامه ولا يرى معناه ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ مع كونه أشرف الأعضاء لكون سائر جوارحه مقيدة بهيئات لا يتأتى له التحرز بها ولا يتهيأ، مغللة بأغلال لا تيسر له بها الحركة في الدفع كمن أمن العذاب.

﴿مَثَلًا﴾ في التوحيد والشرك. ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ من الأخلاق لا يتسالمون في شيء يوجهه هذا في حاجة ويمنعه هذا ويجذبه أحدهما إلى جهة والآخر إلى ما يقابلها، فيتنازعون ويتجاذبون وهذا صفة من استولى عليه صفات نفسه لاحتجابه بالكثرة، فهو في عين التفرقة همّه شعاع وقلبه أوزاع. ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ لا يبعثه إلا إلى جهة، وهي جهة الحق، وهذا مثل الموحد الذي تسالمت قواه وليس له إلا همّ واحد ومقصد واحد وهو في عين الجميع.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ معناه كل شيء هالك إلا وجهه، أي فان في الله، وهم في شهودك هالكون معدومون بذواتهم.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الكبرى. ﴿عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ لاختلافكم في الحقيقة لكونكم محجوبين بالنفس وصفاتها، سائرين بها طالبين شهواتها ولذاتها، وكذلك قائما بالحق سائرا به طالبا برضاه"[١٣٣٩]. هذا هو الباطن والإقرار بظواهرها واجب، والله أعلم بحقائق الأمور.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ (٣٢) وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥) أَلَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقامٍ (٣٧) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ (٤٠) إِنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٤١) اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرى إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) أَمِ اتَّخَذُوا

---

[١٣٣٩] تفسير ابن عربي، ٢/١٨٦.

مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعاءَ قُلْ أَوَلَوْ كانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) وَإِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥) قُلِ اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ عالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فِي مَا كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ مَا كَسَبُوا وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (٤٨) فَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعانا ثُمَّ إِذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنَّا قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئاتُ مَا كَسَبُوا وَما هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥١) أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾

[فصل في التفسير بالرواية]

"ثم أخبر عن ظلم من ظلم، وكذبهم ومقامهم في الآخرة بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي فلا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بأن معه شريكاً وأولادا. ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُ﴾ أي وكذب بالقرآن لما جاءه. ويقال: ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ يعني بالصادق، وهو النبيّ ﷺ. ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ يعني مأوى للذين يكفرون بالقرآن، وهو استفهام بمعنى التقرير، وهو جزاء هؤلاء الفريق.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ﴾ يعني النبيّ ﷺ. ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ يعني أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -. ويقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ﴾ يعني جاء بالصدق في اعتقاده ودينه فأخلص لله ووحّده. ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي حقق ذلك الصدق بالطاعة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ لم يظلموا أنفسهم كما ظلم الأولون. ويقال: ﴿وَٱلَّذِى جاءَ بِالصِّدْقِ﴾ يعني النبيّ ﷺ. ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ يعني أصحابه. ويقال: صدق به المؤمنون. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ اتقوا الشرك والفواحش. ويقال: ﴿وَٱلَّذِى جاءَ بِالصِّدْقِ﴾ جبريل. ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ محمد ﷺ، يعني تلقاه بالقبول. ويقال: وصدق أهل القرآن. وقال الشعبي: ﴿وَٱلَّذِى جاءَ بِالصِّدْقِ﴾ بلا إله إلا الله. ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أقام على لا إله إلا الله. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يعني أن لهم ما يريدون، ويحبون في الجنة. ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يعني ثواب الموحدين، المطيعين، المخلصين.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ يعني ليمحو عليهم. ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ يعني أقبح ما عملوا، مخالفاً للتوحيد. ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ يعني ثوابهم. ﴿بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ يعني يجزيهم بالمحاسن، ولا يجزيهم بالمساوئ.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ يعني كافيا عبده، وهو استفهام على معنى التقرير. قرأ حمزة، والكسائي - رحمهما الله -: (عِبَادَهُ) على الجمع. قيل: أراد به الأنبياء. وقيل: أراد به المؤمنين. وأما التوحيد فهو على النبي ﷺ. ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني الذين يعبدون من دونه، وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: لا تزال تقع في آلهتنا، فاتقِ كيلا يصيبك منها سوء. فنزل: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾. يعني الذين يعبدون من

دونه"[١٣٤٠]. وروى معمر عن قتادة قال: "بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى العزى ليكسرها، فمشى إليها خالد فضربها ضربة أبان عنها رأسها. وذلك قولهم للنبي ﷺ: لا تزال تقع آلهتنا زيادة معرة"[١٣٤١]. "ثم قال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يعني من يخذله الله عن الهدى فما له من مرشد، ولا ناصر. ويقال: هؤلاء الذين يخوفونك قد أضلهم الله لعلمه باختيارهم الضلالة ومن يضلل الله فماله من هاد. ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ يعني ليس أحد يخذله كالنبي ﷺ والمؤمنين. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ يعني عزيزاً في ملكه، ذي انتقام من عدوه. وهو استفهام بمعنى التقرير وهو وحده للنبي ﷺ أنه منتقم له من أعدائه"[١٣٤٢].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وفي هذا إخبار عن عظمة ذاته، وكمال صفاته وأفعاله، وهو ظاهر في خلقهما، والله هو القادر على خلق السماوات والأرض وما بينهما وحده لا يشاركه فيه غيره، وهو على كل شيء قدير.

قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ "فكيف يطمعون في خوفك من آلهتهم التي هي مخلوقة لله تعالى. وأنت تقول: من خلق السماوات والأرض ليقولن الله. ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني ماتعبدون من الله. ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ يعني أصابني الله ببلاء ومرض في جسد، وضيق في معيشتي، أو عذاب في الآخرة. ﴿هَلْ هُنَّ

---

[١٣٤٠] *بحر العلوم*، ٣/١٨٦.

[١٣٤١] الطبري: *جامع البيان*، ٢٠/٢١٠.

[١٣٤٢] *بحر العلوم*، ٣/١٨٧.

كاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ يعني هل تقدر الأصنام على دفع ذلك؟. ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ يعني بنعمة، وخير. ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ يعني هل تقدر الأصنام على منع تلك الرحمة؟.

﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعني قل يا محمد يكفيني من شر آلهتكم. ويقال: ﴿حَسْبِىَ اللَّهُ﴾ يعني أثق بالله وفي بعض التفاسير أنهم لا يدعون لأصنامهم شيئا من هذا بل يقرون أن الله تعالى لا يعارض ولا يمانع ولا يغالب ولا ينازع فإذا قالوا لانقدر أصناما على معارضة الله فقل: ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي من أراد أن يتوكل على من يكفيه فإنما يتوكل على الله. ﴿قُلْ يٰقَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ يعني في منازلكم. ويقال: ﴿عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ أي على قدر طاقتكم، وجهدكم. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ بلفظ الجمع من المكان. ويقال: اعملوا على مكاناتكم، أي اثبتوا على ما أنتم عليه بما اخترتموه لأنفسكم. وقيل: على ديانتكم. وقيل: على رسمكم وعادتكم وهو تهديد. ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ على ما أنا عليه مما قد اخترته لنفسي لينتظر كل منا مايؤول إليه أمره. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من نجا، ومن هلك. ويقال: ﴿اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ في هلاكي إن قدرتم عليه، فإني عامل على هلاككم. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من الغالب منا ومنكم.

﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي من يأتيه عذاب الله، يهلكه. ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ أي دائم لا ينقطع. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ﴾ يعني أنزلنا عليك جبريل بالقرآن ﴿لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾. ليدعو الناس إلى الحق، وهو التوحيد. ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ يعني وحّد، وصدق بالقرآن، وعمل بما فيه. ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ يعني ثواب الهدى لنفسه. ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ يعني أعرض ولم يؤمن بالقرآن. ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ يعني أوجب العقوبة على نفسه. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ

بِوَكِيلٍ﴾ يعني ما أنت يا محمد بحفيظ عليهم. ويقال: وما أنت بمسلط عليهم. وهذا قبل أن يؤمر بالقتال. ويقال: ماأنت بمسلط على إكراههم على الإسلام فإنه ليس ذلك بيدك وإنما عليك البلاغ، وهو قوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[الغاشية:٢٢]. ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِيْنَ مَوْتِهَا﴾ قال الكلبي: يعني الله تعالى يقبض الأنفس حين موتها. ﴿وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ فيقبض نفسها إذا نامت أيضاً. ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ فلا يردها. ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾ التي لم تبلغ أجلها. ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي الموت. ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَٰتٍ﴾ لعلامات لوحدانيتي حيث لا يقدر أحد من معبودهم أن يمنعهم من ذلك. ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ويعتبرون في إرسال من شئت، وإمساك من شئت. ويقال: ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَٰتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي العلامات دالة على قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت. والآية في محاجة المشركين في إثبات البعث أي من قدر على هذا قدر على ذلك. قال الإمام أبو منصور – رحمه الله –: قال سعيد بن جبير – رضي الله عنه –: يجمع بين أرواح الأحياء وبين أرواح الأموات، يتعارف منها مايشاء الله أن يتعارف، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجسادها. [قال][١٣٤٣]: وبهذا لم يُفهم شيئا من تأويل [الآية][١٣٤٤]. قال: وقال الكلبي – رحمه الله –: النائم [مُتَوَفًّى][١٣٤٥] حتى يرد الله تعالى إليه نفسه، وأما الذي يتوفاها حين موتها فإنه يقبض الروح والنفس معا، ويرسل التي يتوفاها في منامها حتى تبلغ أجلها المسمى وهو الموت. ويقول: إنما يقبض الله تعالى الحسّ لا الروح. قال وهو الذي ذكره

---

[١٣٤٣] سقط من الأصل، وكتبتها من التيسير.

[١٣٤٤] سقط من الأصل، وكتبتها من التيسير.

[١٣٤٥] سقط من الأصل، وكتبتها من التيسير.

الكلبي أقرب إلى التأويل من الذي ذكره سعيد – رضي الله عنه – وأصله أن الله تعالى جعل في الأجساد نفسا دراكة بها تدرك الأجساد الأشياء وأرواحا بها يحيي الأجساد لأنك ترى الأجساد في حال كونها على الهيئة التي كانت ليس بها أثر الموت، لكنها لا تدرك شيئا فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئا، وليس بها آثار الأحياء، فدلنا هذا على أنها في حال النوم قد ذهب بها وخرج مابه يدرك الأشياء وبقي فيها مابه يحيي وهو الروح، فإذا خرج الروح منها مات الأثر بها عند ذلك تتغير، وكان قبل خروج الروح منها فإن كانت لا تدرك شيئا فهي على الهيئة التي كانت من قبل دل ذلك على أن الذي يدرك الأشياء غير الذي به يحيي.

﴿أَمِ اتَّخَذُواْ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ وهذه في محاجة المشركين أيضا وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله. فقال: ﴿أَمِ اتَّخَذُواْ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ و(أم) بمعنى ألف الاستفهام، وانضم كلام فيه ألف الاستفهام، ثم عطف عليه ب (أم)، وتقديره على الانتظام. ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أفلا يتفكرون فيعلمون وحدانية الله تعالى أفلا يشركون به الأصنام اتخذوها شفعاء ثم أبطل ذلك بقوله: ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلاَ يَعْقِلُونَ﴾ يعني أتشفع لهم وهي لا يملك شيئا ولا يعقل، واللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التوبيخ والزجر. ثم بيّن وجها آخر لإبطال ذلك فقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ يعني قل يا محمد: لله الأمر من الإذن في الشفاعة. ﴿لَّهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ﴾ يعني خزائن السماوات والأرض. ويقال: نفاذ الأمر في السماوات والأرض. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة. ويقال: إن عرفهم أن الشفاعة إنما يملكها من يملك السماوات والأرض، أي كلها لله لا يقدم عليها أحد إلا بإذنه، وأنتم معاشر المشركين مقرون بذلك، فإياه فأفردوا بالطاعة ودعوا الإشراك به،

وأخلصوا له فإنه لاينفع الشفاعة عنده لمن أشرك به، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي إلى جزائه يصيرون هذا ترغيب وترهيب. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ﴾ يعني إذا قيل لهم: لا إله إلا الله، ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ يعني انقبضت عن التوحيد. ويقال: أعرضت ونفرت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة يعني لا يصدقون بيوم القيامة. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ يعني الآلهة. ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بذكرها وذلك أنه حين قرأ: ﴿وَالنَّجْمِ﴾ وذكر آلهتهم استبشروا، قال الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ﴾ يعني خالق السماوات والأرض. ﴿عَالِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ﴾ يعني عالما بما غاب عن العباد، وما لم يغب عنهم. ويقال: عالما بما مضى، وبما لم يمض، وما هو كائن. ويقال: عالم السر والعلانية. ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي قد علمت حالي وحال قومي هؤلاء، وإني قد أبلغتهم واجتهدت في النصح لهم، وأوضحت دلائلك فأعرضوا واشمأزوا، فاحكم بيني وبينهم، فإنك أنت تحكم بين جميع عبادك فيما يختلفون فيه من أديانهم، وهذا الحكم قد يكون في الدنيا بإنجاز وعده في إعلائه على قومه، وهذا كدعاء قوم نوح – عليه السّلام –: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾[القمر:١٠]، وقد يكون في الآخرة بأن يجزي كلا على عمله. ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي كفروا فوضعوا العبادة غير موضعها، وظلموا أنفسهم بذلك ونقضوها حقها. ﴿مَّا فِى ٱلأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الأموال. ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ أي مثل ما في الأرض، ﴿لَٱفْتَدَوْاْ بِهِ مِنْ سُوءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ليتخلصوا منه به، ولكن الفدية لاتغني كما أن الشفاعة لا تغني. ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ ٱللَّهِ﴾ يعني ظهر لهم حين بعثوا من قبورهم. ﴿مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ في الدنيا أنه نازل بهم. يعني يعلمون أعمالا يظنون أن لهم فيها

ثواباً، فلم تنفعهم مع شركهم، فظهرت العقوبة مكان الثواب. ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ يعني عقوبات ما عملوا. وقيل: بدا لهم شهادة جوارحهم عليهم. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ أي ونزل بهم عذاب استهزائهم في الدنيا بآيات الله وأنبيائهم. وقيل: حاق بهم، أحاط بهم. وقال سفيان حين قرأ هذه الآية: ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء. ونظيره: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[الكهف:١٠٤]. ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَٰنَ ضُرٌّ﴾ يعني أصاب الكافر شدة، وبلاء، وهو أبو جهل. ويقال: جميع الكفار. ﴿دَعَانَا﴾ يعني أخلص في الدعاء. ويقال: التجأنا إليه. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾ يعني بدلناه، وأعطيناه مكانها عافية. ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ يعني أعطاني الله، لأنه علم أني أهل لذلك. فرد الله عليه ذلك فقال: ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ يعني عطية من الله. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ يعني أن إعطائي ذلك فتنة وبلية. ويقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أي لاعلم لهم ولا تمييز، ويقولون بذلك بجهل، ولو تدبروا لعلموا أن الله تعالى لو أراد لسلبهم قوة الاكتساب فلم يمكنهم جمع شيء، ولو أراد أتلفها، ولعلموا أن كثيرا ممن يخالفهم في دينهم أوتوا أكثر منهم، وأن كثيرا من الناس أكثر اجتهادا منهم في الاكتساب ولا شيء لهم.

﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني قد قال هذه المقالة الذين من قبلهم، مثل قارون، وأشباهه. ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ أي فما نفعهم شيئا ماجمعوه من الأموال، وظنوا أنه يعصمهم من عذاب الله تعالى، ومارفع العذاب عنهم. ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ يعني عقوبات ما عملوا من المعاصي، وإنما سمى العقوبات بالسيئات للمقابلة كما في قوله: ﴿وَجَزَآؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[الشورى:٤٠]، أو لأنها تسؤهم فوصفت بالسوء لذلك،

وحاصلهم من أموالهم لم ينفعهم، بل عذبوا بها كما فعل بقارون فخسف به وبداره، وماكان له من فئة ينصرونه من دون الله وماكان من المنتصرين. ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني من أهل مكة. ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ يعني عقوبات ماعملوا مثل ما أصاب الذين من قبلهم. ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ يعني غير فائتين من عذاب الله"[١٣٤٦].

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ "أي يوسع الرزق لمن يشاء. ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي يقتر على من يشاء. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ يعني في القبض والبسط. ﴿لَآيَٰتٍ﴾ يعني لعلامات لوحدانيتي. ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يصدقون بتوحيد الله تعالى"[١٣٤٧]. "قال مقاتل: إن أهل مكة قحطوا سنين، ثم مطروا بعد سبع سنين، فأنزل الله تعالى إظهار القدرية ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾"[١٣٤٨].

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ "يعني أسرفوا بالذنوب على أنفسهم. ﴿لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ يعني تيأسوا من مغفرة الله. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ الكبائر وغير الكبائر إذا تبتم. ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تاب. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعد التوبة. وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة قال: أصاب قوم في الشرك ذنوباً عظاماً، فكانوا يخافون أن لا يغفر لهم، فدعاهم الله بهذه الآية: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. قال مجاهد: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ

---

[١٣٤٦] *التيسير في التفسير*، ١٣/٥٢-٥٤.

[١٣٤٧] *بحر العلوم*، ٣/١٩٠.

[١٣٤٨] مقاتل: *تفسير مقاتل*، ٣/٦٨٢.

عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من قتل النفس في الجاهلية، لا تقنطوا من رحمة الله. وقال في رواية الكلبي: نزلت الآية في شأن الوحشي. يعني: أسرفوا على أنفسهم بالقتل، والزنى. لا تيأسوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب. وقال ابن مسعود: أرجى آية في كتاب الله هذه الآية"[١٣٤٩].

[فصل في التفسير بالرأي]

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، "اعلم أنه تعالى بيّن نوعا آخر من قبائح أفعالهم، وهو أنهم يكذبون ويضمون إليه أنهم يكذّبون القائل الحق. أما أنهم يكذبون، فهو أنهم أثبتوا لله ولداً وشركاء. وأما أنهم مصرون على تكذيب الصادقين، فلأنهم يكذبون محمداً ﷺ بعد قيام الدلالة القاطعة على [كونه][١٣٥٠] صادقاً في ادعاء النبوة، ثم أردفه بالوعيد فقال: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾."[١٣٥١]

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٣٥) أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ

---

[١٣٤٩] *بحر العلوم*، ٣/١٩١.

[١٣٥٠] في الأصل (كونهم)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٥١.

[١٣٥١] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٥١.

ذِي ٱنتِقَامٍ﴾، قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ يعني الأنبياء. ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ يعني الأتباع. ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾، "واعلم أن الرسالة لا تتم إلا بأركان أربعة: المرسِل والمرسَل والرسالة والمرسَل إليه، والمقصود من الإرسال إقدام المرسل إليه على القبول والتصديق، فأول شخص أتى بالتصديق هو الذي يتم به الإرسال"[١٣٥٢]، ويُروى عن النبي ﷺ أنه قال: "دعوا أبا بكر فإنه من تتمة النبوة"[١٣٥٣]. "فإن كان المراد بالذي صدق به شخص معين، فأبو بكر داخل في الآية، فدخوله ظاهر، وذلك لأن هذا يتناول أسبق الناس إلى التصديق، وأجمعوا على أن الأسبق أفضل، وحملُ هذا اللفظ على أبي بكر أولى، وذلك لأن علياً – عليه السّلام – كان في وقت البعثة صغيرا، ومعلوم أن إقدامه على التصديق لايفيد مزيد شوكة. فإقدام أبي بكر على التصديق يفيد مزيد شوكة في الإسلام، وكان حمل هذا اللفظ على أبي بكر أولى، وإن كان المراد من كان موصوفاً بهذه الصفة، وعلى هذا التقدير يكون أبو بكر داخلاً فيه.

وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وهذا الوعد يدخل فيه كل ما يرغب المكلف فيه.

قوله: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يدل على حصول الثواب على أكمل الوجوه. وقوله: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ﴾ يدل على سقوط العقاب عنهم على أكمل الوجوه، فقيل:

---

[١٣٥٢] مفاتيح الغيب،٢٦/٤٥٢.

[١٣٥٣] لم أجده إلا عند الرازي في تفسيره على هذا النحو: "وسمعت بعض القاصين من الذي يروي عن النبي ﷺ أنه قال: دعوا أبا بكر فإنه من تتمة النبوة". مفاتيح الغيب،٢٦/٤٥٢.

المراد أنهم إذا صدّقوا الأنبياء – عليهم السّلام – فيما أتوا، فإن الله يكفر عنهم عقاب أسوأ أعمالهم وهو الكفر السابق على ذلك الإيمان، ويوصل إليهم أنواع الثواب.

واعلم أن البطالين يخوفون المحقين بالتخويفات الكثيرة،[فحسم][١٣٥٤] الله مادة هذه الشبهة بقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ وذكره بلفظ الاستفهام، والمراد به تقرير ذلك في النفوس والأمر كذلك، لأنه ثبت أنه عالم بحاجات [العباد][١٣٥٥]، [قادر][١٣٥٦] على دفعها وإبدالها بالخيرات والراحات، وهو ليس بخيلاً ولا محتاجاً حتى يمنعه بخله وحاجته عن إعطاء ذلك المراد، وإذا ثبت هذا كان الظاهر أنه سبحانه يدفع الآفات، ويزيل البليات، ويوصل إليه كل المرادات، فلهذا قال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾. ولما ذكر الله المقدمة رتب عليها النتيجة المطلوبة فقال: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾. واعلم أن الله تعالى لما أطنب في شرح الوعيد والوعد ختم الكلام بخاتمة هي تفصيل الحق فقال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ يعني هذه الدلائل والبينات لا ينفع إلا إذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق. وقوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ تهديد للكفار"[١٣٥٧].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ

---

[١٣٥٤] في الأصل (فحسبهم)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٥٣.

[١٣٥٥] في الأصل (العبادات)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٥٤.

[١٣٥٦] في الأصل (قادرا)، وصححتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٥٣.

[١٣٥٧] *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٥٢-٤٥٣.

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، "اعلم أنه تعالى لما أطنب في وعيد المشركين ووعد المؤمنين، عاد إلى إقامة الدليل على تزييف طريقة عبدة الأصنام، وهذا التزييف على أصلين: الأول: أن هؤلاء المشركين مقرون بوجود الإله القادر العالم الحكيم الرحيم، وهو المراد من قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ واعلم أن من الناس من قال: العلم بوجود الإله القادر الحكيم الرحيم متفق عليه بين جمهور الخلائق لا نزاع بينهم فيه، وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم، فإن من تأمل في عجائب بدن الإنسان وما فيه من أنواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة، [علم][١٣٥٨] أنه لا بد من الاعتراف بالإله القادر الحكيم الرحيم. والأصل الثاني: أن هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد من قوله: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوأَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾، فثبت أنه لا بدّ [من الإقرار][١٣٥٩] بوجود الإله القادر الحكيم الرحيم، وثبت أن هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير والشر، وإذا كان الأمر كذلك كانت عبادة الله كافية، وكان الاعتماد عليه كافياً، وهو المراد من قوله: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ وإذا ثبت هذا الأصل لم يلتفت العاقل إلى تخويف المشركين، وكان المقصود من هذه الآية التنبيه على الجواب عما ذكره الله تعالى قبل هذه الآية، وهو قوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾.

---

[١٣٥٨] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٥٤.

[١٣٥٩] سقط من الأصل، وكتبتها من *مفاتيح الغيب*، ٢٦/٤٥٥.